

وميض من اليمن في الخطب الجوامع

قراه وقدم له

أصحاب الفضيلة العلماء

أبو الحسن مصطفى السليماني — أبو عبد الرحمن عايض بن علي مسمار

نعمان بن عبد الكريم الوتر — أبو داود يحيىٰ بن مسعد الدمياطي

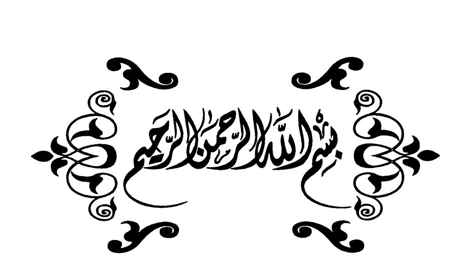
جمع وإعداد

سعيد بن سالم بن سعيد بن مهيم الحداد

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الجُزْءُ الثَّانِي

دار البصيرة
الإسكندرية


بسم الله الرحمن الرحيم

وميض من اليمن

في

الخطب الجوامع



ربَّنا تقبَّلْ منَّا
إنَّكَ أنتَ السَّميعُ العَليمُ

رقم الايـــداع : ٢٠٠٣/٧٨٣٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N.

دار البصيرة

جمهورية مصر العربية

الإسكندرية - ٢٤ ش كانوب - كامب شيزار - ت : ٥٩٠١٥٨٠

مقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد . . . فهذا الجزء الثاني من كتاب «وميض من اليمن» يحتوي على خطب عام جمعتها من مصادرها، وقد بذل معي بعض الإخوة جهودهم في البحث عن صحة أحاديث الكتاب، وقد جعلت فهرسًا لأكثر مصادر الخطب المذكورة، نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال وأن يجعلها خالصة لوجهه تعالى.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في (زاد المعاد) حول الخطبة: «وكذلك كانت خطبته ﷺ إنما هي تقرير لأصول الإيمان، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، وذكر الجنة والنار، وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصيته، فيملأ القلوب في خطبته إيمانًا وتوحيدًا ومعرفة بالله وأيامه.

ومن تأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد وذكر صفات الرب ـ جل جلاله ـ وأصـول الإيمان الكلية والدعوة إلى الله وذكر آلائه تعالى التي تحببه إلى خلقه وأيامـه التي تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يحبِّبهم إليه فيذكرون من عظمة الله وصفـاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه ويأمرون من طاعته وشكره، وذكره ما يحببهم إليه فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم»[1].

هذا منهجهم وهذه طريقتهم، فالزم غـرزهم واتبع سبيلهم إنه سبيل المؤمنين، إنه الأمر الأول، إنـه الأمر العـتيق، وإياك ومـا أحدث الناس ومـا عليه الكثـرة في هذا الزمان فإن الميـزان بما كان عليه سلف الأمة، وجزى الله من ساهم في نشـر فضيلة أو دل على خير خير الجزاء، وغفر الله لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين والله المستعان.

كتبه جامعه ومرتبه

سعيد بن سالم الحداد

اليمن . شبوة . عزان ١٤٢٢هـ

---

(١) «زاد المعاد» (١/ ٤٢٣).



الأمانة

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن الأمانة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ (سورة النساء:٥٨)، والأمانات: كل ما ائتمن عليه الإنسان وأُمرَ بالقيام به، فأمر الله بأدائها أي: كاملة موفرة لا منقوصة ولا مبخوسة ولا ممطول بها، ويدخل في ذلك أمانات الولايات والأموال والأسرار والمأمورات التي لا يطلع عليها إلا الله، وقد ذكر الفقهاء أن من ائتمن أمانة وجب عليه حفظها في حرز مثلها، قالوا: لأنه لا يمكن أداؤها إلا بحفظها فوجب ذلك.

وفي قوله: ﴿إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ دلالة على أنها لا تدفع وتؤدى لغير المؤتمن ـ ووكيله بمنزلته ـ فلو دفعها لغير ربها لم يكن مؤديًا لها.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (سورة الأحزاب: ٧٢) في هذه الآية يعظم الله شأن الأمانة التي ائتمن عليها المكلفين التي هي امتثال الأوامر واجتناب المحارم في حال السر والخفية كحال العلانية، وأنه تعالى عرضها على المخلوقات العظيمة كالسموات والأرض والجبال عرض تخيير لا تحتيم، وأنك إن قمت بها وأديتها على وجهها فلك الثواب، وإن لم تقم بها وتؤديها فعليك العقاب.

فإذا قال قائل: كيف يعرض الله الأمانة على السموات والأرض والجبال وهي جماد ليس لها عقل ولا تشعر؟

فالجواب: إن كل جماد يقدر الله على تفهيمه وخطابه، أرأيت إلى قوله تعالى فيما أخبر به النبي ﷺ : **«إن الله تعالى لما خلق القلم قال له: اكتب** ـ فخاطب الله القلم وهو جماد ورد عليه القلم ـ **قال: وماذا اكتب؟** ـ لأن الأمر مجمل ولا يمكن الامتثال للأمر المجمل إلا ببيانه ـ قال: **«اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة،** فكتب القلم بأمر الله ما هو كائن إلى يوم القيامة، هذا أمر تكليف وإلزام.

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ أي: خوفًا أن لا يقمن بما حُمِّلْنَ، لا عصيانًا لربهن، ولا زهدًا في ثوابه، وعرضها الله على الإنسان على ذلك الشرط المذكور، فقبلها وحملها على ظلمه وجهله.

وحمل هذا الحمل الثقيل وقال تعالى: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (سورة الأحزاب: ٧٣)، بين الله في هذه الآية أن الناس بالنسبة للأمانة انقسموا بحسب قيامهم بها وعدمه إلى

ثلاثة أقسام: منافقون قاموا بها ظاهرًا لا باطنًا، ومشركون تركوها ظاهرًا وباطنًا ومؤمنون قائمون بها ظاهرًا وباطنًا، فذكر الله أعمال هؤلاء الأقسام الثلاثة، وما لهم من الثواب والعقاب فقال: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (سورة الأحزاب:٧٣) فله تعالى الحمد حيث ختم هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين الدالين على تمام مغفرة الله، وسعة رحمته، وعموم جوده، مع أن المحكوم عليهم كثير منهم لم يستحق المغفرة والرحمة لنفاقه وشركه.

عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا انتظر للآخر: حدثنا أن الأمانة نَزَلَتْ في جَذْرِ قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال: **«ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوَكْتِ، ثم ينام النومة فَتُقْبَضُ الأمانة من قلبه فيظلُّ أثرها مثل أثر المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منبترًا وليس فيه شيء. ثم أخذ حصاة فدحرجه على رجله. فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال: إن في بني فلان رجلاً أمينًا، حتى يقال للرجل: ما أجلده ما أظرفه، ما أعقله! وما في قلبه مثقال حبة من إيمان»**، ولقد أتى عَلَيَّ زمان ما أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلمًا ليردنَّه عليَّ دينه، ولئن كان نصرانيًا أو يهوديًا ليردنه عليَّ ساعيه، وأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلانًا وفلانًا[1].

وقوله: «جذر» وهو أصل الشيء، و«الوكت»: الأثر اليسير، و«المجل»: هو تنفط في اليد ونحوها من أثر عمل وغيره، وقوله: «منتبرًا»: مرتفعًا، وقوله: «ساعيه»: الوالي عليه.

---

(١) متفق عليه.



كان النبي ﷺ يحدث أصحابه بما يراه مـناسبًا، والنبي ﷺ إذا حدَّث أحدًا بشيء فإنه حديث له وللأمة إلى يوم الـقيامة، وحذيفة بن اليمـان رضي الله عنه يقال له صاحب السر، لأن النبي ﷺ حدثه عن قوم من المنافقين، علمهم النبي ﷺ فأخبر بهم حذيفة وكانوا نحو ثلاثة عشر رجلاً سماهم بأسمائهم.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ لشدة خوفه من الله ـ يـلتقي بحذيفة فيقول: «**انشدك الله هل سماني لك رسول الله ﷺ مع من سماهم من المنافقين؟ فيقول حذيفة: لا، ولا ازكي بعدك احداً**»[1].

فذكر رضي الله عنه ما حدثه به النبي ﷺ من نزع الأمانة من قلوب الرجال فقوله ﷺ : «**إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال**»، يعني: في أصلها، ثم أنزل عليهم من القرآن والسنة ما يثبت ويؤيد هذا الأصل، فجاء القرآن والسنة مؤيدًا للفطرة التي فطر الناس عليها، وعلموا من كتـاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ فازدادوا بذلـك إيمانًا وثباتًا وأداءً للأمانة، ولكن أخبر بالحديث الثاني أن هذه الأمانة سوف تنزع من قلوب الرجال والعياذ بالله، تنزع فيصبح الناس يتحـدثون أن في بني فلان رجلاً أمينًا، يعني أنك لا تكاد تجد في القبيلة رجلاً واحدًا أمينًا والباقي كلهم على خيانة لم يؤدوا الأمانة.

ولقد شاهد الناس اليوم مصداق هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ، فإنك تستعرض الناس رجلاً رجـلاً حتى تبلغ إلى حـد المائة أو المئات لا تجـد الرجل الأمين الذي أدى الأمانة كما ينبغي في حق الله ولا في حق الناس، قد تجد رجلاً أمينًا في حق الله يؤدي الصلاة، ويؤدي الزكـاة، يصوم، يحج، يذكر الله كـثيرًا، يسـبِّح، لكنه في المال ليس أمينًا، إن وكِّل إليـه عمل حكومي فرط وصـار لا يأتي للدوام إلا متأخرًا ويخـرج قبل انتهـاء الوقت، ويضيع الأيام الكثـيرة في أشغـاله الخاصة ولا يبـالي مع أنك تجده في

---

(١) صحيح.

مقدمة الناس في المساجد وفي الصدقات وفي الصيام وفي الحج لكنه ليس أمينًا من جهة أخرى، وقد ذكر النبي ﷺ أن الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وغُذي بالحرام فأنَّى يستجاب لذلك.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، نحمده سبحانه وتعالى، ونصلي ونسلم على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحابته إلى يوم الدين.

أما بعد . . .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»**[١].

الشاهد من هذا الحديث بالباب، أن المنافق إذا ائتمنته على مالٍ خانك، وإذا ائتمنته على سرٍ بينك وبينه خانك، وإذا ائتمنته على أهلك خانك، وإذا ائتمنته على بيع أو شراء خانك، كلما ائتمنته على شيء يخونك فيه ـ والعياذ بالله ـ، يدل ذلك على أن في قلبه شعبة من النفاق.

وفي (الصحيح) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«اد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»** في هذا الحديث إشارة إلى مزايا هذا الدين وبيان لطائفه، وهو أن الإنسان لا يقابل من أساء إليه بالمثل، بل يعفو ويصفح ويتناسى ذلك.

والأمانة ـ يا عباد الله ـ تطلق على معان متعددة، منا ما ائتمنه الله على عبادة من العبادات التي كلفهم بها، فإنها أمانة ائتمن الله عليها العباد.

ومنها الأمانة المالية: وهي الودائع التي تعطى للإنسان ليحفظها لأهلها، وكذلك الأموال الأخرى التي تكون بيد الإنسان لمصلحته أو مصلحة مالكها، وذلك أن

---

(١) متفق عليه.

الأمانة التي بيد الإنسان إما أن تكون لمصلحة مالكها أو لمصلحة من هي بيده أو لمصلحتهما جميعًا.

فأما الأول ـ فالوديعة التي تجعلها عند شخص، تقول مثلاً: هذه ساعتي عندك احفظها لي، أو هذه دراهم احفظها لي وما أشبه هذا، فهذه وديعة بقيت عند هذا الشخص لمصلحة مالكها.

وأما التي لمصلحة من هي بيده فالعارية: يعطيك شخص شيئًا يعيرك إياه، من إناء أو فراش أو ساعة أو سيارة فهذه بقيت في يدك بمصلحتك.

وأما التي لمصلحة مالكها ومن هي بيده: فالعين المستأجرة: فهذه مصلحتها للجميع، استأجرت مني سيارة وأخذتها، فأنت تنتفع بها في قضاء حاجاتك، وأنا أنتفع بالأجرة، وكذلك البيت والدكان وما أشبه ذلك، كل هذا من الأمانات.

ومن الأمانة أيضًا أمانة الولاية: وهي أعظمها مسؤولية، الولاية العامة والولايات الخاصة، فالسلطان مثلاً الرئيس الأعلى في الدولة، أمين على الأمة كلها، على مصالحها الدينية ومصالحها الدنيوية، على أموالها التي تكون في بيت المال، لا يبذرها، ولا ينفقها في غير مصلحة المسلمين وما أشبه ذلك.

وهناك أمانات أخرى دونها، كأمانة الوزير مثلاً في وزارته، وأمانة الأمير في منطقته، وأمانة القاضي في عمله، وأمانة الإنسان في أهله، المهم أن باب الأمانة باب واسع جدًا، وأصلها أمران:

أمانة في حقوق الله: وهي أمانة العبد في عبادات الله عزَّ وجلَّ.

وأمانة في حقوق البشر: وهي كثيرة جدًا، وقد أشرنا إلى شيء منها، وكلها يؤمر الإنسان بأدائها.

وأداء الأمانة من علامات الإيمان، فكلما وجدت الإنسان أمينًا فيما يؤتمن عليه، مؤديًا له على الوجه الأكمل، فاعلم أنه قوي الإيمان، وكلما وجدته خائنًا فاعلم أنه ضعيف الإيمان.

ومن الأمانات ما يكون بين الرجل وصاحبه من الأمور الخاصة التي لا يحب أن يطلع عليها أحد فإنه لا يجوز لصاحبه أن يخبر بها، فإنه لو استأمنك على حديث حدثك به، وقال لك: هذا أمانة؛ فإنه لا يحل لك أن تخبر به أحدًا من الناس ولو كان أقرب الناس إليك سواءً أوصاك بأن لا تخبر به أحدًا، أو عُلِمَ من قرائن الأحوال أنه لا يحب أن يطلع عليه أحد، فإذا ائتمنك الإنسان على حديث فإنه لا يجوز لك أن تفشيه.

عِبَادَ اللَّهِ . . . علينا أن نحذر من الخيانة، وهي كما علمتم من الصفات الذميمة لأنها من علامات النفاق ويخشى أن يكون هذا النفاق العملي مؤديًا إلى النفاق الاعتقادي ـ والعياذ بالله ـ، فيكون الإنسان منافقًا نفاقًا اعتقاديًا فيخرج من الإسلام وهو لا يشعر فأخبرنا الرسول ﷺ لنحذر من ذلك.

وكذلك لنحذر من يتصف بهذه الصفات، ونعلم أنه منافق يخدعنا، ويلعب بنا، ويغرنا بحلاوة لفظه وحسن قوله، إذن عكس ذلك يكون من علامات الإيمان، فالمؤمن إذا وعد أوفى، المؤمن إذا ائتمن أدى الأمانة على وجهها، هذا هو المؤمن، وكذلك إذا حدَّثَ كان صادقًا في حديثه مخبراً بما هو واقع فعلاً.

الاعتصام

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة آل عمران:١٠١)، وقال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا ﴾ (سورة آل عمران:١٠٣)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة النساء:١٤٥-١٤٦). وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ (سورة النساء:١٧٤-١٧٥).

والآيات في الاعتصام كثيرة، وأما في السنة فمنها ما ثبت صحيح مسلم عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج، ثم أذن في الناس في السنة العاشرة: أن رسول الله ﷺ حاج... الحديث وفيه: **«وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله...»** (١)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»** (٢)، وعن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: **قلت يا رسول الله حدثني بأمر اعتصم به، قال: «قل ربي الله، ثم استقم»، قال: يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف عَلَيَّ؟ فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: «هذا»** (٣)، وعن مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ بلغه أن رسول الله ﷺ قال: **«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنة رسوله»** (٤).

عِبَادَ اللَّهِ... ومن أقوال العلماء والمفسرين الواردة في الاعتصام ما ورد عن سماك بن الوليد الحنفي، أنه لقي ابن عباس فقال: ما تقول في سلاطين علينا يظلموننا ويشتموننا ويعتدون علينا في صدقاتنا، ألا نمنعهم؟ قال: لا، أعطهم، الجماعة الجماعة، (والمراد الجماعة الجماعة، أي: الزم الجماعة) إنما هلكت الأمم الخالية بتفرقها، أما سمعت قول الله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (٥).

قال ابن بطَّال: «لا عصمة لأحد إلا في كتاب الله، أو في سنة رسوله، أو في إجماع العلماء على معنى في أحدهما» (٦).

---

(١) مسلم (١٢١٨).

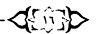
(٢) مسلم (١٧١٥).

(٣) الترمذي (٢٥٢٢) وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣٢٠٨).

(٤) مالك. وانظر: «جامع الأصول» (٢٧٧).

(٥) الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٢٨٥-٢٨٦).

(٦) فتح الباري (١٣/ ٢٤٦).



عباد الله . . . أما لفظة (الاعتصام) فمنها العصمة: أن يعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه، واعتصم العبد بالله تعالى إذا امتنع، واستعصم: التجأ. . والاعتصام بالكتاب والسنة: هو اجتماع المسلمين على الاستعانة بالله والوثوق به وعدم التفرق عنه، والاجتماع على التمسك بعهده على عباده، وهو الإيمان والطاعة أو الكتاب والسنة لأن من أطاع الرسول فبفرض الله ذلك في كتابه كما قال الله تعالى: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (سورة النساء: ٨٠).

وأما أنواع الاعتصام فقد فصلها ابن القيم ـ رحمه الله ـ في قوله: «الاعتصام نوعان: اعتصام بالله، واعتصام بحبل الله، قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣)، وقال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (سورة الحج: ٧٨).

ومدار السعادة الدنيوية والأخروية على الاعتصام بالله والاعتصام بحبله، ولا نجاة إلا لمن تمسك بهاتين العصمتين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد . . .

عباد الله . . . أما الاعتصام بحبله ـ أي: بحبل الله ـ فإنه يعصم من الضلالة والاعتصام بالله يعصم من الهلكة، فإن السائر إلى الله كالسائر على طريق نحو مقصده، فهو محتاج إلى هداية الطريق والسلامة فيها، فلا يصل إلى مقصده إلا بعد حصول هذين الأمرين له، فالدليل كفيل بعصمته من الضلالة، وأن يهديه إلى الطريق والعدة والقوة والسلاح التي بها حصل له السلامة من قطاع الطريق وآفاتها، فالاعتصام بحبل الله يوجب له الهداية واتباع الدليل، والاعتصام بالله يوجب للعبد

القوة والعدة والسلاح والمادة التي يستلئم بها في طريقه، ولهذا اختلفت عبارات السلف في الاعتصام بحبل الله، بعد إشارتهم كلهم إلى هذا المعنى، فقال ابن عباس: «تمسكوا بدين الله»، وقال ابن مسعود: «هو الجماعة»، وقال: «عليكم بالجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة»، وقال مجاهد وعطاء: «بعهد الله»، وقال قتادة والسُّدِّيْ وكثير من أهل التفسير: «هو القرآن» وقال مقاتل: «بأمر الله وطاعته، ولا تفرقوا كما تفرقوا اليهود والنصارى».

قال صاحب المنازل: الاعتصام بحبل الله هو المحافظة على طاعته مراقبةً لأمره ويريد بمراقبة الأمر: القيام بالطاعة لأجل أن الله أمر بها وأحبها، لا لمجرد العادة، أو لعلة باعثة سوى امتثال الأمر، كما قال طلق بن حبيب في التقوى: هي العمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله، فالاعتصام بحبل الله يحمي من البدعة وآفات العمل، والله أعلم.

وأما الاعتصام بالله فهو التوكل عليه، والامتناع به، والاحتماء به، وسؤالُهُ أن يحمي العبد ويمنَعَه، ويعصِمَهُ ويدفع عنه، فإن ثمرة الاعتصام به هو الدفع عن العبد، والله يدافع عن الذين آمنوا فيدفع عن عبده المؤمن إذا اعتصم به كل سبب يفضي إلى العطب، ويحميه منه، فيدفع عنه الشُّبُهَاتِ والشهوات، وكيد عَدُوِّهِ الظاهر والباطن، وشر نفسه، ويدفع عنه موجب أسباب الشر بعد انعقادها بحسب قوة الاعتصام به وتَمكُّنِهِ فَتُفْقَدُ في حقه أسباب العطب فيدفع عنه موجباتها ومسبباتها[1].

عِبَادَ اللَّهِ . . . اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن رابطة الأخوة قد وهنت بين المسلمين إلا ما شاء الله، وهذا الموضوع ـ وهو الولاء ـ قد وهن وضعف من باب أولى، وذلك لأسباب أهمها: الأول: تفرق المسلمين إلى فرق وشيع وأحزاب حيث أصبح مبدأ

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٩٥-٤٩٧).

الولاء مرتبط بالحزب والجماعة لا بالإسلام وهذا انحراف في التصور. يقول الشيخ بكر أبو زيد: «وإن الحزبية ذات المسارات والقوالب المستحدثة التي لم يعهدها السلف من أعظم العوائق عن العلم، والتفريق عن الجماعة، فكم أوهنت من حبل الاتحاد الإسلامي وغشيت المسلمين بسببها الغواشي».

ومن أسباب وهن رابطة الأخوة بين المسلمين: تكالب المسلمين على الدنيا وتنافسهم عليها مما سبب بينهم الأحقاد والحسد، فأصبحت علاقات الناس مبنية على أمور الدنيا ومصالحها الزائلة، وهذا انقلاب في المفاهيم، ولقد حذر النبي ﷺ أمته من التنافس على الدنيا وعَلَّلَ ذلك بأنه سبب الهلاك، وأخبر بأن هذا الأمر قد وقع في الأمم السابقة، ففي الحديث الذي رواه عمرو بن عوف رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ابشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم**»[(١)]، ولن تقوم للأمة الإسلامية قائمة إلا بالرجوع إلى الله والاجتماع على الحب فيه والبغض فيه، والولاء له والبراء ممن أمرنا الله بالبراء منه، وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، إذن فعلاج الوهن الذي أصاب هذا المبدأ الإسلامي العظيم إنما يكون بالرجوع إلى الجماعة وترك الفرقة، وبتحكيم الكتاب والسنة وتدبرهما وفهمهما، وبالعودة إلى ما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين.

---

(١) البخاري (٦/٣٥٨) فتح.

أضرار الجليس السوء

الخطبة الأولى:

الحمد لله المبدي المعيد، الفعال لما يريد، الذي حكم على خلقه بالفناء، فتبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور، قسم خلقه إلى شقي وسعيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، سيد المرسلين وأفضل داعٍ إلى التوحيد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . تكلمنا فيما سبق عن الجليس الصالح وما له من فوائد على صاحبه، وفي هذه الخطبة نتحدث معكم عن الجليس السوء، والجليس السوء مضرة على صاحبه من كل وجه، وشؤم عليه في الدنيا والآخرة، ويتعذر تتبع كل ما يترتب على مجالسة أهل السوء من المفاسد والأضرار، ولعل ذكر شيء منها يكفي في تحذير العاقل من هذه المجالسة وهي: أن الجليس السوء قد يشكك في معتقداتك الصحيحة ويصرفك عنها، كما قال تعالى في سورة الصافات: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ (سورة الصافات: ٥٠-٥٣). واسمع إلى قصة وفاة أبي طالب على الكفر وكيف كان جليس السوء

سببًا في موته على تلك الحال، أخرج البخاري ومسلم عن المسيب بن حزن قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله ابن أبي أمية بن المغيرة، فقال: **«أي عم .. قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله»**، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟! فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان لتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: أنا على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله. فانظر أخي المسلم كيف صنع جلساء السوء، أضلاه في حياته وما زالا به حتى أسلماه إلى النار والعياذ بالله.

ومن أضرار جليس السوء: أنه يدعو جليسه إلى مماثلته في الوقوع في المحرمات والمنكرات ويحب ذلك منه كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «... وذلك أن كثيرًا من أهل المنكر يحبون من يوافقهم على ما هم فيه، ويبغضون من لا يوافقهم، وكذلك في أمور الدنيا والشهوات كثيرًا ما يختارون ويؤثرون من يشاركهم: إما للمعاونة على ذلك كما في المتغلِّبين من أصحاب الرياسات وقطاع الطرق ونحوهم، وإما بالموافقة كما في المجتمعين على شرب الخمر فإنهم يختارون أن يشرب كُلٌّ من حضر عندهم، وإما لكراهيتهم امتيازه عنهم بالخير، إما حسدًا على ذلك لئلا يعلو عليهم بذلك ويحمد دونهم، وإما لئلا يكون له عليهم حُجَّةٌ، وإما لخوفهم من معاقبته لهم بنفسه، أو بمن يرفع ذلك إليهم. ولئلا يكونوا تحت منّته وخطره، ونحو ذلك من الأسباب. قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ (سورة البقرة:١٠٩)، وقال تعالى في المنافقين: ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ (سورة النساء:٨٩). وقال عثمان رضي الله عنه: **«ودَّتْ الزانيةُ لو زَنَى النساءُ كلُّهنَّ»**.

ومن أضرار جليس السوء: أن المرء بطبيعته يتأثر بعادات جليسه وأخلاقه وأعماله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم مَنْ يخالل»**[1]. فإذا كان الجليس سيئًا تأثر به المرء واصطبغ بصبغته.

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٩).

ومنها: أن رؤيته تذكر بـالمعصية سواءً كـانت ظاهرة عليه أو خفيـةً وكنت تعرف ذلك منه، فتخطر المعصية في بال المرء بعد أن كان غافلاً أو متشاغلاً عنها.

ومنها: أنه يَصلُك بأناس سيـئين يضرك الارتباط بهم، وقد يكونون أشـد انحرافًا وفسادًا من هذا الجَليس.

ومنها: أنه يخفي عنك عيوبك ويسترها عنك ويُحَسِّن لك خطاياك، ويخفف وقع المعصية في قلبك، ويهون عليك التقصير في الطاعة.

ومنها: أنك تحُرم بسببه مجالسة الصالحين وأهل الخير لانهماكك معه في الشهوات والملذات، أو لتحذيره ومنعه لك من مجالستهم، أو هيبتك لهم بسبب مجالستك لهذا المنحرف، فيفوتك من الخير والصلاح بقدر بعدك عنهم.

ومنها: أن الذي يجالس أهل السوء يقارن أفعاله السيئة بأفـعالهم، فيستقل سيئاته بجنب سيـئاتهم فيكون ذلك سببًا في زيادة طغيانه وانحـرافه وتقصيـره في الأعمال الصالحة، وعلى الأقل يصاب بالعُجب بما هو عليه والعجب مرض مهلك كما تقدم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي رغب في مجـالسة الصالحين، وحذر من مجالسة المفـسدين، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعـد . . .

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن مجالسـة أهل السوء لا تخلو من المحرمات والمعاصي كالغـيبة والنميـمة والكذب واللعن ونحو ذلك، فربما يوافقـهم جليسهم فيمـا هم فيه أو ينكر عليهم لكـن لا يفارق مجلسـهم فيقع في الإثم، لأن الإنكـار ـ كما يقـول العلماء ـ يستلزم مفارقة المجلس إذا استمر المنكر فيه لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة الأنعام:٦٨)، إن إخاء جليس السـوء وصحبته عـرضة للزوال عند وجود أدنى خلاف أو تغير مصلحة.

قال عبد الله بن المعتز: «إخوان السوء ينصرفون عند النكبة ويقبلون مع النعمة»
وقال علي بن داود الرقي:

كُلُّ مَنْ كَانَ لا يُؤَاخيكَ في اللهِ ¤*¤ فَلا ترجُ أن يدومَ إخَاؤهُ
إن خيرَ الإخوانِ من كانَ في اللهِ ¤*¤ له دامَ ودُّه وصفاؤهُ

وقال أبو الحسن التهامي:

شيئانِ ينقشعانِ أول وهلةٍ ¤*¤ ظلُّ الشبابِ وصحبةُ الأشرارِ

وقال ابن حبان: «العاقل لا يصاحب الأشرار، لأن صحبة صاحب السوء قطعة من النار تعقب الضغائن، لا يستقيم وده ولا يفي بعهده».

لو دامت مودة جلساء السوء في الدنيا فإنها سرعان ما تنقشع في الدار الآخرة وتنقلب إلى عداوة وبغضاء، كما قال تعالى: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ (سورة الزخرف:٦٧) وسبب تحول الخُلَّة والصداقة إلى عداوة هو ما أورثته هذه المخاللة والصداقة من التعاون على الإثم والعدوان.

ومن مضار مجالس أهل الفسق أنهم في الغالب لا يذكرون الله فيها فتكون حسرة وندامة على أصحابها يوم القيامة كما قال ﷺ: «ما مِنْ قوم يقومونَ من مجلسٍ لم يذكرُوا الله تعالى فيه إلاَّ قاموا عن مثلِ جيفة حمارٍ، وكان ذلك المجلسُ عليهم حسرةً يومَ القيامة»[1].

فيا أمة الإسلام . . . احذروا مجالس الردى، مجالس اللاهين السادرين التي تقسو فيها القلوب، وتجفوا فيها النفوس وينقص بها الإيمان، فإن الإنسان كثير ما يتأثر بمن يجالسه ويؤانسه، وقديمًا قيل:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ¤*¤ فكل قرين بالمقارن يقتدي

(١) رواه أبو داود، وصحح إسناده النووي والألباني.

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واحذروا مجالس الأشرار حذَرَكُم من أنكى عدو، فِرُّوا منها فراركم من الأسد، فروا منها إلى مجالس الإيمان، ورياض الجنان، إلى المجالس التي تلين فيها القلوب وتحيا فيها النفوس ويزداد بها الإيمان، مجالس العلماء والأتقياء التي دعيتم لها ورغبتم فيها ووعدتم عليها خير الدارين وأعلى المنزلتين.

عِبَادَ اللَّهِ . . . مخالطة أهل السوء ضرر على صاحبها في الدنيا والآخرة، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ: «وبالجملة فمصاحبة الأشرار مضرة من جميع الوجوه على من صاحبهم، وشرٌّ على من خالطهم، فكم هلك بسببهم أقوام، وكم قادوا أصحابهم إلى المهالك من حيث لا يشعرون» اهـ.

ولذلك قال أبو الأسود الدؤلي: «ما خلق الله خلقًا أضرَّ من الصاحب السوء».

فعلى العاقل الناصح لنفسه الذي يريد لها النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة أن يتجنب مخالطة هؤلاء ويفر منهم غاية الفرار ولا يتهاون في ذلك.

واعلم أخي المسلم ـ وفقك الله ـ أن الكتاب والقصة والمجلة والشريط هو جليس لك ولأولادك يُؤَثِّر كالجليس بخيره وشره فاختر لنفسك ولأولادك الأفضل.

عِبَادَ اللَّهِ . . . في نهاية الخطبة أستعرض لكم شيئًا من صفات أصدقاء السوء فتجتنبهم ـ بإذن الله ـ: فمن صفاتهم أن حياتهم سخرية، وعيشهم استهزاء، ودنياهم لهو ولعب، منازلهم أرصفة الشوارع ومجالسهم الفسق والفجور، وكلامهم الغيبة والنميمة والفحش وتمزيق الأعراض، وشرابهم الدخان والمفترات والمخدرات، تعلو شفاههم الضحكات العالية، في آذانهم وقرٌ عن سماع الهدى، تجد في مجالسهم كل شيء إلا القرآن، وتلقى على ألسنتهم كل شيء إلا ذكر الله، يسمعون صوت الحق يصدح في بيوت الله فيقدمون عليه اللهو واللعب، حياتهم طعامٌ وشرابٌ ولعبٌ ونومٌ، ﴿ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ (سورة محمد: ١٢).

أهـوال القيامة (١)

الخطبة الأولى:

الحمـد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، وخلـق الناس من تراب، وفاوت بينهم في العـقـول والعلوم والمعـارف والآداب، قسم خلقـه إلى تقي أواب، همـتـه طلب الخيـرات والاكتـساب، ومطلبـه ما به الزلفى إلى الله والاقـتراب من الرحـيم التواب ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ (سورة الزمر:١٨).

وقسم آخـر فاجـر كذاب، همـته مـصروفة إلى جـمع الحطام الفاني والـطعام والشراب، يسعى لنيل شهواته وإشباع رغباته، يعمر جسمه وقلبه في خراب، فكيف بحـاله عند الموت إذ يـحق عليـه قـول رب الأرباب: ﴿ وَرَأَوُا الْعَـذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾ (سورة البقرة:١٦٦).

أحمده سبحانه وتعالى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب:٠ -٧١)

أما بعـد . . .

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن أهوال القيامـة والبقية من الموضوع نكمله في جمعة قادمة بإذن الله تعالى، ويبدأ يوم القيامة ـ يا عباد الله ـ بالنفخ في الصور فيهلك

من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فيبعث الجميع ويخرجون من قبورهم. قال الله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (سورة الزمر: ٦٨)، وذلك اليوم - يا عباد الله - يوم رهيب فظيع، وما أعظم قول الله تعالى في تصويره: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (سورة الحج: ١-٢).

وبعد النفخة الثانية يقوم الناس من قبورهم للحساب حفاة عراة غرلاً ... لا يلتفت بعضهم إلى بعض من هول الموقف وشدته كما قال رسول الله ﷺ: **«يُحْشَرُ النَّاسُ حفاةً عُراةً غُرْلاً، قالت عائشة: فقلت يا رسول الله الرجال والنساء جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض؟!، فقال ﷺ: «الأمْرُ أشدُّ مِن أن يَهُمَّهُم ذلكَ»**[١].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يُحْشَرُ النَّاسُ يومَ القيامةِ حفاةً عُراةً، قالت أم سلمة: فقلت: يا رسول الله، واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض؟!، فقال: «شغل الناسُ»، قلت: ماشغلهم؟، قال: «نشر الصحائف فيها مثاقيل الذر، ومثاقيل الخردل»**[٢].

ومما يزيد في هول يوم القيامة وشدته أن الشمس تدنو من الخلائق ويعرق الناس فيشتد عليهم الكرب ويتمنون الخلاص مما هم فيه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **« يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم»**[٣].

وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«تُدنَى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل».**

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه الطبراني بسند صحيح، الترغيب (٤/ ٢٨٧)، برقم (٥٢٤٣) وقال: حسن.

(٣) متفق عليه.

قال سليم بن عامر: «فوالله ما أدري ما يعني بالميل: أمسافة الأرض أو الميل الذي تكتحل به العين. قال: «**فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حَقْويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا**»، وأشار الرسول ﷺ إلى فيه»[١].

فليتصور كُلٌّ حاله وهو في ذلك الموقف العصيب، إن الإنسان لو زاد عليه الحر شيئًا يسيرًا لعمل جاهدًا على أن يذهب الحر بوسائل التبريد المختلفة، فكيف لا يعمل على أن يقي نفسه من ذلك الحر الرهيب والعرق الكثير الذي يبلغ من الإنسان على قدر عمله.

وفي الوقت الذي يكون فيه عامة الناس في الحر والعرق والكرب يكون بعض من الناس في الظل مستريحين لا ينالهم شيء مما ذكرنا، وهؤلاء هم الذين أخبر النبي ﷺ عنهم بقوله: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ـ وعن أبي اليسر كعب بن عمرو رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أنظَرَ مُعْسِرًا أو وَضَعَ عنهُ أظلَّهُ اللهُ في ظِلِّه**»[٣].

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه مسلم.

أما بعد . . .

عِبَادَ اللهِ . . . وممن يظلهم الله في ظله المتصدقون فعن يزيد بن حبيب أن أبا الخير حدثه أنه سمع عقبة بن عامر رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كلُّ امرئٍ في ظلِّ صدقتِهِ حتَّى يُفْصَلَ بينَ الناسِ**» أو قال: «**يُحْكَمَ بَيْنَ الناسِ**»، قال يزيد: وكان أبو الخير لا يخطئه يوم إلا تصدق فيه بشيء، ولو بكعكة أو بصلة أو كذا[1].

ولعظم الكرب الذي يعيشه الناس في المحشر فإنهم يبحثون عمن يشفع لهم إلى ربهم حتى يقضى بينهم، وقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتِيَ رسول الله ﷺ يومًا بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة فقال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسمَّاك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى**

---

(١) رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني.

غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسىﷺ فيقولون يا موسى: أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى ﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى ﷺ، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى ﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنباً، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمدﷺ، فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليَّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى»[1].

فتأملوا ـ يا إخوتي ـ كيف أن آدم ونوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى وهم أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ وقد امتدحهم الله تعالى، كيف كان الواحد منهم يطلب النجاة لنفسه في ذلك الوقت الرهيب، وذلك لما يرون من شدة غضب الله تعالى، فكيف إذا نودي بك على رؤوس الخلائق: ليقم فلان بن فلان فانظر إلى ما تعمله الآن في الدنيا واعلم أنك مسئول عنه يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الحجر: ٩٢-٩٣).

---

(١) سبق تخريجه.

أهوال القيامة (٢)

الخطبة الأولى:

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد . . .

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ تتمة لما سبق عن موضوع أهوال يوم القيامة.

عبد الله: تَذَكر أن الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء هو الذي سيسألك، وأن الكرام الكاتبين هم الشهود، ومن أنكر استنطق الله جوارحه، وأن المصير إمًّا إلى الجنة وإما إلى النار.

إن الإنسان ليصاب بنوع من الخوف والفزع إذا وقف أمام بشر مثله يستجوبه، وهو يعلم أنه مذنب، فكيف بذلك الموقف. . . حيث تبلى السرائر ولا ينفع الإنكار، واسمعوا هذا الحديث الآتي ففيه عبرة وعظة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟، قال: «هل تُضَارُّون في رؤية الشمس في الظَّهيرةِ ليسَتْ في سحابة؟»، قالوا: لا، قال: «فهل تضارُّون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟»، قالوا: لا، قال: «فوالذي نفسي بيده، لا تضارون في رؤية رَبِّكُمْ إلاَّ كما تُضَارُّونَ في رؤية أحدهما». قال: «فَيَلْقَى العبد فيقول: أي فُلَ. يعني يا فلان. ألم أُكْرِمك وأُسوِّدْك وأُزَوِّجْكَ وأُسَخِّرْ لكَ الخيلَ والإبل، وأَذَرْكَ تَرأَسُ وتَرْبَعُ؟ فيقولُ: بلى. فيقول: افظننتَ انكَ مُلاقِيَّ؟ فيقولُ: لا، فيقولُ: فإني انساكَ كما نَسيتَني، ثم يَلْقَى الثاني فيقولُ: أي فُلَ، ألم اكْرِمْك واسوِّدْك وازوِّجْك واسَخِّرْ لَكَ الخيلَ والإبلَ، واذَرْكَ تَرأَسُ وتَرْبَعُ؟ فيقولُ: بلى أيْ رَبِّ، فيقولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ ملاقيَّ؟ فيقولُ: لا، فيقولُ: فإنيُ انسَاكَ كَمَا نَسيتَني، ثم يَلْقَى الثالث فيقولُ له مثلَ ذلك، فيقولُ: يا ربِّ آمنتُ بِكَ وبِكِتَابِك وبِرُسُلِك وصَلَّيتُ وصُمتُ وتصدَّقتُ، ويُثْني بخيرِ ما استطاعَ، فيقولُ: هَهُنا إذًا، قال: ثم يقالُ له: الآن نَبْعَثُ شاهِدَنَا عليك، ويَتَفَكَّرُ في نفسِه: مَن ذا الذي يَشْهَدُ عليَّ؟ فَيُخْتَمُ على فيه، ويقالُ لِفَخذِهِ ولحمِهِ وعظَامِهِ: انطِقي، فتنطقُ فَخِذُهُ ولحمُهُ وعِظَامُهُ بعملِه، وذلك ليُعذِرَ مِنْ نفسِه، وذَلِكَ المنَافِقُ، وذَلِكَ الَّذِي يسخطُ اللهُ عليه»[(١)] .

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما منكم من أحدٍ إلا سيُكَلِّمهُ ربُّه ليس بينَهُ وبينَهُ تَرْجُمان، فَيَنْظُرُ أيمنَ منه فلا يرى إلا ما قدَّم من عمله، وينظرُ أشْأَمَ منه فلا يرى إلا ما قَدَّمَ، وينظرُ بينَ يَديهِ فَلاَ يَرَى إلاَّ النَّارَ تلْقَاءَ وجهِهِ؛ فاتقُوا النارَ ولو بشقِّ تمرةٍ»[(٢)] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن اللهَ يُدْني المؤمنَ فيضعُ عليه كَنَفَهُ ويَسْتُرُهُ، فيقولُ: اتعرفُ ذنبَ كذا؟ اتعرفُ ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي ربِّ، حتى إذا قرَّرهُ بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم.

فيعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين»[(١)].

عِبَادَ اللهِ . . . وإن مما يزيد في كرب يوم القيامة أنه يوم طويل كما قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ① لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ② مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ③ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (سورة المعارج:١-٤). فهو أيها الإخوة يوم طويل جدًا ولكن هذا اليوم يخفف على المؤمنين كما قال رسول الله ﷺ : **«يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر»**.

نسأل الله أن يجعلنا من عباده المؤمنين المتقين الناجين يوم القيامة، فلنتفكر - عباد الله - بهذه الأهوال ولنتذكر أن النجاة منها إنما تنال برحمة الله، ثم بصالح الأعمال، وأن الإنسان في ذلك اليوم سيندم لا محالة فإن كان محسنًا ندم على أن لم يزدد من الإحسان، وإن كان مسيئًا ندم على التفريط في العمل الصالح زمن الإمكان، وتذكروا تطاير الصحف في ذلك اليوم والإنسان لا يدري هل يأخذ كتابه بيمينه فيسعد سعادة أبدية أم يأخذه بشماله فيخسر خسارة لا تعدلها خسارة؟!.

قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ⑲ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ ⑳ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ㉑ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ㉒ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ㉓ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ㉔ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ㉕ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ㉖ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ㉗ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ㉘ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ㉙ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ㉚ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ㉛ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ㉜ إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ㉝ وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ㉞ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ㉟ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ㊱ لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ ﴾ (سورة الحاقة:١٩-٣٧).

---

(١) متفق عليه.

الخطبة الثانية:

الحمد لله جاعل العاقبة للمتقين، والخسران للعصاة المارقين، نحمده سبحانه وتعالى أن جعلنا مسلمين، ونسأله أن يبعثنا مع عباده الصالحين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اما بعد . . .

عباد الله . . . روى ابن أبي الدنيا عن ابن المبارك أنه أنشد في أهوال القيامة شعراً قال فيه:

وطارت الصحف في الأيدي منشرةً ✩ فيها السرائر والأخبار تَطَّلعُ

فكيف سهوك والأنباء واقعةٌ ✩ عما قليل، ولا تدري بما يقع

أفي الجنان وفوزٌ لا انقطاعَ له ✩ أم الجحيم فلا تبقي ولا تَدَعُ

تهوي بساكنها طوراً وترفعهم ✩ إذا رَجَوا مخرجًا من غَمِّهَا قُمِعُوا

طال البكاء فلم يُرْحَمْ تضرُّعهم ✩ فيها ولا رقية تغني ولا جَزَعُ

لينفع العلمُ قبل الموت عَالِمه ✩ قد سأل قومٌ بها الرجعى فما رجعوا

عباد الله . . . تذكروا الصراط حين يجعل على ظهر جهنم وهو مدحضة ومزلة، عليه خطاطيف وكلاليب يجوزه الناس على قدر أعمالهم، فمنهم من يجوزه كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب، فناجٍ مُسَلَّم وناجٍ مخدوشٍ ومكدوسٌ في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا، ودعاء الرسل يومئذ: «**اللهم سلِّم**». فليتفكر كل واحد منا بأنه مارٌّ على هذا الصراط من فوق جهنم، وأنه لا يدري ما مصيره هل ينجو أم يكبُّ في النار؟ عياذاً بالله من ذلك، قال الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (سورة مريم: ٧١-٧٢) بكى عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فقيل له: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: أما والله ما بي

حب الدنيا ولا صبابة لكم ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله - عزَّ وجلَّ - يذكر فيها النار ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ (سورة مريم: ٧١)، فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود، فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين فقال عبد الله بن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرةً ⁂ وضربةً ذات فرعٍ تقذف الزَّبدا

عِبَادَ اللَّهِ . . . اسألوا الله أن يوردكم حوض نبيه محمد ﷺ، فقد قال عنه رسول الله ﷺ: **«حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ بعدها أبداً»**[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تردُ أمتي على الحوض وأنا أذود الناس كما يذود الرجلُ إبلَ الرجلِ عن إبلِهِ»، قالوا: «يا نبي الله أتعرفنا؟»، قال: «نعم لكم سِيمَا ليست لأحد غيركم تردون عليَّ غراً مُحَجَّلِينَ من أَثَرِ الوضوء، ولَيُصَدَّنَّ عني طائفةٌ منكم فلا يصلون فأقول: يا ربِّ هؤلاء من أصحابي فيجيبني ملكٌ فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك»**[(٢)].

عِبَادَ اللَّهِ . . . ويحاسب الناس في ذلك اليوم على ظلمهم للآخرين، ولا يظلم ربك أحداً.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء تنطحها»**[(٣)]، وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينارٌ ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»**[(٤)].

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
(٢)، (٣) رواهما مسلم.
(٤) رواه البخاري.

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتدرون ما المفلس؟»، قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاعَ، فقال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضيٍ ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»[1].

عِبَادَ اللَّهِ . . . اعلموا أن هذه الأهوال تحتاج من الإنسان إلى عمل صالح خالص حتى ينجو منها ويسلم ويكون من أهل السعادة، من أهل الجنة الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

---

(١) رواه مسلم.

اختلاط الرجال والنساء

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيراً.

أما بعد . . .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن حكم اختلاط الرجال بالنساء وله ثلاث حالات:

الأولى ـ اختلاط النساء بمحارمهن من الرجال: وهذا لا إشكال في جوازه.

الثانية ـ اختلاط النساء بالأجانب لغرض الفساد: وهذا لا إشكال في تحريمه.

الثالثة ـ اختلاط النساء بالأجانب في دور العلم، والحوانيت، والمكاتب، والمستشفيات، والحفلات، ونحو ذلك: فهذا في الحقيقة قد يظن السائل في بادىء الأمر أنه لا يؤدي إلى افتتان كل واحد من النوعين بالآخر، ولكشف حقيقة هذا القسم فإنا نجيب عنه من طريق مجمل ومفصل.

اما المجمل: فهو أن الله تعالى جبل الرجال على القوة والميل إلى النساء، وجبل النساء على الميل إلى الرجال مع وجود ضعف بائن، فإذا حصل الاختلاط نشأ عن ذلك آثار تؤدي إلى حصول الغرض السيء، لأن النفوس أمارة بالسوء والهوى يعمي ويصم والشيطان يأمر بالفحشاء والمنكر.

واما المفصَّل: فالشريعة مبنية على المقاصد ووسائلها ووسائل المقصود الموصلة إليه لها حكمه، فالنساء مواضع قضاء وطر الرجال، وقد سد الشارع الأبواب المفضية إلى تعلق كل فرد من أفراد النوعين بالآخر، وينجلي ذلك بما نسوقه لك من الأدلة من الكتاب والسنة.

أما الأدلة من الكتاب فستة:

الدليل الأول ـ قال تعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (سورة يوسف:٢٣) وجه الدلالة أنه لما حصل اختلاط بين امرأة عزيز مصر وبين يوسف ـ عليه السلام ـ ظهر منها ما كان كامنًا فطلبت منه أن يوافقها، ولكن أدركه الله برحمته فعصمه منها وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (سورة يوسف:٣٤). وكذلك إذا حصل اختلاط بالنساء اختار كل من النوعين من يهواه من النوع الآخر وبذل بعد ذلك الوسائل للحصول عليه.

الدليل الثاني ـ أمر الله الرجال بغض البصر وأمر النساء بذلك فقال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾ (سورة النور: ٣٠-٣١) وجه الدلالة من الآيتين: أنه أمر المؤمنين والمؤمنات بغض البصر، وأمره يقتضي الوجوب، ثم بين تعالى أن هذا أزكى

وأطهر، ولم يعفُ الشارع إلا عن نظر الفجأة، فقد روى الحاكم في المستدرك عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة»[١].

وما أمر الله بغض البصر إلا لأن النظر إلى من يحرم النظر إليهنَّ زنا، فروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخُطا**»[٢].

وإنما كان زنا لأنه تمتع بالنظر لمحاسن المرأة ومؤد إلى دخولها في قلب ناظرها فتعلق في قلبه، فيسعى إلى إيقاع الفاحشة بها، فإذا نهى الشارع عن النظر إليهن لما يؤدي إليه من المفسدة وهو حاصل في الاختلاط فكذلك الاختلاط يُنهى عنه لأنه وسيلة إلى ما لا تحمد عقباه من التمتع بالنظر والسعي إلى ما هو أسوأ منه.

الدليل الثالث ـ الأدلة التي سبقت في أن المرأة عورة، ويجب عليها التستر في جميع بدنها، لأن كشف ذلك أو شيء منه يؤدي إلى النظر إليها، والنظر إليها يؤدي إلى تعلق القلب بها، ثم تبذل الأسباب للحصول عليها وكذلك الاختلاط.

الدليل الرابع ـ قال تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ (سورة النور:٣١) وجه الدلالة أنه تعالى منع النساء من الضرب بالأرجل وإن كان جائزًا في نفسه لئلا يكون سببًا إلى سماع الرجال صوت الخلخال فيثير ذلك دواعي الشهوة منهم إليهن، وكذلك الاختلاط يمنع لما يؤدي إليه من الفساد.

الدليل الخامس ـ قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (سورة غافر:١٩) فسرها ابن عباس وغيره: هو الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم ومنهم المرأة الحسناء

---

(١) قال الحاكم بعد إخراجه: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في تلخيصه وبمعناه عدة أحاديث.

(٢) متفق عليه: واللفظ لمسلم.

وتمر به فإذا غـفلوا لحظها فـإذا فطنوا غض بصره عنهـا، فإذا غفلوا لحـظ، فإذا فطنوا غض، وقد اطلع إليه من قلبه أنه لو اطلع على فرجها، وأنه لو قدر عليها فزنى بها.

وجه الدلالة أن الله تعـالى وصف العين التي تسارق النظر إلى مـا لا يحل النظر إليه من النساء بأنها خائنة فكيف بالاختلاط.

الدليل السادس ـ أنه أمرهن بالقرار في بيوتهن، قال تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ**﴾ (سورة الأحزاب:٣٣) وجه الدلالة أن الله تعـالى أمر أزواج رسول الله ﷺ الطاهرات المطهرات الطيبات بلزوم بيوتهن، وهذا الخطاب عام لغيرهن من نساء المسلمين، لما تقـرر في علم الأصول أن خطاب المواجهـة يعم إلا ما دلَّ على تخصيصـه، وليس هناك دليل يدل على الخصوص، فإذا كنَّ مأمـورات بلزوم البيوت إلا إذا اقتضت الضرورة خـروجهن، فكيف يقال بجواز الاختلاط علـى نحو ما سبق على أنه كَثُرَ في هذا الزمان طغيان النساء وخلعهن جلباب الحياء، واستهتارهنَّ بالتبرج والسفور عند الرجال الأجانب والتعري عندهم، وقل الوازع عند من أُنِيطَ به الأمر من أزواجهن وغيرهم.

وأما الأدلة على عدم جـواز اختلاط الرجال بالنساء من السنة فكثـيرة ونكتفي بذكر بعضها.

الأول ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل في النساء**»[1].

وجه الـدلالة أن النبي ﷺ أمر باتقـاء النساء ـ وهو يقـتضي الوجـوب ـ فكيف يحصل الامتثال مع الاختلاط؟! هذا لا يجوز.

(١) رواه مسلم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي أغلق أبواب الفتن وسد منافذها، وفتح أبواب الخيرات وبيّن أسبابها، فمن سلك طريق الهداية نجى، ومن سلك طريق الضلالة هلك، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته وسلم تسليمًا كثيراً.

أما بعد . . .

عباد الله . . . روى الإمام أحمد في المسند بسنده عن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي رضي الله عنهما أنها جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله: إني أحب الصلاة معك، قال: **«قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي»**[١]. قال: فأمرت فبني لها مسجد في أقصى بيت من بيوتها وأظلمه، فكانت والله تصلي فيه حتى ماتت، وروى ابن خزيمة في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إن أحب صلاة المرأة إلى الله في أشد مكان من بيتها ظلمة»**[٢]، وبمعنى هذين الحديثين عدة أحاديث تدل على أن صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد.

وجه الدلالة أنه إذا شرع في حقها أن تصلي في بيتها وأنه أفضل حتى من الصلاة في مسجد الرسول ﷺ ومعه حتى يمنع الاختلاط من باب أولى.

ومن الأدلة من السنة على عدم جواز الاختلاط: روى أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء»**[٣]، ووجه الدلالة أنه وصفهن بأنهن فتنة فكيف يجمع بين الفاتن والمفتون؟ هذا لا يجوز.

---

(١) حسن، «صحيح الترغيب» (١/ ١٣٥) رقم (٣٨٨).
(٢) رواه ابن خزيمة (١٦٩٢)، وحسنه الألباني انظر: «فيض القدير» (٤/ ٢٢٢).
(٣) البخاري (٩/ ١١٨).

وروى الطبراني في المعجم الكبير عن معقل بن يسار ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لأن يُطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير من أن يمس امرأة لا تحل له**»[1]. وجه الدلالة من الحديث أنه ﷺ منع مماسة الرجل للمرأة بحائل وبدون حائل إذا لم يكن محرمًا لها لما في ذلك من الأثر السيء، وكذلك الاختلاط يمنع لذلك.

وروى أبو داود في السنن والبخاري في الكنى بسنديهما عن حمزة بن السيد الأنصاري عن أبيه ﷺ: أنه سمع النبي ﷺ يقول وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال النبي ﷺ للنساء: «**استأخرن فإنه ليس لكنَّ أن تحققن الطريق**»، فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها.... هذا لفظ أبي داود، وجه الدلالة أن الرسول ﷺ إذ منعهن من الاختلاط في الطريق لأنه يؤدي إلى الافتتان فكيف يقال بجواز الاختلاط في غير ذلك؟!.

ومن أدلة منع الاختلاط: ما رواه البخاري في التاريخ الكبير عن ابن عمر ﷺ عن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لا تدخلوا المسجد من باب النساء**»، وجه الدلالة أن الرسول ﷺ منع اختلاط الرجال والنساء في أبواب المساجد دخولاً وخروجًا ومنع أصل اشتراكهما في أبواب المساجد سدًا لذريعة الاختلاط، فإذا منع الاختلاط في هذه الحال فإن ذلك من باب أولى.

وروى مسلم والترمذي وغيرهما بأسانيدهم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**»[2].

وجه الدلالة أن الرسول ﷺ شرع للنساء إذا أتين إلى المسجد فإنهن ينفصلن عن الجماعة على حدة ثم وصف أول صفوفهن بالشر والمؤخر منهن بالخير، وما ذلك إلا لبعد المتأخرات عن الرجال عن مخالطتهم ورؤيتهم وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم، وذم أول صفوفهن لحصول عكس ذلك ووصف آخر

---

(١) «صحيح الجامع» (٥٠٤٠).

(٢) قال الترمذي بعد إخراجه: حديث حسن صحيح.

صفوف الرجال بالشر إذا كان معهم نساء في المسجد لفوات التقدم والقرب من الإمام وقربه من النساء اللاتي يشغلن وربما أفسدت به العبادة وشوشن النية والخشوع، فإذا كان الشارع توقع حصول ذلك في مواطن العبادة مع أنه لم يحصل اختلاط فحصول ذلك إذا وقع اختلاط من باب أولى فيمنع الاختلاط من باب أولى.

وروى مسلم في صحيحه عن زينب زوجة عبد الله بن مسعود رضي الله عنها قالت: قال لنا رسول الله ﷺ: **«إذا شهدت إحداكُنَّ المسجد فلا تمس طيبًا»**، وروى أبو داود في سننه والإمام أحمد والشافعي في مسنديهما بأسانيدهم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تمنعوا إماءَ الله مساجد الله ولكن ليخرجن وهنَّ تفلات»**[1]، قال ابن دقيق العيد: فيه حرمة التطيب على مريدة الخروج إلى المسجد لما فيه من تحريك لداعية الرجال وشهوتهم وربما يكون سببًا لتحريك شهوة المرأة أيضًا، قال: ويلحق بالطيب ما في معناه كحسن الملبس والحلي الذي يظهره أثره والهيئة الفاخرة. قال الحافظ ابن حجر: وكذلك الاختلاط بالرجال.

عِبَادَ اللَّهِ . . . من تأمل ما ذكرناه من الأدلة تبين له أن القول بأن الاختلاط لا يؤدي إلى فتنة إنما هو بحسب تصور بعض الأشخاص وإلا فهو في الحقيقة يؤدي إلى فتنة ولهذا منعه الشارع حسمًا للفساد.

ولا يدخل في ذلك ما تدعو إليه الضرورة وتشتد الحاجة إليه، نسأل الله أن يهدي ضال المسلمين وأن يزيد المهتدي منهم هدى وأن يوفق ولا تهم لفعل الخيرات وترك المنكرات والأخذ على أيدي السفهاء، إنه سميع قريب مجيب.

---

(١) «صحيح الجامع» (٢/ ١٢٤٢) رقم (٧٤٥٧)، و«الإرواء» (٥١٥).

التوبة (١)

الخطبة الأولى:

الحمد لله غافر الذنب ،وقابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، والصلاة والسلام على رسول الله، معلم الإنسانية ومرشدها وهاديها إلى الحق وإلى طريق مستقيم، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . .

عباد الله . . . حديثنا اليوم عن التوبة، والموضوع طويل ينقسم إلى أربع خطب عن معنى التوبة وحقيقتها وفضلها وشروطها، نسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يعلمنا وينفعنا بما علمنا إنه سميع مجيب.

أما حقيقة التوبة: فهي شعور وجداني بالندم على ما وقع، وتوجه إلى الله فيما بقي، وكف عن الذنب، وعمل صالح يحقق التوبة بالفعل، كما حققها الفعل بالترك، فهي فعل وجودي يتضمن إقبال التائب على ربه وإنابته إليه والتزام طاعته، فمن ترك الذنب تركًا مجردًا ولم يرجع منه إلى ما يحبه الله تعالى لم يكن تائبًا إلا إذا رجع وأقبل وأناب إلى الله عزَّ وجلَّ، عقد الإصرار وأثبت معنى التوبة في الجنان قبل

التلفظ باللسان، وأدام الفكر فيما ذكره الله تعالى من تفاصيل الجنة ووعد به المطيعين، وما وصفه من عذاب النار وتوعد به العاصين، وواظب على ذلك حتى يقوى خوفه ورجاؤه، فيدعو الله تعالى رغبًا ورهبًا أن يقبل توبته، ويغسل حوبته، ويحط عنه خطاياه، وبهذا يكون قد حقق مدلول التوبة بالرجوع عما يكرهه الله إلى ما يحبه ويرضاه، بأن يتوب من الذنب ثم لا يعود إليه كما لا يعود اللبن إلى الضرع، ويندم بقلبه ويستغفر بلسانه ويمسك ببدنه، ويتقي الله تعالى ويعمل بطاعته على نور منه يرجو ثوابه ويخاف عقابه، ويرغب إلى خالقه وفاطره أن يقي نفسه شرها وأن يؤتيها تقواها ويزكيها فهو خير من زكاها، فإنه ربها ومولاها، وألا يكله إلى نفسه طرفة عين، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

وأما معاني التوبة فتأتي بمعنى الندم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (سورة الأحزاب:٧٣) وتأتي التوبة بمعنى الرجوع عن الشيء ومنه قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ (سورة الأعراف:١٤٣) أي: رجعت عن سؤالي الرؤية.

وأما فضل التوبة إلى الله: فقد أمر الله سبحانه بالتوبة فقال: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة النور:٣١)، ووعد بالقبول عليها فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ (سورة الشورى:٢٥)، وفتح لعباده أبواب الرجاء في عفوه ومغفرته وأمرهم أن يلجأوا إلى ساحات كرمه وجوده طالبين تكفير السيئات وستر العورات وقبول توبتهم، لا يطردهم من رحمة الله طارد، ولا يوصد بينهم وبين الله باب، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة الزمر:٥٣).

فمن تاب واستغفر تاب الله عليه؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ (سورة آل عمران:١٣٥).

وقد أثنى الله على عباده المتقين المداومين على الاستغفار فقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾ (سورة آل عمران: ١٧).

والتائب من ذنبه محل رعاية الله وأهل لحفظه ورحمته، يغدق عليه من بركاته ويمتعه بسعة الرزق ورغد العيش في الدنيا، وينعم عليه بالثواب العظيم والنعيم المقيم في الآخرة، قال تعالى في ثواب التائبين إليه: ﴿ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٦). ثم إن الاستغفار مع الإقلاع عن الذنوب سبب للخصب والنماء وكثرة النسل وزيادة العزة والمنعة، قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (سورة نوح: ١٠-١٢).

ففي الإيمان رحمة بالعباد، وفي الاستغفار مغفرة للذنوب، فعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غُفِرتْ ذنوبه وإن كان قد فرَّ من الزحف**»[١].

وباب التوبة مفتوح على مصراعيه تنسم منه نسمات الرحمة واللطف والنعم، قال تعالى: ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾ (سورة مريم: ٦٠-٦١).

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المتقين، وحجة الله على الناس أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

---

(١) رواه أبو داود (١٥١٧)، والترمذي (٣٥٧٢).

أما بعد . . .

عِبَادَ اللَّه . . . التوبة تنشيء الإيمان والعمل الصالح، فتحقق مدلولها الإيجابي الواضح، تنجي من ذلك المصير فلا يلقى أصحابها «غيًا» إنما يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئًا.

فما أعظم بركات الاستغفار والإنابة إلى الله، بهما تستنزل الرحمات وتبارك الأرزاق، وتكثر الخيرات، ويعطي الله الأموال والبنين ويغفر الذنب، ويمنح القوة والسداد والرشاد، والله عفو غفور تواب يقبل التوب ويغفر الذنب، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، فضلاً منه سبحانه وإحسانًا، فينبغي للعاقل أن يشتغل بطاعة ربه ولا يغفل طرفة عين عن مراقبته والخوف منه، وأن يستحضر عظمة الله دائمًا ويخشاه في السر والعلانية فعلمه محيط وغضبه شديد، يملأ قلوب الخائفين من غضبه أمنًا، ويعوض النادمين الآسفين على ما كان منهم بمحو السيئات وغفران الذنوب وقبول التوبة ورفع الدرجات.

وإذا كان عموم الناس محتاجين إلى التوبة، فلابد وأن يكونوا مشتغلين بها في كل حين وآن وقد دلت النصوص المتظافرة على أن المبادرة بالتوبة من الذنب فرض على الفور لا يجوز تأخيرها، وأن التوبة عند المعاينة لا تنفع، لأنها والحالة هذه تصبح توبة ضرورة لا اختيار، لهذا كان قبول التوبة حق على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب قبل أن تنقطع الآمال وتحضر الآجال، وتساق الأرواح سوقًا، ويغلب المرء على نفسه قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (سورة النساء: ١٧-١٨).

فمتى تاب التائب إلى الله نادمًا على ما فعل جادًا عازمًا باذرًا بذور التقوى والعمل الصالح راجيًا رحمة ربه، قبل الله توبته، لا يتركه منبوذًا حائرًا، ولا يدعه مطرودًا خائفًا بل يدله على الطريق ويأخذ بيده، ويسند خطواته، وينير له الطريق، ولا على العبد حينئذ سوى أن يعجل بالتوبة حتى لا تصير المعاصي رانًا وطبعًا لا يقبل المحو، وأن يعجلها قبل الموت أو المرض وليحذر المغرورون الذين يعملون السيئات ويصرون على المعاصي ويسوفون في التوبة حتى إذا حضر أحدهم الموت قال: إني تبت الآن وقد رسخت المعاصي في قلبه وأنست بها نفسه حتى صارت ملكات وعادات يتعذر أو يتعسر عليه الإقلاع عنها، حتى إذا جاءه الأجل الموعود فاضطر إلى التوبة بعد أن لجت به الغواية وأحاطت به الخطيئة فهو لا يتوب إلا لأنه لم يعد هناك متسع لارتكاب الذنوب، فهذه التوبة لا يقبلها الله لأنها لا تنشيء صلاحًا في القلب ولا استقامة في الحياة، ذلك لأنها توبة اضطرار لا اختيار، فهي كالتوبة بعد طلوع الشمس من مغربها ويوم القيامة، وعند معاينة بأس الله تعالى، فليبادر المؤمن بالتوبة إلى الله قبل أن يحضر الأجل وينقطع الأمل فيندم ولات ساعة مندم، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

واعلموا ـ يا عباد الله ـ: أن العبد إذا عمل المعصية وخطرت بباله التوبة فإنه ينبغي عليه أن يسارع إلى ذلك ولا يركن إلى التسويف والأماني، فإنه لا يدري متى تنقضي أيامه وتنقطع أنفاسه وتنصرم لياليه، وقد دعا القرآن الكريم إلى الاعتراف بالذنب والمبادرة بالتوبة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ (سورة النساء: ١٧).

فقبول هذه التوبة حق للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب، إنه حق كتبه الله على نفسه رحمة منه وفضلاً.

فالمبادرة إلى التـوبة من الذنب فرض على الفور ولا يجوز تأخيـرها، فإن أخرها وجب عليه أن يتوب، وتعد هذه توبة من تأخيـر التوبة، وأما شروط التوبة فالأول أن تكون خالصة لله ـ عزَّ وجلَّ ـ لأن الله سبحانه لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصًا له وحده مبتغيًا به وجهه وموافقة أمره باتباع رسله، فلابد أن يكون العمل خالصًا إلى الله صوابًا أي موافقًا للسنة إذ قد يكون العمل صوابًا ولا يكون خالصًا فلا يقبل، وقد يكون خالصًا ولا يكون صوابًا فلا يقبل أيضا.

وكان من دعاء عمر رضي الله عنه: **«اللهم اجعل عملي كله صالحًا واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا»**.

فيكون البـاعث على التوبة حب الله وتعظيمه ورجـاؤه والطمع في ثوابه والخوف من عقابه، لا تزلفًا إلى مخلوق ولا قصدًا في عرض من عرض الدنيا الزائل.

التــوبة (٢)

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستـغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يـهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فـلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . موضوعنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن التـوبة وهي الخطبة الثانية في هذا الموضوع نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من التائـبين إنه على كل شيء قدير، وأن يتقبلها منا إنه سميع مجيب.

عباد الله . . . **الشرط الثاني من شروط التوبة:** الإقلاع عن المعصـية، لأن النفس المشغولة بلذة المعصية قلما تخلص في عمل الخير،فيجاهد التائب نفسه لاقتلاع جذور الشر من قلبه حتى يصبح نقيًا خالصًا صافيًا تصدر عنه أعمال الخير بنية صالحة مقبولة عند الله، فإن كانت المعصية بفعل مُحرَّم تركه في الحال، وإن كانت بترك واجب فعله في الحال إن كـان مما يمكن قضاؤه ـ وإن كـانت مما يتعلق بحقـوق الخلق تخلص منها وأداها إلى أهلها أو استحللهم منها.

الثـالث من شـروط التـوبة: الندم على ما سلف منـه في الماضي، والإقلاع عنه في الحال، والعزم علـى ألا يعاود الذنب في المستقبـل، فلن تكون التوبة صحيـحة حتى يكون نادمًا آسفًـا حزينًا على ما بدر منه من المعاصي نَدَمًـا يوجب الانكسار بين يدي الله ـ عزَّ وجلَّ ـ والإنابة إليه.

والرابع من شروط التوبة: العزم الجازم على عدم معاودة الذنب، فيتوب من الذنب وهو يحدث نفسه ألا يعـود في المستقبل، والقصد لتدارك مـا فات وإصلاح ما يأتي، ودوام الطاعة ودوام تـرك المعصيـة إلى الموت، والعزم الجـازم أيضا على فـعل المأمور وترك المحظور، والتزام ذلك طيلة حياته.

والخـامس من شـروط التوبة: عدم الإصرار علـى المعصية: والإصرار هـو عقد القلب على شـهوة الذنب، والاستـقرار على المخـالفة والعزم عـلى المعاودة؛ لأن التوبة مع الإصرار توبة الكذابين، الذين يهجرون الذنوب هجرًا مؤقتًا يتحينون فيها الفرص المواتية لمعاودة الـذنب، وقد بقيت حلاوته في قلوبهم، يتمنون مقـارفته ما وجدوا السبيل إليه، وقد شرط الله لوجوب المغفرة ودخول الجنة عدم الإصرار على فعل الفـاحشة، قـال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٥-١٣٦).

والسـادس من شـروط التـوبة: أنها كـما تكون بالقلب والـلسان تكون أيضاً بـالعمل الصالح الذي يكون ترجمة عملية لما في قلب الإنسان إذ العمل الصالح ينشئ التعويض الإيجابي في النفس للإقلاع عن المعصية، فيعوض التائب ما صرفه من عمره في اللهو والمعصية بالعمل الصالح وفعل الطاعات ليمحق بذلك أثر الخطيئة والسيئات، فإذا تاب وأقلع عن الذنب دون أن يعوض ما فاته بأعمال صالحة لا يرجى فلاحه، فليؤد التائب الفرائض وجميع شعب الإيمان البضع والسبعين قدر المستطاع.

السابع من شروط التوبة: أن يستمر التائب في توبته، ولا يأتي بما ينقضها ويخالفها، إذ الاستمرار في التوبة شرط في صحة كمالها ونفعها.

الثامن من شروط التوبة: أن تصدر في زمن قبولها. وهو ما قبل حضور الأجل وطلوع الشمس من مغربها.

بهذا يتضح أن التوبة كل متكامل يفقد خصائصه كلها حين يفقد أحد أجزائه، كالمُركَّب يفقد خواصه كلها إذا فقد أحد عناصره، فمن أتى بشرط وأغفل آخر لا يعتد بتوبته ما لم يحقق بقية الشروط، والله المستعان. وأما وقت التوبة ونهاية وقتها فالتوبة مقام يستصحبه العبد من أول ما يدخل فيه إلى آخر عمره، وعموم الناس محتاجون إلى التوبة دائماً، وعلى الخلق جميعًا أن يتوبوا وأن يستديموا التوبة قال الله تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (سورة النور: ٣١). والأمر عند إطلاقه يستلزم الوجوب، فالتوبة واجبة وجوبًا مطلقًا مدى العمر ووقتها مدة العمر. وهي غاية كل مؤمن، وقد قال الله لأفضل الأنبياء ﷺ، ولأفضل الخلق بعد الأنبياء: ﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة التوبة: ١١٧). والعبد محتاج إلى التوبة والاستغفار مطلقًا في كل وقت وحين فإذا كان النبي ﷺ قد أمر أن يختم أعماله بالتوبة والاستغفار في قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (سورة النصر). فغير النبي ﷺ أحوج إلى هذا منه، فليجمع العبد همته وعزمه، وليحاسب نفسه وليتب إلى الله حتى الممات.

فباب التوبة مفتوح يثوب إليه الشاردون فيستردون أنفسهم من تيه الضلال، ويعملون عملاً صالحًا إن قدر لهم امتداد في العمر قبل أن يأتي يوم لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا، ويبدأ وقت التوبة عندما يستشعر القلب جلال ربه وعظمة خالقه فيعلن التوبة بالرجوع إلى الله تعالى بسلوك

صراطه المستقيم الذي نصبه لعباده موصلاً إلى رضوانه وأمرهم بسلوكه بقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (سورة الأنعام: ١٥٣). فيتوب قبل أن يتبين له الموت أو المرض وينشيء بتوبته صلاحًا في القلب وصلاحًا في الحياة ما دام مكلفًا، فالرجاء حينئذ باق ويصنع منه الندم والعزم على ترك الفعل وهذا هو المقصود بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (سورة النساء: ١٧). أي الذين يرتكبون الذنوب ويضلون طريق الهدى عن جهالة طال أمد ذلك أم قصر مادامت تلكم الجهالة لا تستمر حتى تبلغ الحلقوم؛ لأن الروح إذا فارقت الجسد قبل الغرغرة فلا تبقى له نية ولا قصد صحيح ومع سعة رحمة الله تعالى وشمول عفوه وقبول توبة التائب تفضلاً منه ومنة في كل وقت وحين، إلاَّ أنه سبحانه حجب باب التوبة عن الذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال: إني تبت الآن. . . فهذا الصنف من الناس ليس داخلاً في حكم التائبين؛ لأنه يتدنس بالمعاصي ويلج في الغواية حتى إذا عاين الموت وصار في حين اليأس أنشأ توبة بعد أن أحاطت به الخطيئة وانقطعت عنه أسباب النجاة فأنى له ذلك.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين وحجة الله على الناس أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

عباد الله . . . لا يجوز تضييع الوقت بالانشغال بالمعصية أو اللغو أو الإعراض عن واجب أو فرض. عن صفوان بن عسال قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن من قبل المشرق بابًا مفتوحًا عرضه سبعون سنة فلا يزال ذلك الباب مفتوحًا للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه، فإذا طلعت من نحوه لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»**[1].

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٦٠)، «صحيح الجامع» (٥١٨١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله ـ عزَّوجلَّ ـ ليقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[١]. فالبدار البدار، إلى التوبة قبل الفوات، والحذر الحذر من فعل السيئات قبل أن يقول المذنب ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠).

وأما الذنوب والمعاصي التي يجب التوبة منها فإن الإسلام يعتمد في إصلاحه العام على تهذيب النفس الإنسانية قبل كل شي فهو يكرس جهودًا ضخمة في أعماقها وغرس توجيهاته في جوهرها، والعوامل المسلطة على الإنسان من داخل كيانه ومن خارجه كثيرة فالنفس أمارة بالسوء، والشيطان يقعد للإنسان كل مرصد ويقطع عليه كل طريق فيه فلاحه وسعادته وبحكم ما ركب في الإنسان من غرائز وميول وشهوات سرعان ما ينحرف عن التوازن السليم ويقع في المعصية ويسرف في الذنب، ثم إن دواعي الطبع ،وإرادات النفس وشهواتها المنحرفة مصدرها إما جهل وإما ضعف إذ لا يصدر الذنب إلا عن جهل بآثاره وموجباته أو يكون عالمًا بذلك لكن فيه ضعف وعجز عن محوه من قلبه بالكلية، ولا شيء يمسح صدأ النفس ويغسلها من أدرانها ويعيدها إلى نقاءها وصفائها أفضل من التوبة إلى الله والعودة إلى أفياء الطاعة وظلال الاستسلام ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠١).

ولا يسمى العبد تائبًا ما لم يتخلص من جميع أجناس المحرمات وأصناف الذنوب ويتحصن ويتحرز من مواقعتها ومنها.

أولاً ـ الشرك بالله، وهو أعظم الذنوب وهو أن يتخذ من دون الله ندًا يحبه كما يحب الله تعالى فيدعوه ويستعين به، ولا يُغْفَرُ الشرك إلا بالتوبة منه وتجريد التوحيد

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حديث حسن، وانظر: «صحيح الجامع» (١/ ٣٨٦) رقم (٦٠٣)، و«المشكاة» (٢٣٤٣).

لله تعالى سواء من الأكبر أو الأصغر كيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله تعالى: وكقول الرجل للرجل: ما لي إلا الله وأنت، وتوكلت على الله وعليك؛ فعلى التائب تجديد التوحيد لله ومعاداة المشركين في الله والتقرب بمقتهم إلى الله، واتخاذ الله وحده وليًا، إلهًا ومعبودًا ونصيرًا ووكيلاً وحافظاً ومستعانًا وإخلاص القصد لله، متبعًا لأمره مجتنبًا لنواهيه طالبًا لمرضاته، ومما يتاب منه الكفر وهو ذنب عظيم وجرم كبير، بسببه تحبط الأعمال ويخلد مرتكبه في أعظم العذاب وأشد العقاب، وأنواعه مفصلة مبينة في غير هذا المقام، ومع هذا فإن الله فتح باب التوبة لمن انتهى عن كفره وعناده فأسلم وأناب إليه قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ ﴾ (سورة الأنفال: ٣٨).

التــوبة (٣)

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . موضوعنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن التوبة، وهي الخطبة الثالثة في هذا الموضوع نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من التائبين إنه على كل شيء قدير، وأن يتقبلها منا إنه سميع مجيب.

عباد الله . . . من المعاصي التي يتاب منها النفاق، وهو الداء العضال الباطن الذى يكون الرجل ممتلئاً منه وهو لا يشعر فإنه أمر خفي على الناس، وكثيرًا ما يخفى على من تلبس به فيزعم أنه مصلح وهو مفسد، وهو من الأمراض الباطنة التي تعتري المرء، وإذا لم يعالجه بالتوبة لم يلق الله تعالى بقلب سليم ـ أعاذنا الله من النفاق في

القول والعمل ـ قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ﴾ (سورة النساء: ١٤٥).

ورحمة الله واسعة لا تضيق بالواردين، وفضله واسع يعم التائبين، فمن أراد أن ينيب إلى الله ويعتصم بالله ويتبرأ من النفاق وأهله فلا عليه إلا أن يحقق مدلول الآية: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (سورة النساء: ١٤٦).

فشرط في توبة المنافق الاعتصام بالله ليتخلص من تلك المشاعر المذبذبة والأخلاق المتخلخلة وإخلاص الدين لله وتجريده من شوائب الرياء وبذا يرتفع التائب إلى مصاف المؤمنين ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (سورة النساء: ١٤٦).

وتجب التوبة من الفسوق بكل أنواعه سواءً كان فسوقًا في العمل مقرونًا بالعصيان أو مقرونًا بارتكاب ما نهى الله عنه وعصيان أمره، أو فسوقًا في الاعتقاد كفسق أهل البدع والخرافات، وبتحقيق التقوى تصح التوبة، بأن يعمل العبد بطاعة الله على نور من الله يرجو رحمته ويخاف عقابه، ويهجر المعصية ويعتصم بالكتاب والسنة، ويعصي دواعي الطبع والشهوة ويقهرها بسلطان الطاعة والخوف من الله.

وتجب التوبة من البدع، والبدع هي تلك الطرائق المخترعة التي ليس لها مستند من كتاب أو سنة أو ما استنبط منهما ويقصد منها التعبد ، وتوبة المبتدع تكون بأن يعلم أن ما هو عليه بدعة فيعترف بها ويرجع عنها واعتقاد ضد ما كان يعتقد منها، أما إذا زين له سوء عمله فرآه حسناً فلا توبة له ما دام يرى ذلك حسناً، والتوبة من البدع ممكنة على كل حال بأن يهديه الله يشرح صدره للحق، ويرشده لأحكام الشرع وقواعد الدين حتى يتبين له الحق فيستقيم عليه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً (٦٦) وَإِذاً لآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيماً (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً ﴾ (سورة النساء: ٦٦-٦٨).

وتجب التوبة من الزنا والقذف، ويضم إلى التوبة إلى الله الإحسان إلى زوج المزني بها بالدعاء والاستغفار له، والتصدق عنه، ونحو ذلك مما يكون ذابا إيذاءه له في أهله.

وكذا القذف يكون بالندم على قذفه له والإحسان إليه والاستغفار له وذكر المقذوف بضد ما قذفه به.

وتجب التوبة من الربا، وتكون بأخذ رأس المال ورد الربح إن كان قد أخذه والانتهاء عن المعاملات الربوية بالكلية.

وتجب التوبة من الظلم، والظلم نوعان: النوع الأول ظلم النفس: ويكون بترك واجب أو فعل محرم، والتوبة والاستغفار يكون من ترك المأمور وفعل المحظور؛ فإن كليهما من السيئات والخطايا والذنوب، فيتدارك المرء ما فاته من واجبات فيؤديها ويقلع عن فعل المحرم أيًا كان، وترك الإيمان والتوحيد والفرائض التي فرضها الله على القلب والبدن من الذنوب أيضاً، فعلى التائب أن يرجع إلى حقيقة التوحيد والإيمان ويؤدي الفرائض التي فاتته من صلاة وصيام وزكاة وحج ونحوها، وإذا كان فعل الإنسان إما له أو عليه فهو يستغفر الله مما عليه، وقد يظن ظنون سوء باطلة وإن لم يتكلم بها فإذا تبين له فيها استغفر الله وتاب من كل ما في النفس من الأمور التي لو قالها أو فعلها عُذِّبَ.

والنوع الثاني من الظلم: ظلم الغير، يكون في دم أو مال أو عرض، فإنه لابد من إيفاء الحق ما دام قادراً على ذلك، فإن كان قد أخذ المال على سبيل الدين فهو مدين لصاحبه حتى يؤدي ما عليه فإن مات فروحه مرهونة بدينه حتى يقضى عنه، وإلا فالقضاء يوم القيامة من حسناته إن كانت له حسنات، وإلا أخذ من سيئات غريمه فطرحت عليه ثم طرح في النار، وهذا مما يحتم على المسلم الاهتمام بأمر التوبة وخاصة من حقوق العباد، ويجب على العبد أن يرجع إلى الحق ويتحراه، ويتبرأ من نوازع النفس وشوائب الهوى، وأن يستغفر الله ذاكراً له في كل حين وآن وألا يصر على ما فعل ويتبجح بالمعصية في غير حياء، وبذا يغفر الله له ذنبه، ويجبر زلته،

وينظمه في سلك عباده المتقين، الذين قال في شأنهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٥).

عباد الله . . . ينبغي على كل ذي لب وفطنة أن يحذر مغبة المعاصي وعواقب الذنوب إذ أن الذنوب سموم مهلكة ولها تأثيرات قبيحة ومرارتها تزيد على حلاوتها أضعافاً مضاعفة، والعاقل من أعد لنفسه زاداً يتوصل به إلى ربه فإنه ليس بين العبد وبين الله تعالى قرابة ولا رحم، وإنما هو سبحانه قائم بالقسط حاكم بالعدل، فمع أنه غفور رحيم، لكنه ذو عذاب أليم! فالحذر الحذر.

ومن الأسباب التي تزيل أثر تعلق القلب بالذنب؛ ما يأتي: أولاً. اعلم أن الذنب إما يكون بسبب الغفلة فطرق علاجه العلم، فعلى التائب أن يسلك طريق الهداية من تعلم العلم وتعليمه والدعوة إليه والعمل به، ويعتقد أن الذنوب مضرة يجب تركها، ويتذكر إنذارات القرآن الكريم ووعيده للعاصين وما جرى للعصاة على اختلاف الأمم بسبب ذنوبهم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي قدر فهدى، والذي أخرج المرعى، نحمده سبحانه وتعالى حمد الشاكرين، ونسأله التوبة في كل وقت وحين، والصلاة والسلام على إمام التائبين وعلى آله وصحبه وسلم. أما بعد:

عباد الله . . . إن كان الذنب بسبب غلبة الشهوة ونوازع النفس، فطريق علاجه الصبر واحتساب الأجر عند الله تعالى. وما أطفأ لعبد جمرة الغضب والشهوة بمثل الوضوء والصلاة، فليتوضأ وليصل وليعمر أوقاته بتقوى الله ويزكي نفسه بطاعته ـ تعالى ـ ويطهرها من خبائث الأخلاق وذميم الخصال، وعلى المسلم أن يعتصم بالله: فمن اعتصم به سبحانه ولجأ إليه في كل أحواله تولاه ونصره على عدويه اللذين لا

يفارقانه أبدًا ـ وهما النفس والشيطان الرجيم ـ ولم يخذله أبدًا قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة آل عمران:١٠١). وأن يعتصم بحبل الله وهو القرآن الكريم، ويعمل بأوامره وأحكامه، ويهتدي به، ويداوم على النظر فيه والاتعاظ بأخباره.

وعليه أن يخاف تعجيل العقوبة في الدنيا فقد يُحرم العبد الرزق بالذنب يصيبه، وكذلك يخاف الفقر والمرض إن هو أصر على عصيانه. وعلى المسلم أن يطيب مطعمه ولا يأكل إلا حلالاً، فالعبادة مع أكل الحرام كالبناء على أمواج البحر. وعلى العبد أن يذكر أنه قائم بين يدي الله غدًا يحاسبه على كل أعماله، فينظر إلى لذة المعصية التي نالها قد ولّت، والعقوبة عليها قد حلت، فينهر نفسه ويخاف الذنوب التي عملها، ويقطع كل سبب يبعده عن الله تعالى.

وعلى كل مسلم أن يذكر سرعة لقاء ربه، فهو يتوقع في كل لحظة نزول الموت به، وما بعد الموت من مستعتب. وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار، ويتفكر في أمر المعاد وهول المطلع وشدة بطش الله تعالى وأليم عذابه.

وعلى التائب إلى الله البعد عن قرناء السوء، وتخير الأصحاب واستبدالهم بجليس صالح يذكره بالله ويدله عليه، والعلماء في كل عصر مصابيح الدجى فعليه بمجالستهم والتزود من علمهم وتوجيهاتهم، وسيجد بذلك الربح الوفير والخير الكثير إن شاء الله.

وعلى التائب أن يستعيذ بالله من شر وساوس الشيطان الرجيم قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (سورة فصلت:٣٦).

وعلى التائب أن يكثر من الاستغفار فهو من أكبر الحسنات، فمن أحس بتقصير في قوله أو عمله أو غلبة الهوى على نفسه أو تغير حاله في رزقه أو غيره فعليه بالتوبة والاستغفار ففيهما الشفاء إذا كانا بصدق وإخلاص. وعلى التائب إلى الله

إمساك فضول النظر والكلام والطعام وطاعة الله حيثما كان وأينما كان، واتباع السيئة بالحسنة، وعدم الإصرار على الذنب قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (سورة هود: ١١٤).

والتوبة ـ يا عباد الله ـ فرض عين في حق كل شخص، ولا يتصور أن يستغني عنها أحد من البشر، لأنه إن خلا عن معصية فلا يخلو عن الهم بالذنب بالقلب، وإن خلا فلا يخلو عن وساس الشيطان بإيراد الخواطر الصارفة عن ذكر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ حتى وإن خلا منها فلا يخلو عن غفلة وقصور بالعلم بالله وبصفاته وأفعاله. لذا فكل إنسان مفتقر إلى التوبة والرجوع عن التعويج الذي وجد إلى سنن الطريق المستقيم ولكن ما هي الوسائل المعينة للإنسان على التوبة إلى الله؟ إنها كثيرة منها:

١ ـ أن يتدارك ما فاته من العبادات كلما أمكن ذلك.

٢ ـ أن يقبل على الله ويعمل لطلب مرضاته ويتدبر عظيم قدر مولاه وقدر رضاه وسخطه وما وعد به الطائعين وتوعد به العاصين، ويداوم على ذلك حتى يستنير قلبه ويعود إلى أصله الذى فطره الله عليه. ومما يعين على التوبة البدار إلى محاسبة النفس ويكون بالتوبة عن كل معصية توبة نصوحا قبل الموت، ويتدارك ما فرط من تقصير في فرائض الله عزَّ وجلَّ، ورد المظالم إلى أهلها، واستحلال كل من تعرض له بلسانه ويده وسطوته بقلبه. وتذكر ما سلف من جناية نفسه عليه. ويوقن أن في طاعتها هلاكه يوم معاده وأن في عصيانها نجاته في آخرته، فيعزم بقلبه على تأديبها ويواظب على توقيفها والإلحاح على معاتبتها، ويداوم على موعظتها وتذكيرها بربها الذي لابد لها من المصير إليه.

ومما يعين على التوبة عزل النفس عن مواطن المعصية ومفارقة قرناء السوء ومقاطعتهم ما داموا على حالهم واستبدالهم بصحبة أهل الخير الذين يذكرونه إذا نسي، ويعينونه إذا ذكر، ويقوِّمونه إذا اعوج، ويقودونه إلى الحق وإلى الطريق المستقيم.

التـــوبة (٤)

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستـغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يـهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فـلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . موضـوعنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن التوبة، وهي الخطبـة الرابعة في هذا الموضـوع نسأل الله أن يجـعلنا وإياكم من التـائبين إنه على كل شيء قـدير وأن يتقبلها منا إنه سميع مجيب.

عباد الله . . . ومن الوسائل المعينة على التـوبة إلى الله أن يصدق التائب إلى الله في النيـة مع الله في الرجوع إليـه بإصـلاح العمل ظاهرًا وباطـنًا وأن يطهر قلبـه من الإصرار ـ وهو عـقد القلب على شهـوة الذنب حتى ولو أقلع عنه ـ والتطهـير يكون بإدمان معاتبة النفس وتخويفها وتذكـيرها بإنذارات القرآن وبأخبار العصاة، وحكايات

من جرت عليهم المصائب بسبب ذنوبهم، وخوف تعجيل العقوبة في الدنيا وحرمان الرزق الحسي والمعنوي بسبب المعاصي، وأن ينهي كل ذنب بنوعٍ من التوبة ولا يتمادى في الذنوب إتكالاً على فضل الله تعالى ورجاء عفوه، فمع أنه سبحانه غفورٌ رحيم لكن عذابه هو العذاب الأليم!! ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (سورة النور:٦٣). وليرج المؤمن العون في الهداية إلى الخير ويشعر بأن قلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن سبحانه وتعالى.

وأما من رابى فعليه أن يأخذ رأسَ ماله فقط ويرد ما ربحه فلا يأكله ولا يؤكله مسلمًا، وإن كان الذنب من مظالم العباد كأن يكون قد أخذ مالاً بغير طريق شرعي أو غصبه من صاحبه فلابد من رده إليه والخروج عنه ما دام قادرًا على ذلك وإلا يعزم على رده إذا قدر في أعجل وقت وأسرعه عينًا كان أو غيره، وإن لم يعثر له على صاحب معين أو له صاحب وأيس من تحصيله صرفه في مصلحة للمسلمين على نية صاحبه، وهو بذلك مأجور ـ إن شاء الله تعالى ـ وعلى من تاب إلى الله أن يعمل عملاً صالحًا خالصًا لله تعالى موافقًا لسنة رسوله ﷺ، وأن يسلك طريق الهداية من تعلم العلم وتعليمه والدعوة إليه والعمل به وأن يلزم طاعة الله تعالى في كل حركة وسكنة من حياته، مع حسن الظن به، والوثوق برحمته وعدم القنوط من عفوه

واعلموا ـ يا عباد الله ـ أن هناك أسبابًا صارفةً عن التوبة، إذ أن النفس البشرية تنزع إلى الطبيعة البدنية وتُغوى باللذات والشهوات الجسمية، والمعاصي تُضعف القلب عن إرادة الخير وبذا تقوى فيه إرادة المعصية وتضعف إرادة التوبة شيئًا فشيئًا إلى أن تنسلخ منه بالكلية، والمعاصي تزرع أمثالها، ويولد بعضها بعضًا. وما ذاك إلا لعدة أسباب منها:

١ ـ اعتماد العبد على سعة رحمة الله تعالى وكرمه وعفوه، حتى إن بعض المذنبين من الناس إن كلمته ناصحًا أو زاجرًا له عن الآثام رد عليك بأن رحمة الله واسعة وغفرانه يسع الذنوب كلها، ونسي هذا المسكين أن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ كما أنه واسع المغفرة فهو ـ تبارك وتعالى ـ شديد العقاب!! وأنه لا يُرد بأسه عن القوم المجرمين، ومن اعتمد على العفو مع الإصرار على الذنب فهو كالمعاند والمكابر.

٢ ـ أن الشهوة لذة ناجزة والنزوع عن هذه اللذة العاجلة لخوف فوت الآجلة شديد على النفس.

٣ ـ التسويف والاغترار بالأماني.

٤ ـ الحرص على جمع المال، وصرف الجهد لتحصيله، وتركيز الفكر حوله وانشغال القلب بموارد المال ومصادره، مما يؤدي إلى الغفلة عن المصير المحتوم ونسيان الاستعداد لما بعد الموت.

٥ ـ الغفلة والجهل اللذان يدفعان العبد على الفرح بشهوته المحرمة، وهذا الفرح دليل على شدة الرغبة فيها والجهل بقدر من عصاه والجهل بسوء عاقبتها وعظم خطرها.

٦ ـ استصغار الذنب مما يسبب عدم الخوف من الله تعالى.

واعلموا أن لصدق التائب علامات، فلا يعتبر مجرد التلفظ بالتوبة دليلاً على الصدق فيها ما لم يأت التائب بعلامات تكون ترجمة عملية للتوبة وبما يحقق وجودها الفعلي الذي ترجى معه المغفرة والقبول، فمن قال: قد تبت. لا يجتزأ بقوله حتى تُضاف إلى ذلك أفعاله المحققة للتوبة.

ومن العلامات الدالة على صدق التائب:

١ ـ الإقلاع الفعلي عن الذنب، والأخذ في مقابله من أعمال الطاعة، وهذا دليل حساسية القلب وانتفاضه وشعوره بالإثم ورغبته في التوبة.

٢ ـ العزم والقصد لتدارك ما فات وإصلاح ما يأتي، فإن كان الماضي تفريطًا في عبادة قضاها أو مظلمة أداها أو خطيئة لا توجب غرامة حزن إذ تعاطاها، وهذا دليل على تعظيم الله في قلبه واشتداد خوفه منه، ورجائه إياه، وطمعه فيما عنده.

٣ ـ أن تضيق الأرض عليه كما ضاقت على كعب بن مالك وصاحبيه فيستولي عليه الحزن فيشغله عن اللهو والضحك.

٤ ـ أن يكون حاله بعد التوبة خيرًا مما كان قبلها.

٥ ـ أن لا يأمن مكر الله طرفة عين، فيصحبه الخوف طيلة حياته ويستمر على ذلك حتى يسمع قول الرسل لقبض روحه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (سورة فصلت: ٣٠).

٦ ـ أن يتقطع قلبه ندمًا وخوفًا وحسرةً على ما فرط منه وخوفًا من سوء عاقبته.

٧ ـ أن يذكر دائماً سرعة لقاء ربه ويترقب في كل لحظة نزول الموت به وأنه أقرب إليه من شراك نعله.

٨ ـ ومن أقوى علامات صدقه في التوبة محبة الله ورسوله ﷺ ومحبة المؤمنين فيه والإتيان من العمل بما تقتضيه هذه المحبة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب ذي الطول، نحمده سبحانه حمد الشاكرين، ونصلي ونسلم على إمام المرسلين وخاتم النبيين ﷺ وعلى آله وصحابته أجمعين. أما بعد:

عباد الله . . . إن الإنسان قد يستحضر ذنبًا أو ذنوبًا معينة فيتوب منها وقد يتوب توبة عامة ينوي بها الإقلاع عن جنس الذنوب كلها وما يكرهه الله، والندم على ذلك والرجوع إلى الطاعة بالكلية؛ وتفصيل ذلك:

أولاً ـ إذا تاب من ذنب وهو مصر على آخر من نوعه، كأن يتوب من شرب الحشيشة وهو قائم على شرب الخمر، أو يتوب من الزنا بامرأة وهو مصر على الزنا بغيرها مثلاً فتوبة من هذا حاله غير صحيحة، لأنه لم يتب من الذنب وإنما عدل عن نوع منه إلى نوع آخر منه ـ أيضًا ـ ولا يدخل في مسمى التائب.

ثانيًا ـ أن يتوب عن ذنب بعينه مع مباشرة آخر لا تعلق له به ولا هو من نوعه مثل أن يتوب عن بعض الذنوب دون بعض، كأن يتوب من قتل النفس وأكل أموال اليتامى وهو مقيم على شرب الخمر وفعل الفاحشة، فهذه هي التوبة الخاصة، وحكمها أنها تصح فيما يتاب منه شريطة أن يكون المتروك ليس شرطًا في صحة المفعول كالإيمان المشروط في غيره من الأعمال، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً﴾ (سورة الإسراء: ١٩).

أما ما لم يتب منه فهو باق عليه حتى يتوب منه، إذن: فكل ذنب له توبة تخصه، وهي فرض منه لا تتعلق بالتوبة من الآخر، كما لا يتعلق أحد الذنبين بالآخر، فلو أتى مثلاً بفرض وترك فرضًا آخر استحق العقوبة على ما تركه وأثيب على ما فعله، ولا يكون ما ترك موجبًا لبطلان ما فعل كمن أتى بالصلاة والزكاة وترك الصوم أو الحج مثلاً.

ثالثًا ـ أن ينتهي عن جميع الذنوب فينشئ توبة تستغرق كل ما رآه ذنبًا فهذه هي التوبة العامة التي لم تبق ذنبًا إلا تناولته، فمن هذه حاله غفرت ذنوبه كلها شريطة أن يلتزم بعد التوبة بفعل ما أمر الله به ـ تبارك وتعالى ـ وترك ما نهى عنه، ويندم على ما فرط في أي أمر أو ترك صغيرًا كان أو كبيرًا ويحقق بقية شروط التوبة، وإذا كانت التوبة ـ يا عباد الله ـ واجبة على كل مكلف فإنه لابد وأن تكون كاملة تعم جميع الذنوب وتستغرقها، بحيث لا تدع ذنبًا إلا تناولته، ولا معصية إلا مَحَتْ أثرها من القلب كما يمحو ضوء النهار ظلام الليل، توبة يجمع فيها العبد كل عزمه وإرادته مبادرًا بها عازمًا على المضي فيها إلى آخر عمره، مقلعًا عن الذنب وهو يحدث نفسه ألا يعود إليه كما لا يعود اللبن إلى الضرع.

توبة تبدأ بالندم وتنتهي بالعمل الصالح والطاعة، وتظل تذكر القلب بعدها وتخلص من رواسب المعاصي وعكارها، وتحضه على ألا يعود إلى الذنب أبدًا، وأن

تكون لله، لا حفظًا للصحة أو المال أو حرصًا على حظ من متاع الدنيا أو خوفًا من عقاب أحد أو سطوة قانون أو عدم وجود ما يعينه على المعصية، ولكن يهجر الذنب لأنه يغضب الله ورسوله ﷺ .

وأن تستغرق الذنوب كلها فلا تصح من ذنب أصر على مثله، لأن قبول الله لأعمال البر من عبد يقيم على المعصية غير محقق والنفس المشوقة بلذة المعصية قلما تخلص عمل الخير، والقلب الملوث بالشهوات يستحيل أن يخلص العمل الصالح إذا كثر عليه الران من تتابع الذنوب وتشبعه بها، والعبد مطالب بترك الشر كله وتركه الشر يدفعه إلى عمل الخير من تلقاء نفسه، فإذا تاب العبد من الكذب فلا يصح أن يقيم على الزنا أو الكبر مثلاً، بل عليه إذا تاب من هذه الخصلة أن ينجر إلى غيرها حتى يقتلع جميع الجذور الشريرة من قلبه.

ثم اعلم ـ أرشدني الله وإياك إلى البر ـ أن على كل عضو من أعضاء الإنسان توبة، فتوبة العين كفها عن النظر إلى المحارم، وتوبة اليد كفها عن تناول المحرم، وتوبة السمع كفه عن سماع المحرم وتوبة الفرج كفه عن الزنا وهكذا.

وأن يستدرك العبد ما فاته، فيؤدي كل فرض ضيعه ويرد إلى كل ذي حق حقه من المظالم، ويشغل البدن الذي استعمله في السحت والحرام بطاعة الله تعالى وامتثال أوامره والتغذي بالحلال والبعد عن مواطن الشبهات والحرام، واعلم ـ يا عبد الله ـ أن العاقل من قمع نفسه عن غيها، وردها إلى طاعة ربها، ورجع إلى الصراط السوي واهتدى بنور الكتاب المبين، وهدي سيد المرسلين ﷺ .

التحذير من المحرمات

الخطبة الأولى:

الحمد لله ذي العز والكمال، والكبرياء والجلال، أنعم على عباده بالطيبات من الحلال، ونهاهم عن كل ما يعود عليهم وباله في الحال والمآل، أحمده سبحانه على كل حال، وأشكره على سوابغ الإنعام والإفضال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، اللهم صل وسلّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الأخيار. أما بعد . . .

عِبَادَ اللَّهِ . . . اتقوا الله تعالى في السر والعلانية واحذروا سخطه وأليم عقابه، فإن الله يعلم السر وأخفى ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ (سورة غافر: ١٩).

﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ ﴾ (سورة يونس: ٦١).

﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (سورة الأنعام: ٥٩).

ألا فليتق الله عبد يخاف عقاب ربه ويرجو ثوابه، ويبتعد عن الظلم والعدوان وعن تعاطي ما حرم الله عليه ونهاه عنه؛ وهو يعلم أن الله مطلع عليه في خلوته وجلوته وأنه سيجزيه بعمله، إن خيراً فخير وإن شراً فشرٌ.

إن كثيراً من الناس اليوم يقدمون على أعمال محرمة عليهم يعرفون تحريمها ويعلمون عقابها، ولكن حملهم على ذلك الشهوات المحرمة، أو حب الدنيا الذي هو

رأس كل خطيئة، لقد ابتلينا بالشح والتكالب على الدنيا والتكاثر فيها الذي أخبر الله عنه بقوله: ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢** ﴾ (سورة التكاثر: ١-٢).

والشح الذي يقول فيه ﷺ: «**إنما أهلك من كان قبلكم الشح**» كما في الحديث الذي رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**»[1].

لقد أصبح الكثيرون منَّا لا يبالون من أين أخذوا الأموال من حلها أو من حرامها، حملهم على ذلك الطمع والتكاثر، ونسوا أمر الله، وأمنوا عقوبته، فترى الكثيرين لا يبالون بالمعاملات الربوية، يتعاطون الربا وهم يعلمون تحريمه وشدة الوعيد فيه.

الذي يقول الله تعالى فيه: ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ** ﴾ (سورة البقرة: ٢٧٥).

ويعلمون قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ (سورة البقرة: ٢٧٨-٢٧٩).

ومن يقوى - يا عباد الله - على محاربة الله ورسوله ﷺ ؟!!، ترى الكثيرين يأكلون أموال الناس بالباطل، فهذا يماطل الحق الذي عليه وربما يجحده، وأنكره إذا علم أن صاحبه لا يقدر على تخليصه منه، إما لعدم البيِّنة لديه، أو لعدم قدرته على مخاصمته، لكونه عاجزًا أو ضعيفًا أو قاصرًا، والبعض الآخر يكون لديه الحق للآخرين فلا يبذلوه إلا بتكره ومماطلة أو لا يسمح ببذله إلا باقتطاع جزء منه، والبعض منهم قد يستولي على أموال الناس عندما يأتمنونه عليها، فيستغل حسن ظنهم به، فلا يؤدي أمانته على وجهها، ومنهم من يكون على عمل حكومي أو في مؤسسة قد ائتمن عليها فيخون من ولاّه العمل ويخون أصحاب الحقوق، ويضيع عليهم حقوقهم، أو يماطلهم بها، فهذا من الظلم المنهي عنه، وعدم الأمانة التي حملها.

---

(١) رواه مسلم، «كتاب البر والصلة والآداب» (٥٨٧).

وترى البعض من الناس جعل الله بضاعة لا يبيع إلا بيمينه ولا يشتري إلا بيمينه يكرر الأيمان الكاذبة من أجل الترغيب في سلعته، وقد أخبر ﷺ: **«ان الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة»**[1]. ذهب بركة ماله مع ما يحصل له من الإثم العظيم بأيمانه الكاذبة.

ومنهم من يحاول بخس حق المشتري، إما بتغيير السلعة المتفق عليها بعد البيع، أو بتطفيف الكيل والوزن، والله قد توعد المطففين بالعذاب الشديد فقال سبحانه: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلا يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة المطففين: ١-٥).

وبعضهم يستعمل الحيل والمراوغة والخداع وربما رفع قيمة السلعة على من يظنه يجهل قيمة هذه السلعة.

والبعض من الناس لا يبالي بالشهادة فيشهد وهو غير متأكد، وربما شهد شهادة الزور واقتطع حق أخيه المسلم لغيره بسبب شهادته الباطلة فيظلم نفسه ويظلم المشهود عليه بأخذ حقه، ويظلم المشهود له بإدخال الحرام عليه ويغرر الحاكم بالحكم بغير الحق، هذا بالإضافة إلى ما ارتكب من الجريمة وباء بالإثم، واستحق العقوبة من الله، وفي صحيح البخاري ومسلم عن أبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«الا انبئكم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، الا وقول الزور الا وشهادة الزور»** فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت[2].

والبعض من الناس يكون على ولاية، ائتمنه ولاة الأمور على دماء الناس وأموالهم وفروجهم، فيحمله الطمع والجشع على عدم إيصال الحق لصاحبه إلا بعناء

---

(١) رواه البخاري(٢٠٨٧)، مسلم (١٦٠٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب «الشهادات» (٥٢/ ٢٦٠)، ومسلم في كتاب «الإيمان» (٨٧).

شديد، أو أخذ عوض على عمله الذي أقامته الحكومة لإيصال الحقوق إلى أهلها، وتخليص المظلوم من الظالم، فربما ماطل باستخراج الحق وإعطائه صاحبه أو أعان الظالم على ظلمه لأمر من الأمور، أو من أجل أن يتحصل على جزء من مال صاحب القضية بغير حق، وهذه هي الرشوة التي ورد الوعيد على من اتصف بها، بل هي نوع من أنواع الرشوة التي يستحق صاحبها لعنة الله كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الترمذي وحسَّنه وابن حبان والحاكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«لَعَن الله الراشي والمرتشي في الحكم»**[(1)] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: **«لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي»**[(2)] . قال العلماء: الراشي هو الذي يعطي الرشوة والمرتشي هو الذي يأخذ الرشوة.

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتهيئوا للعرض الأكبر على الله، قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ (سورة الحاقة:١٨).

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠) ﴾ (سورة غافر:١٨-٢٠).

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شيء فليتحلله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»**[(3)] .

فاتقوا الله ربكم وخافوا من ذنوبكم: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة:٢٨١).

---

(١) رواه الترمذي في كتاب «الأحكام» (١٣٣٧) وحسّنه، «الإرواء» (٢٦٢١).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٩٦)، «الإرواء» (٢٦٢١).

(٣) رواه البخاري في كتاب «المظالم» (٢٤٤٩).



الخطبة الثانية:

الحمد لله ذي العز والاقتدار، عالم الغيب والشهادة الواحد القهار، أحاط بكل شيء علمًا، وجعل لكل شيء سببًا، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (سورة الرعد:٨).

أحمده سبحانه وأشكره على أفضاله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المصطفى المختار، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

عباد الله . . . اتقوا الله تعالى، اتقوا من يعلم سركم وجهركم، اتقوه بفعل الطاعات والبعد عن المحرمات، واعلموا أن الله رتب الأسباب على مسبباتها وجعل لكل شيء سببًا يحصل بوجوده وينتفي بانتفائه، ويزيد بزيادته، وينقص بنقصانه، وأنه سبحانه له القدرة الكاملة والنعمة الشاملة، وجعل هذه الدنيا دار تكليف وامتحان وابتلاء واختبار: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (سورة الملك:٢).

خلق الخلق لعبادته، وأمرهم بطاعته والاعتماد والتوكل عليه، وتكفل بأرزاقهم كما تكفل بأرزاق جميع المخلوقات: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة هود:٦).

عباد الله . . . لقد أخبر سبحانه أن رزق بني آدم وقوام معيشتهم مما ينزله من السماء عليهم كما قال سبحانه: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (سورة الذاريات:٢٢).

وإذا أراد ـ عزَّ وجلَّ ـ نقص الأرزاق حبس المطر من السماء، فتوقفت الأنهار، وغارت العيون، ونضبت مياه الأنهار فهلكت الأشجار والزروع والمواشي والحيوانات، وهذه أغلب مصادر رزق المخلوقات، وأنه سبحانه جعل أسباب نقص الثمار وقلة الأمطار ما يصدر من معاصي بني آدم، معاصي من يعلم أن الله الذي

خلقه ورزقه، ومع ذلك لم يقم بشكر هذه النعم، فنسي ربه واتبع هواه، وتمرد على الأوامر الإلهية والأحكام الشرعية، والله أخبر أنه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فإن استقاموا أقام لهم أحوالهم، وإن كفروا بنعم الله غير الله عليهم ﴿ جَزَاءً وِفَاقًا ﴾ (سورة النبأ:٢٦).

ولقد حذر سبحانه غاية التحذير من مغبة المعاصي وأخبر أنه ما وقع في البر والبحر من فساد إلا وسببه الذنوب، وما أصاب من مصيبة إلا كان سببها اقتراف السيئات والمعاصي، يقول سبحانه: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ (سورة الروم:٤١).

وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (سورة الأعراف:٩٦).

قال بعض السلف: أنتم تستبطئون المطر وأنا استبطئ العذاب، إن الله سبحانه عذب الأمم السابقة بسبب تماديهم في طغيانهم وعصيانهم وتكذيبهم لرسلهم، فهذه قصص القرآن تتلى عليكم وتتلونها، وهذه عاقبة المعاصي تقرأونها وتعرفونها، ماذا حلَّ بقوم نوح حين عصوا واستمروا على تكذيبهم؟ أما عمهم الغرق ولم ينج إلا من آمن منهم، وهكذا قوم عاد لما تجبروا وعتوا عن أمر ربهم: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ (سورة الحاقة:٦-٧).

وهؤلاء ثمود لما عصوا أمر ربهم واعتدوا على ناقة الله التي جعلها آية لهم أرسلت عليهم الصيحة فقطعت قلوبهم في أجوافهم، وهؤلاء قوم شعيب لما نقصوا المكيال والميزان وكذبوا رسل الله: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ (سورة الأعراف:٩١).

وكذا قوم لوط لما ارتكبوا الفاحشة الشنعاء وكذبوا رسولهم، أرسل الله عليهم جبريل، فاقتلع أرضهم وديارهم ورفعهم إلى عنان السماء، ثم كفأها عليهم، واتبعوا بالحجارة، فهلكوا جميعًا إلا لوطًا ومن كان معه من المؤمنين.

أليس في هذا ـ يا عباد الله ـ مزدجر؟ ألم تكن هذه أكبر العبر؟ وما هذه العقوبات من الظالمين ببعيد.

عِبَادَ اللَّهِ . . . ارجعوا إلى ربكم، توبوا إلى الله، أقلعوا عما أنتم عليه من المعاصي قبل الأخذ بالنواصي، أما يحاسب كل منًّا نفسه ويخاف من ذنبه ويراقب خالقه ويخشى عقابه؟!.

لقد استولت علينا الشهوات، وغلب حب الدنيا والتكاثر والتنافس فيها؟ أليست الأمانة قد ضيعت؟ أليست الصلاة قد استخف بها وهي من أهم أمور الدين؟ أين الإسلام ممن لا يصلي لله، ولا يتقي ما حرم الله، ولا يخاف عقاب الله؟! عجب أمرنا إنه لعجب نرجو المطر ونأمل النصر ولا نبالي بالخطر، ونحن نبارز الله بالذنوب، نحاربه بارتكاب ما نهانا عنه؟!.

هل هذا شك منا في قدرة الله؟ أو أنه طال الأمد فقست قلوبنا؟!.

احذروا ـ عباد الله ـ سطوة الجبار إن أخذه أليم شديد، واستغفروا ربكم وتوبوا إليه في كل وقت وحين إنه جواد كريم.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، وانصر من نصر الدين واخذل من خذل الدين، اللهم بدل سيئاتنا حسنات، واغفر للمسلمين أحياء وأمواتًا إنك جواد كريم.

التحذير من سوء الخاتمة

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده لله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الا لله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن سوء الخاتمة، أعاذنا الله وإياكم من ذلك، سائلين الله وإياكم حسن الخاتمة، رنه على كل شئ قدير وبالإجابة جدير.

عباد الله . . . ينبغي أن يكون الخوف من سوء الخاتمة ماثلاً أمام عين العبد في كل لحظة لأن الخوف باعث على العمل وقد قال ﷺ : **«من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل، الا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»**[1].

لكن إذا قاربت وفاة الشخص وأشرف على الموت فينبغي له حينئذ أن يغلِّب الرجاء، وأن يشتاق إلى لقاء الله فإن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، وقال ﷺ :

---

(١) صحيح الجامع (٢/١٠٦٩) رقم (٦٢٢٢)، و«الصحيحة» (٢٣٣٥).

«لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عزّوجل»[1]. لكن كثيرًا من المسلمين اعتمدوا على سعة رحمة الله وعفوه ومغفرته، فاسترسلوا في المعاصي ولم ينتهوا عن السيئات بل جعلوا عملهم بهذه الصفات من أعظم الدواعي على الاستمرار على المعاصي وهذا خطأ واضح واستدلال موصل للهلاك، فإن الله غفور رحيم وشديد العقاب كما صرح بذلك في كتابه في كثير من المواضع فقال جل من قائل: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ﴾ (سورة الحجر: ٤٩-٥٠).

وقال تعالى: ﴿ حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴾ (سورة غافر: ١-٣). قال معروف الكرخي: رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق، وقال بعض العلماء: من قطع عضوًا منك في الدنيا بسرقة ثلاثة دراهم لا تأمن أن تكون عقوبته في الآخرة على نحو هذا.

وينبغي على المسلم أن يتخلص من ديون الناس ومظالمهم، فإن ما كان للعبد عند أخيه سيطلبه منه يوم القيامة لا محالة، فإن كان له حسنات أخذ منها وإن لم يكن له حسنات أخذت من سيئاته وطرحت عليه، وقد أخبر ﷺ **«ان نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه»**[2]. وسنبين هنا الأسباب التي تنشأ عنها سوء الخاتمة بإيجاز.

أولاً: التسويف بالتوبة، والتوبة إلى الله من جميع الذنوب واجبة على كل مكلف كل لحظة كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (سورة النور: ٣١).

وكان ﷺ ـ وهو مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ـ يتوب إلى الله كل يوم مائة مرة.

---

(١) صحيح الجامع (٢/ ١٠٢٨٦) رقم (٧٧٩٢)، «مختصر مسلم» (٤٥٥).

(٢) رواه الترمذي (١٠٧٨)، ابن ماجه (٢٤١٣)، صحيح الجامع (٦٧٧٩).

روى الأغر المزني قال : قال رسول الله ﷺ : **«يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة»**[1] .وقد بين ﷺ أن: **«التائب من الذنب كمن لا ذنب له»**[2] .

ومن أنجح حيل إبليس التي يحتال بها على الناس التسويف في التوبة فيوسوس للعاصي بأن يتمهل في التوبة فإن أمامه زمنًا طويلاً ولو تاب الآن ثم رجع لا يمكن أن تقبل توبته بعد ذلك فيكون من أصحاب النار، أو يوسوس له بأنه إذا بلغ الخمسين أو الستين مثلاً عليه أن يتوب توبة نصوحًا ويلزم المسجد ويكثر القربات أما الآن فإنه في شبابه وزهرة عمره فليمتع نفسه ولا يشق عليها بالتزام الطاعات من الآن

هذه بعض مكائد إبليس في التسويف في التوبة، قال بعض السلف الصالح: أنذركم سوف فإنها أكبر جنود إبليس.

ومثل المؤمن الحازم الذي يتوب إلى الله من كل ذنب وفي كل وقت خوفًا من سوء الخاتمة ومحبة لله والمفرط المسرف الذى يؤخر توبته، كمثل قوم في سفر دخلوا قرية فمضى الحازم فاشترى ما يصلح لتمام سفره وجلس متأهبًا للرحيل، أما المفرط فإنه يقول كل يوم: سأتأهب غداً، حتى أعلن أمير القافلة الرحيل ولا زاد معه، وهذا مثل للناس في الدنيا فإن المؤمن الحازم متى جاء الموت لم يندم أما العاصي المفرط فإنه يقول: ﴿ **رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ** ﴾ (سورة المؤمنون:٩٩-١٠٠). ومن الأسباب التي ينشأ عنها سوء الخاتمة طول الأمل وهو سبب شقاء كثير من الناس حتى يخدعه الشيطان فيصور له أن أمامه عمراً طويلاً وسنين متعاقبة يبني فيها آمالاً شامخة، فيجمع همته لمواجهة هذه السنين ولبناء هذه الآمال وينسى الآخرة ولا يتذكر الموت، وإذا ذكره يومًا برم منه لأنه ينغص عليه لذاته ويكدر عليه صفو عيشه، والإنسان ـ يا عباد الله ـ إذا أحب الدنيا أكثر من الآخرة آثرها عليها واشتغل بزينتها

(١) «مختصر مسلم» (١٩١٦)، «صحيح الجامع» (١٣٠٤/٢)، «المشكاة» (٢٣٢٥).
(٢) «صحيح الجامع» (٥٧٨/١) رقم (٣٠٠٨).

وزخرفها وملذاتها عن بناء مسكنه في الآخرة في جوار الله في جنته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

ويظهر أثر قصر الأمل في المبادرة إلى الأعمال الصالحة واغتنام أوقات العمر، فإن الأنفاس معدودة والأيام مقدرة، وما فات لن يعود، وعلى الطريق عوائق كثيرة بينها ﷺ حينما قال: **«بادروا بالأعمال ستًا: طلوع الشمس من مغربها والدخان ودابة الأرض والدجال وخويصة أحدكم وأمر العامة»**[١]. وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: **اخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»**[٢].

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي جعل الموت خير واعظ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وأصلي وأسلم على من أمر بالإكثار من ذكر هادم اللذات ومفرق الجماعات وميتم البنين والبنات. أما بعد:

عباد الله . . . لقد أرشد رسول الله ﷺ المؤمنين إلى ما يبعد عنهم طول الأمل ويبصرهم بحقيقة الدنيا، فأمر بتذكر الموت وبزيارة القبور وبتغسيل الموتى وتشييع الجنائز وعيادة المرضى وزيارة الصالحين، فإن كل هذه الأمور توقظ القلب من غفلته وتبصره بما سيقدم عليه فيستعد له وسنتكلم عن ذلك بإيجاز.

أما ذكر الموت دائمًا فإنه يزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة فيحمل على الاجتهاد في العمل الصالح وعدم الركون إلى الشهوات المحرمة في الدنيا الفانية، وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«أكثروا من ذكر هادم اللذات»**[٣]. ثم على الإنسان أن يفكر في الموتى ألم يكونوا أقوياء الأبدان يملكون الأموال ويأمرون وينهون واليوم قد

---

(١) «مختصر مسلم» (٢٠٣٨)، «صحيح الجامع» (١/ ٥٤٣)، .

(٢) رواه البخاري (١١/ ٢٣٣).

(٣) «صحيح الجامع» (١/ ٢٦٤) رقم (١٢١٠)، «المشكاة» (١٦٠٧).

تسلط الدود على أجسادهم فنخرها وعلى عظامهم فبددها؟! ثم يفكر هل له أن يسلم من الموت أم أنه سيصل إلى ما وصل إليه أولئك؟! فيستعد لتلك الدار ويتأهب بالأعمال الصالحة فإنها العملة النافقة في الآخرة.

أما زيارة القبور فإنها عظة بليغة للقلوب فإذا رأى الإنسان المساكن المظلمة المحفورة ورأي هذه النهاية التي يحثو فيها أحباء الميت عليه التراب بعد إدخاله في لحد ضيق وإغلاقه عليه بلبنات من طين ثم يرجعون عنه ويقتسمون أمواله ويتملكون مخصصاته وتزوج نساؤه، وينسى بعد مدة يسيرة بعد أن كان صاحب الكلمة في البيت يأمر فيطاع وينهي فلا يعصى، فإذا زار المؤمن المقبرة وتفكر في ذلك أدرك فائدة قول النبي ﷺ : **«زوروا القبور فإنها تذكر الموت»**[1].

أما تغسيل الموتى وتشييع الجنائز فإن في تقليب الجسد على خشبة المغسلة عظة بليغة إذ هو في حالة حياته وقوته لا يستطيع أحد أن يقلبه ولا أن يدنو منه إلا بإذنه، وربما كان شديد البطش عظيم الهيبة وقد صار بالموت جسدًا خامدًا لا حراك به يقلبه الغاسل كيف شاء.

وقد كان مكحول الدمشقي إذا رأى جنازة قال: **«اغدوا فإنا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الأول، والآخر لا عقل له»**، وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا شيع جنازة ووقف على القبر بكى فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي إذا وقفت على القبر! فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج فما بعده أشد»**[2].

أما زيارة الصالحين فإنها توقظ القلب وتبعث الهمة، فإن الزائر يرى الصالحين وقد اجتهدوا في العبادة وتنافسوا في الطاعة لا غاية لهم إلا رضا الله ولا هدف لهم

---

(١) «صحيح الجامع» (١/٦٦٨)، رقم (٣٥٧٧)، «أحكام الجنائز» (١٧٨-١٨٩).

(٢) رواه أحمد (٤٥٤)، والترمذي (٢٣٠٩) وحسنه، وانظر: «صحيح الجامع» (١٦٨٤).

إلا الفوز بجنته معرضين عن التفاني على الدنيا والاشتغال بها لأنها معوقة عن السير في ذلك الطريق الشريف، وقد أرشد الله نبيه أن يصبر نفسه مع هؤلاء فقال: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (سورة الكهف: ٢٨).

وقيل للحسن: يا أبا سعيد كيف نصنع أنجالس أقوامًا يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير؟ فقال: **«والله إنك إن تخالط أقوامًا يخوفونك حتى يدركك أمنٌ خير لك من أ تصحب أقوامًا يؤمنونك حتى يدركك خوف»**.

ومن الأسباب التي تنشأ عنها سوء الخاتمة: حب المعصية وإلفها واعتيادها، فإذا ألف الإنسان معصية من المعاصي ولم يتب منها فإن الشيطان يستولي بها على قلبه وتستولي على تفكيره حتى في اللحظات الأخيرة من حياته، فإذا أراد أقرباؤه أن يلقنوه الشهادة ليكون آخر كلامه «لا إلا إلا الله» طغت هذه المعصية على تفكيره فتكلم بما يفيد انشغاله بها، وإليك بعض قصص هؤلاء: رجلاً كان يعمل دلالاً في السوق ولما حضرته الوفاة لقنه أولاده الشهادة فكانوا يقولون له قل: لا إله إلا الله، فيقول: أربعة ونصف أربعة ونصف؛ وقيل لآخر قل: لا إلا إلا الله فقال: يارب قائلة يومًا وقد تعبت كيف الطريق إلى حمام منجاب؛ وقيل لآخر قل لا إله إلا الله فجعل يغني؛ وربما أدركه الموت في المعصية نفسها فيلقى الله على تلك الحال التي تغضبه، وقد قال ﷺ: **«من مات على شيء بعثه الله عليه»**[1].

ومن الأسباب التي تنشأ عنها سوء الخاتمة الانتحار، فإذا أصاب المسلم مصيبة فصبر واحتسب كانت له أجرًا، وإن جزع وتضايق من الحياة ورأى أن أحسن طريق له

---

(١) رواه الحاكم وصححه على شرط مسلم (٢٨٧٨)، وأحمد (٢٣٩٩٦).

يتخلص به من هذه الأمـراض والمشاكل هو الانتحار فقـد اختار المعصـية وأسرع إلى غضب الله وقـتل نفسـه بدون حق، وقد روى البـخاري عن أبي هريرة ﷺ قـال: قال رسول الله ﷺ : «الذي يخنق نفسـه يخنقـها في النار، والذي يطعن نفسـه يطعنهـا في النار».

وروى البخاري ومـسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: «شهد رجل مع رسول الله ﷺ خيبر فقال لرجل ممن يدعى بالإسلام: «هذا من أهل النار»، فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً فأصابته جراحة فقيل له: يا رسول الله الذي قلت له آنفًا أنه من أهل النار قد قاتل اليوم قتالاً شديداً وقد مات، فقال النبي ﷺ: «إلى النار»، فكاد بعض المسلمين أن يرتاب، فبينما هم على ذلك إذ قيل له: إنه لم يمت ولكن به جراحٌ شديدة، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه، فَأُخبر النبي ﷺ فقال: «الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله»، ثم أمر بلالاً فنادى في الناس: «أنه لن يدخل الجنة إلاَّ نفس مسلمة، وأن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر».

ثمرات مجالسة الصالحين وأهل الخير

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ⑦ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن ثمرات مجالسة الصالحين وأهل الخير فمن ذلك أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (سورة الكهف:٢٨). يأمر تعالى نبيه محمدًا ـ وغيره أسوته في الأوامر والنواهي ـ أن يصبر نفسه مع المؤمنين، العباد المنيبين ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ أي أول النهار وآخره، يريدون بذلك وجه الله. فوصفهم بالعبادة والإخلاص فيها، ففيها الأمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يحصى. ﴿ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ أى لا تجاوزهم بصرك، وترفع عنهم نظرك.

ومنها: أنك تتعرفُ على أخطائك في سلوكِكَ وعبادتك من خلال مقارنة أعمالكَ وسلوكك بما عليه جليسُكَ الصالح من هذه الأمور التي لديه علمٌ وإلمام بها، فتصلحُ تلكَ الأخطاءَ.

ومنها: أن جلساءك من أهل الخير يَصِلُونك بأشخاصٍ آخرين فتنتفعَ بهم كما انتفعت بهؤلاء.

ومنها: أنك تَنْكَفُّ عن المعصية، فإنك إذا جلست معه استدعى ذلك التأدُّبَ بمجلسه، وتخليت عن المعصية مراعاةً لمكانته وتقديرًا لمنزلته فيكونُ ذلك الانكفاف والتركُ الوقتيُّ سببًا في التخلي الدائم عن هذه المحرمات.

إن في مجالسة أهل الخير حفظًا للوقت الذي هو الحياةُ وهو الوعاء لكل الأعمالِ.

ومنها: أن جليسَكَ الصالحَ يُعَلِّمُكَ ويرشدُكَ إلى أمور الخير التي ينفعك العلم بها، فيدلك مثلاً على أمور واجبة كنت غافلاً عنها ومتكاسلاً عن أدائها ويرشدك إلى كثير من النوافل والتطوعات التي تزداد بها خيرًا. ويشجعك على المشاركة في مشروعات متعددة من مشروعات الخير والبر.

ومنها: أن جَليسَكَ الصالحَ يحفظُك في حضرتك ومغيبك، فلا يفشي لك سرًا ولا ينتهك لك حرمةً، ويدافعُ عنك في مواطنَ تحتاج فيها إلى من يدافع عنك.

ومِنْ ثمراتِ مُجَالَسَةِ الصالحينَ: أن أخوتك ومصاحبتك لأهل الخير سَبَبٌ في دخولكَ ضمن الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يوم القيامة، وكذلك ضمان لاستمرار الصُّحْبَة، كما قال تعالى: ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ (٦٧) يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ (سورة الزخرف: ٦٧-٦٨).

ومنها: أنك تَنْظُرُ إلى علو مكانته في العلم والعبادة والدعوة والخلق وسبقِهِ لَكَ في مجالاتٍ كثيرةٍ من مجالات الخير فتنتفع بذلك من وجهين:

الأول ـ زوال ما قد يوجَدُ لديكَ من العجب بالنفس والعَمَلِ حينما ترى من هو خيرٌ منك، والعُجْبُ من الأمور التي خافها النبيُّ ﷺ على أمته وعدَّها أشد من

الذنب، حيث قال ﷺ : «لو لم تكونوا تذنبون لخَفْتُ عليكُمْ ما هو أشدُّ من ذَلِكَ: العُجْبُ العُجْبُ»[١].

والثاني ـ أن ذلك يكون سببًا في منافستِكَ له في هذه الأوصافِ والأعمالِ، فتزدادُ حرصاً على تحصيلِ العلم والقيامِ بالعبادةِ وتحسين السُّلوكِ وغيرِ ذلك؛ ولهذا قال عثمانُ ابن حكيم: «اصحب من هو فوقك في الدين ودونك في الدنيا».

ومِنْ ثمراتِ مُجَالَسَةِ الصالحينَ: أن المرء بزيارته لإخوانه في الله يطيب بنفسه ويطيبُ ممشاهُ ويتبوأُ منازلَ عظيمةً في الجنة، قال ﷺ : «من عاد مريضًا أو زار أخًا له في الله ناداه منادٍ: أن طِبْتَ وطَابَ مَمشَاكَ وتبوأْتَ مِنَ الجَنَّةِ منزلاً»[٢]. وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «النَّبِيُّ في الجنة، والصِّدِّيقُ في الجنة، والرجلُ يزورُ أخاهُ في ناحية المصر لا يزوره إلاَّ لله في الجنة»[٣].

الخطبة الثانية:

الحمد لله جاعل الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين، نحمده سبحانه ونشكره إذ جعل الأرواح جنود مجنده ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف في كل وقت وحين. أما بعد:

عِبَادَ اللَّهِ . . . مِنْ ثمراتِ مُجَالَسَةِ الصالحينَ: أن المرء بمجرد رؤيته للصالحين والأخيار يذكر الله تعالى وقد دل على ذلك الواقع والشرع. قال ﷺ : «أولياء الله الذين إذا رؤوا ذُكرَ الله تعالى»[٤]. فأثبت في هذا الحديث للأولياء والأخيار تأثيرًا على من رآهم، وأن من يراهم يذكر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بمجرد هذه الرؤية، ولعل سبب ذلك

---

(١) رواه البزارُ والقضاعي، وقال المنذري والهيثمي: إسناده جيِّد. وانظر: «الصحيحة» (٦٥٨).
(٢) رواه الترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة ﷺ وصححه ابن حبان.
(٣) رواه الطبراني في المعجم الصغير وقال الدمياطي: إسناده جيِّد إن شاء الله.
(٤) رواه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٥٨٧).

ما يجده فيهم من الهَدْي والسَمْت والهيبة ونور الإيمان وحسن السيرة، فإذا كان يحصل لمن رآهم فكيف بمن يجالسهم ويخالطهم؟!.

ولهذا قال موسى بن عقبة: «إن كنت لألقى الأخ من إخواني فأكون بلقيه عاقلاً أيامًا» وقال سفيان: «ربما لقيت الأخ من إخواني فأقيم شهرًا عاقلاً بلقائه» وقال أبو سليمان: «كنت أنظر إلى أخ من إخواني في العراق فأعمل على رؤيته شهرًا».

ومِنْ ثمراتِ مُجَالَسَةِ الصالحينَ: أنهم زين وأنس في الرخاء وعدة في البلاء وهم خير معين لك على تخفيف همومك وغمومك وحل مشكلاتك، فتستنير بآرائهم ومشورتهم لاسيما إذا ألمت بك الخطوب وضاقت بك الدروب وأعيتك المسالك.

قال عمر بن الخطاب ﷺ: «**عليك بإخوان الصدق، فعش في أكنافهم، فإنهم زين في الرخاء وعدة في البلاء**». وقال شبيب بن شبة: «هم زينة في الرخاء وعدة في البلاء ومعونة على حسن المعاشرة وهم خير مكاسب الدنيا».

ومِنْ ثمراتِ مُجَالَسَةِ الصالحينَ: أنك تنتفع بدعائهم بظهر الغيب في حياتك وبعد مماتك، فإن من عادة أهل الخير دعاء بعضهم لبعض، وقد قال ﷺ: «**دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل**»[1].

المجالسة والمصادقة والزيارة في الله سبب لمحبة الله تعالى، كما في الحديث القدسي عن معاذ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فِيَّ، والمتجالسين فِيَّ، والمتباذلين فِيَّ، والمتزاورين فِيَّ**»[2].

---

(١) رواه مسلم (٤٩١٤).

(٢) رواه مالك في «الموطأ»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٣١).

وجاء في حديث عمرو بن عبسة بلفظ: «قد حقت محبتي للذين يتحابون من أجلي، وقد حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي، وقد حقت محبتي للذين يتصادقون من أجلي»[(١)].

وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ: «أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى، فأرْصَدَ اللهُ له عَلَى مدرجَتِهِ مَلَكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريدُ؟ قال: أريدُ أخًا لي في هذه القريةِ، قال: هل لك عليه من نعمةٍ تربُّها؟ قال: لا، غير أني أحببتهُ في الله عزَّ وجلَّ، قال: فإني رسولُ اللهِ إليك بأن اللهَ قد أحبَّكَ كما أحببته فيه»[(٢)].

ومعنى قوله: «فأرصد» أي أقعده يرقبه، والمدرجة - بفتح الميم والراء - هي الطريق، وقولُه: «تَرُبُّهَا» أي تقوم بإصلاحها وتنهضُ إليه بسبب ذلك، ذكره النوويُّ.

وبالجملة فالجليس الصالح منفعةٌ لك من كل وجه، فعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ المؤمنِ مَثَلُ النخلة: ما أَخَذْتَ منها من شئٍ نفعك»[(٣)].

وفي رواية: «إن من الشَّجَرِ شجرةً لا يسقُطُ ورقُهَا وإنها مَثَلُ المسلمِ فَحَدِّثُوني ما هي؟»، ثم قال: «هي النخلةُ»[(٤)].

ومِنْ ثمراتِ مُجَالَسَةِ الصالحينَ: أنها تُؤدِّي إلى مَحَبَّتِهِم في الله فكما أَنَّ المحبة تُثْمِرُ المجالسة فكذلك المجالسة تُثْمِرُ المحبة، والحب في الله له ثمراتٌ عظيمةٌ، وآثار جليلة على النفوس، وقد رتَّبَ اللهُ عليه الأجور العظيمةَ والثوابَ الجزيلَ.

---

(١) رواه أحمد (٢٢٠٩١) وصحح إسناده الألباني في المشكاة (٥٠١١).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني.

(٤) في الصحيحين.

الجنة ونعيمها والطريق إليها

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي جعلَ الجنةَ لمن أطاعَهُ وإن كان عبـدًا حبشيًا، والنارَ لمنْ عصاهُ وإن كانَ حرًا قُـرَشيًا، اختـارَ منْ خلقه للجنة سكانًا واصطفاهُم، ومنْ بينِ جـميعِ الخلائقِ وهُمْ في أصلاب آبائهمْ هيَّأهُمْ واجتباهُمْ، ولا يـظلمُ ربُّكَ أحدًا شيئًا، خلقَ جنةَ عدن بيده لَبِنَةَ ذَهَبٍ ولَبِنَةَ فضة، ملاطُها المسكُ الأذفـرُ، وحصباؤُها اللؤلؤ والياقوتُ وتُرابُها الزَّعْفرانُ: ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ (سورة مريم: ٦١-٦٣).

أحمدُه سبـحانه بجميعِ محامده التي لا يبلغُ المُحْـصُونَ لها تعدادًا، وأشكرُهُ على نعمِهِ الوافرة وخيـراته المتكاثرة شكرًا يليقُ بعظَمَته ومجده سبحـانَهُ هلْ تعلمُ لهُ سَمِيًا، واستـزيدُهُ منْ فَضْلِه الواسعِ العـميمِ ومنْ عَطَاءِه الجَـزْلِ الكريمِ، وأصلِّي وأسلِّمُ على خيرِ خلقه أجمعينَ ومَنْ أرسلَهُ الله رحمةً للعـالمينَ، صلاةً وسلامًا متلازمَين ما تعاقبَ اللَّيلُ والنَّهارُ، أرْجُو بهـما شفاعتهُ والورود على حـوضه مَعَ المتقينَ الأبرارِ، وعلى آلهِ وأهلِ بيتِه الأطهار وصحابتِه الأخيارِ وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

عِبَادَ اللَّهِ . . . موضوعنا اليوم ـ بإذن الله ـ أيها الأحبةُ الكرامُ في ذكرِ الجنَّة وأوْصَافها وأهلها، وما أعدَّهُ الله فيها لعباده المؤمنينَ من الكرامة والنُّزُلِ العظيمِ، أسألُ الله العظيمَ ربَّ العرشِ الكريمِ أنْ يَجْعَلَنِي وَإِيَّاكُمْ ممنْ يُقَالُ لَهمُ يومَ العَرضِ الأكبرِ: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ﴾ (سورة الحجر:٤٦).

ولعَلَّ الحديثَ عنها والتَّلَذُّذَ بذكرها يكونُ حافزًا على الصدقِ في طلبِهَا والرغبة فيها، وتحقيقِ مرادِ الله منها ليحصل لنا فيها النعيمُ المقيمُ بجوارِ الرَّبِّ الكريمِ، ونَنْعَمَ بالنظرِ إلى وجهِ الله الكريمِ بُكْرَةً وعشيًا.

استمع ـ يا أخي المسلم ـ إلى قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (سورة مريم:٨٥). وقوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (سورة الزمر:٧٣).

هل تعلم ـ يا أخي المسلم ـ ماذا في هذه الجنة من النعيم المقيم؟ مهما جال في خاطرك أو تردد في ذهنك فاعلم أن في الجنة ما أعلى منه وأتم، وقد صرح بذلك المصطفى ﷺ تصريحًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، مصداق ذلك في كتاب الله:** ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾»[1] (سورة السجدة:١٧).

ثم اعلم ـ وفقك الله لطاعته ومرضاته ـ أن الجنة من يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه. روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبئسوا أبدًا، فذلك قول الله عز وجل:** ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾»[2] (سورة الأعراف:٤٣).

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه مسلم (٥٠٦٩).

﴿وَنُودُوا﴾: تهنئةً لهم، وإكـرامًا، وتحيةً، واحـترامًا. ﴿أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا﴾ أي كنتم الوارثين لها، وصارت إقطاعكم، إذ كان إقطاع الكفار النار. ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قـال بعض السلف: أهل الجنة نجـوا من النار بعـفو الله، وأدخلـوا الجنة برحمـة الله واقتسـموا المنازل وورثوها بالأعمـال الصالحة، وهي من رحمـته، بل هي أعلى أنواع رحمته. يقول الله تعالى بعد ما ذكر استقرار كل من الفريقين في الدارين، ووجدوا ما أخـبـرت به الرسل، ونطقت به الـكتب من الثـواب والعـقـاب، أن أهل الجنة نادوا أصحـاب النار بأن قالوا: ﴿ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ حين وعدنا على الإيمان والعمل الصـالح الجنة، فأدخلناها ورأينا ما وصـفه لنا. ﴿ فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ على الكفر والمعاصي ﴿حَقًّا﴾ ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾ قد وجدناه حقـًا، فبين للخلق كلهم بيانًا لاشك فيـه صدق مـا وعد الله، ومن أصـدق من الله قيـلا، وذهبت عنهم الشكوك والشبه، وصـار الأمر حق اليقين، وفرح المؤمنون بوعد الله واغـتبطوا، وأيس الكفار من الخير، وأقروا على أنفسهم بأنهم مستحقون للعذاب.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وليِّ الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على نبى الأمة وشفيعها محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أخي المسلم . . . لعل في ذهنك سؤالاً: ما سَعَةُ الجنَّة؟ وهلْ هِيَ جَنَّةٌ واحدةٌ أمْ جِنَانٌ كَثِيرَةٌ؟ ويجـيبُكَ على سُؤالك الأول القرآن الكريمُ: ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ (سورة الحديد: ٢١)، وقال: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة آل عمران: ٣٣)، وقال المفسـرون: العرضُ أقصرُ الامتـدادَيْن وفي ذكرِه دون ذكرِ الطول مبالغةٌ، وروى السُّديُّ عنْ ابن عباس رضي الله عنهما أنهُ قالَ: «تُقْرَنُ السمواتُ السبع والأرضُونَ السَّبْعُ كما تُقْرَنُ الثيابُ بعضُها ببعض فذاكَ عَرْضُ الجنةِ»، فإذا كان عرضُها كذلكَ فما بالكُ

بطولها؟! لا حرمنا الله وإياكَ منها، وأمـا الشِّقُّ الثاني من السؤال وهوَ: هلْ هِيَ جنةٌ واحدةٌ أمْ جنَّاتٌ كثيرةٌ؟ فيُجيبُكَ الـرسولُ ﷺ قدْ أَخْرَجَ البخاريُّ وغيرُهُ عنْ أنسٍ أنَّ أمَّ حارثَة أتتْ رسـول الله ﷺ وقَدْ هَلَكَ حـارِثةُ يومَ بدرٍ، أصابهُ سـهمٌ غربٌ فـقتلهُ فقالتْ: يا رسولَ الله قد علمتَ موقعَ حارثةَ من قلْبي، فإنْ كانَ في الجنةِ لم أبْكِ عليهِ وإلا سوف ترى ما اصنعُ، فقالَ لها: «هَبِلْتِ! أجنَّةٌ واحدةٌ هِيَ؟ إنها جنِاتٌ كثيرةٌ، وإنهُ لفي جَنَّة الفردوسِ»، أمَّا ريحُ الجنةِ فيوجدُ منْ مسيرةِ مائةِ عامٍ.

﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾(سورة محمد: ١٥).

«للمؤمنِ في الجنةِ خيمةٌ من لؤلؤةٍ واحدةٍ مجوفةٍ طولُها ستونَ ميلاً، للمؤمن فيها أهلُونَ، يَطوفُ عليها المؤمنُ فلا يَرى بعضُهم بعضاً»[(١)].

عن ابي موسى الأشعري رضي الله عنه: «وفيها شجرةٌ يسيرُ الراكِبُ الجوادَ المُضمَّرَ السَّريعَ مائةَ عامٍ ما يقطعُها»[(٢)].

تُرَابُهَا المِسْكُ، وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ.

وروى أنسُ بنُ مالك رضي الله عنه رسول الله ﷺ قالَ: «إنَّ في الجنَّةِ لَسُوقًا يأتونها كلَّ جُمُعَةٍ فَتَهُبُّ ريحُ الشَّمالِ فَتَحثُوا في وجوههِمْ وثيابهمْ فيزدادُونَ حُسْنًا وجمالاً، فيرجعونَ إلى أهليهمْ وقدْ ازدادُوا حُسْنًا وجَمالاً، فيقولُ لهم أهلوهم: واللهِ لَقَدْ ازددتم بعدَنا حسناً وجمالاً»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) رواه مسلم.

وروى أَنَسُ بْنَ مالك عَـنْ النَّبِيِّ ﷺ قال: «وَلَوْ أَنَّ امْـرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا ولَمَلأَتْهُ رِيحًا، ولَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[1]. ولأبي سعيد رضي الله عنه في هذا المعنى عن رسول الله ﷺ قال: «للرجلِ مِن أهلِ الجنَّةِ زوجتانِ مِنَ الحُورِ العِينِ، على كل واحدةٍ سَبْعُون حُلَّةً يُرى مُخُّ ساقِها مِن وَرَاءِ الثِّيَابِ»[2]. أما جنة عدن فـعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الجنَّةُ بناؤها لبنةٌ مِن فِضَّةٍ ولبنةٌ مِن ذهبٍ، ومَلاطُها المِسْكُ الأذْفَر، وحَصْباؤها اللؤْلؤُ والياقُوت، وتُربتُها الزَّعْفَران»[3].

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِت رضي الله عنه أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «فِي الجَنَّةِ مِائَةُ دَرَجَةٍ، مَا بَينَ كُلُّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَينَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَالفِرْدَوْسُ أَعْلاهَا دَرَجَةً، وَمِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ الأَرْبَعَةُ، وَمِن فَوْقِهَا يَكُونُ العَرْشُ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ الله فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ»[4].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «جَنَّتَان مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا، وما فيهما، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَينَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلاَّ رِدَاءُ الكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»[5]. ولك يا أخي أن تتصور أن كل ما يجول بخاطر العبد المؤمن في الجنة حاصل له، فعن أبي هُرَيرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يومًا يُحَدِّثُ، وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ البَادِيةِ: «أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ، قَالَ: فبذرَ فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ، فَكَانَ أَمْثَالَ الجِبَالِ، فَيَقُولُ اللهُ: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ فَإِنَّهُ لا يُشْبِعُكَ شَيءٌ»، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: وَالله لا تَجِدُهُ إِلا قُرَشِيًا أَوْ أَنْصَارِيًا؛ فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، وَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بأصحاب زرع، فَضَحِكَ النبي ﷺ[6]. نسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يُسكنَّا وإياكم والمسلمين فسيح جناته وأن يغفر لنا ولوالدينا ولسائر المسلمين الأحياء والميتين إنه جواد كريم.

---

(١) رواه البخاري (٢٥٧٨).
(٢) رواه الترمذي (٢٥٣٤٠)، «صحيح الجامع» (٢٥٦٤)، وأخرج الشيخان نحوه من حديث أبي هريرة.
(٣) رواه أحمد (٨٠٤٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٣١١٦).
(٤) رواه الترمذي (٢٥٣٤)، وانظر: «صحيح الجامع» (٢٥٦٤).
(٥) رواه البخاري (٤٥٠٠)، ومسلم (٥٠٧٠).
(٦) رواه البخارى (٢١١٧).

الجنة ونعيمها والطريق إليها(٢)

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي جعلَ الجنةَ لمن أطاعَهُ وإن كان عبـدًا حبشيًا، والنارَ لمنْ عصاهُ وإن كانَ حرًا قُـرَشيًا، اختـارَ منْ خلقه للجنة سكانًا واصطفاهُم، ومنْ بينِ جـميعِ الخلائقِ وهُمْ في أصلاب آبائهمْ هيَّأَهُمْ واجتباهُمْ، ولا يـظلمُ ربُّكَ أحدًا شيئًا، خلقَ جنةَ عدنٍ بيده لَبنَةَ ذَهَبٍ ولَبنَةَ فضـة، ملاطُها المسكُ الأذفرُ وحصباؤُها اللـؤلؤ والياقوتُ وتُرابُها الزَّعْفرانُ: ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ (سورة مريم: ٦١-٦٣).

أحمدُه سبـحانه بجميعِ محامده التي لا يبلغُ المُحْـصُونَ لها تعدادًا، وأشكرُهُ على نعمه الوافرة وخيـراته المتكاثرة شُكرًا يليقُ بعظَمَته ومجده سبحـانَهُ هلْ تعلمُ لهُ سَميًا، واستـزيدُهُ منْ فَضْله الواسعِ العـميمِ ومِنْ عَطَاءه الجَـزْل الكريم، وأصلِّي وأسلِّمُ على خيرِ خلقه أجـمعينَ ومَنْ أرسلَهُ الله رحمةً للعالمينَ صلاةً وسلامًا مـتلازمَين ما تعاقبَ اللّيلُ والنَّهَارُ، أَرْجُـو بهما شفـاعتهُ والورود على حوضـه معَ المتقينَ الأبرارِ، على آله وأهلِ بيتِه الأطهار وصحابتِه الأخيارِ وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

عِبَادَ اللهِ . . . موضوعنا اليوم - بإذن الله - عما تبقى لنا من موضوع الجنة ونعيمها والطريق إليها، نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يجعلنا وإياكم من أهلها إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

عِبَادَ اللهِ . . . عن أبي سعيد الخُدريِّ رضي الله عنه أنَّ نَبيَّ الله ﷺ قالَ: «**إذا اشتَهى المؤمنُ الولدَ في الجنَّةِ كانَ حملُهُ ووضعُهُ وسِنُّهُ في ساعةٍ واحدةٍ كما يشتهي**»[(١)]. وأنَّ أهْلَ الجنة في حبورهم ونعيمهم عندَ الملكِ الخلاقِ، ينعمونَ بكلامه، ويُلْهَمُونَ التسبيح كما تلهَمُونَ النَّفَسَ، قدْ حلَّ عليهمْ رضوانُ الله تعالى فلا يسخطُ عليهمْ أبدًا، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله يقولُ لأهل الجنة: يا أهلَ الجنةِ، فيقولونَ: لبَّيكَ ربنا وسعدَيكَ، فيقولُ: هلْ رضيتُمْ؟ فيقولونَ: وما لنا لا نَرضَى، وقد أعطيتَنا ما لمْ تُعْطِ أحدًا من خلقِكَ، فيقولُ: أنا أُعْطِيكُمْ أفضلَ مِنْ ذَلِكَ، قالوا: يا ربنا فأيُّ شيءٍ أفضلُ مِنْ ذلِكَ؟ قال: أُحِلُّ عليكُم رِضْوَانِي فلا أسْخطُ عليكُم بعدَهُ أبدًا**»[(٢)].

ويُذْبَحُ الموتُ عَلَى الصراطِ فيزدادُ فرحُهُمْ وحبورُهم، عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قَال: قَال رسولُ الله ﷺ: «**إذا صارَ أهلُ الجنَّةِ إلى الجنَّةِ، وأهلُ النارِ إلى النارِ جِيءِ بالمَوْتِ حتى يُجعلَ بينَ الجنَّةِ والنَّارِ، ثم يُذبحُ ثم يُنادي منادٍ: يا أهلَ الجنَّةِ لا موتٌ، يا أهلَ النَّارِ لا موتٌ، فيزدادُ أهلُ فَرحًا إلى فَرَحِهِم، ويزدادُ أهلُ النَّارِ حُزنًا إلى حُزْنِهِم**» (متفق عليه).

وفَوق ذلكَ كلِّه يتنعمُونَ بالنَّظرِ إلى وَجْهِ ربِّهم سُبحانَهُ، روى صهيبٌ عنْ رسولِ الله ﷺ أنه قالَ: «**إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، نُودوا يا أهلَ الجنةِ تريدونَ شَيْئًا أزيدُكم؟ فيقولونَ: ألمْ تبيِّضْ وجوهَنا، وتُزَحْزِحْنا عن النَّارِ، وتُدْخِلْنا الجَنَّةَ؟ قالَ: فيكشفُ الحجابَ،**

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٨٠)، والترمذي وحسنه، وانظر: «صحيح الجامع» رقم (٦٦٤٩).
(٢) رواه البخاري ومسلم.

فما أُعطوا شيئًا أحبَّ إليهمْ من النَّظرِ إلى ربِّهم عزَّ وجلَّ»، ثمَّ تَلاَ رسولُ اللهِ ﷺ: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[1] (سورة يونس: ٢٦).

كل هذا النعيمِ - يا أخي المسلم - في الجنَّة التي وعدكَ اللهُ بها إنْ صدقتَ الطلبَ وأتممتَ البيعةَ معَ الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ (سورة التوبة: ١١١). لعمرُ الله إنَّ الذي يُفَرِّطُ في هذا النعيمِ المقيمِ لهوَ المغبونُ مهما كان الثمنُ فما بالك والثمنُ لَيس فيه عَنَتٌ ولا مشَقةٌ.

وعنْ أنسٍ رضي الله عنه عنْ النبيِّ ﷺ قالَ: **«يقولُ اللهُ تعالى لأهونِ أهلِ النَّارِ عذابًا يومَ القيامة: لوْ أنَّ لك ما في الأرضِ منْ شيءٍ أكنتَ تفتدي بهِ؟ فيقولُ: نعمْ، فيقولُ: أردتُ منكَ أهونَ منْ هذا وأنتَ في صُلْبِ آدمَ أن لا تشركَ بي شيئًا فأبيتَ إلاَّ أنْ تشركَ بي»**[2].

هذه الجَنَّةُ وهذا نعيمُها من الداخلِ، أمَّا منْ الخارجِ فإنَّ لها ثمانيةَ أبْواب كما صحَّ ذلكَ عنْ النبيِّ ﷺ، منها باب اسمه الريانُ لا يدخلُهُ إلا الصائمون، وأولُ منْ يستَفتِحُ بابَ الجنَّةِ هو نبينا ﷺ.

فعَنْ أنسٍ بن مالك رضي الله عنه قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: **«آتِي بَابَ الجنَّةِ يومَ القيامةِ فأستفتحُ فيقولُ الخازنُ: منْ أنتَ؟ فأقولُ: محمدُ، فيقولُ: بكَ أُمِرْتُ لا افتَحُ لأحدٍ قبْلَكَ»**[3].

أما الزمْرةُ الأولى الذينَ يَدْخُلونَ الجنَّةَ، فقدْ وصفَهم لكَ رسولُ الله ﷺ حتى كأنكَ تراهم، فقالَ في حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه: **«إنَّ أولَ زُمْرَةٍ يدْخُلونَ الجنَّةَ على صورةِ القمَرِ ليلةَ البدْرِ، والذينَ يلونَهم على أشدِّ كوكَبٍ دُرِّيٍّ في السماءِ إضاءةً، لا يَبُولونَ، ولا يتغوطُون، ولا يَتَمَخَّطُونَ، ولا يَتْفُلونَ، أمشاطُهم الذَّهبُ ورشحهُمُ المسكُ، ومجامِرهم الألوَّةُ، وأزواجُهمُ الحورُ العينُ، أخلاقُهم على خُلُقِ رجلٍ واحدٍ، على صورةِ أبيهم آدمَ ستون ذراعًا في السماءِ»**[4].

---

(١) «صحيح الجامع» (١/ ١٥٢) رقم (٥٢٣).
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه مسلم.
(٤) متفق عليه.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمداً كثيراً طيِّباً مباركًا فيه، الحمد لله حمدًا يليق بجلاله وعظمته وكبريائه، الحمد لله حمد الشاكرين، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد:

لعلك ـ يا عبد الله ـ تسألُ: إذا كان أهلُ الجنة يأكلونَ ويشربونَ، ألاَ حاجةَ لهمْ إلى الاستفراغِ؟ فيُجيبُكَ الرسول ﷺ كما في حديثِ جابرٍ: **«إنَّ أهلَ الجنةِ يأكلونَ فيها ويشربونَ ولا يتفلُون، ولا يبولونَ، ولا يتغوَّطُونَ، ولا يتمخَّطُونَ، قالوا: فما بالُ الطَّعامِ؟ قالَ: جُشاءٌ ورشحٌ كرشحِ المسكِ، يُلهمُونَ التَّسبيحَ والتحميدَ كمَا تلهمونَ النَّفَسَ»** (رواه مسلم).

روى أبو سعيدٍ الخدريُّ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **«إنَّ أهلَ الجنَّةِ ليتراءَونَ أهلَ الغُرَفِ منْ فَوقِهِمْ كَمَا تتراءونَ الكَوكَبَ الدُّرِّيَّ الغابرَ في الأُفُقِ من المَشْرِقِ أو المَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ ما بَيْنَهُمْ، قالوا: يا رسولَ الله تلك منازلُ الأنبياءِ لا يبلغُها غيرُهُم؟ قالَ: بلى، والذي نفسي بيده رجالٌ آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلينَ»** (رواه مسلم).

أمَّا أدْنَى أهلِ الجنةِ منزلةً فذاكَ الرَّجُلُ الذي حكَى قصَّتَهُ رسولُ الله ﷺ قال: **«آخِرُ من يدخلُ الجنَّةَ رجلٌ، فهو يمشي مرَّةً ويكبُو مرَّةً، وتَسفَعُهُ النار مرَّةً فإذا ما جاوزَهَا التفتَ إليْهَا فقالَ: تبارك الذي نجَّاني منكِ، لقدْ أعْطاني اللهُ شيئًا ما أعطاهُ أحداً منَ الأولينَ والآخرينَ فَتُرفَعُ له شَجَرةٌ فيقولُ: أي ربِّ أدْنِني منْ هذهِ الشجَرةِ فَلأستظلَّ بظلها وأشربَ منْ مائها فيقول اللهُ عزَّ وجلَّ: يا ابن آدم لَعلِّي إنْ أعطيتُكَهَا سألْتَنِي غيرَهَا فيقولُ: لا ياربِّ، ويُعَاهِدُهُ أن لا يسألَهُ غَيْرَهَا وربُّه يعذرُهُ لأنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لهُ عليهِ، فَيُدْنِيهِ منها، فيستظلُّ بظلِّها، ويشربُ منْ مائِها، ثُمَّ ترفعُ لهُ شجرةٌ هي أحسنُ منَ الأُولَى فيقولُ: أيْ ربِّ أدْنِنِي منْ هذهِ لأشربَ منْ مائِها وأستظلَّ بظلِّهَا، لا أسألُكَ غيرَها، فيقولُ: يا ابن آدمَ ألمْ تعاهِدْنِي أن لا تسألَنِي غيرَها، فيقولُ: لَعَلِّي إنْ أدْنيتُكَ منها تسألُنِي غيرَها فيعاهدُه أن لاَ يسألَهُ غيرَها وربُّهُ يَعذُرُهُ لأنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبرَ لهُ عليهِ فيدْنيهِ منها فيستظلُّ بظلِّها ويشرَب من مائها، ثُمَّ تُرفَعُ لهُ شَجَرةٌ عِندَ بابِ الجنَّةِ هِيَ أحسنُ من الأُولَيَيْنِ فيقولُ: أيْ ربِّ أدْنِنِي منْ هذه لأستظلَّ بظلِّهَا

واشربَ مِنْ مائها لا أسألُكَ غيرَها، فيقولُ: يا ابنَ آدمَ ألمْ تُعَاهِدْنِي أن لا تسألَني غيرَها، قالَ: بلى ياربِّ هذه لا أسألُكَ غيرَها وربُّه يعذِرُهُ لأنَّه يَرى ما لاَ صَبْرَ لهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْها، فإذا أدْنَاهُ منها فيسمَعُ أصواتَ أهلِ الجنةِ، فيقولُ: أيْ رب أدْخِلْنِيها، فيقولُ: يا ابنَ آدمَ ما يَصْرِمُنِي منك - أيْ مَا يَقْطَعُ مسألتَكَ منِّي - أيُرضيكَ أنْ أُعْطِيكَ الدنيا ومثلَها معَها، قالَ: يا ربِّ أتستهزِئُ بي وأنتَ ربُّ العالمينَ»، فضحِكَ ابنُ مسعودٍ فقالَ: ألا تسألُوني مِمَّ أضحكُ؟ فقالوا: مِمَّ تضحكُ؟ قال: هكذا ضَحِكَ رسول الله ﷺ، فقالوا: مِمَّ تضحكُ يا رسول الله؟ قالَ: «من ضحك ربِّ العالمينَ حينَ قالَ: أتستهزِئُ منِّي وأنت ربُّ العَالَمِين؟ فيقولُ: إني لا أستهزِئُ منكَ، ولكنِّي على ما أشاءُ قادرٌ»[1].

زاد أبو سعيد الخُدْرِيّ في روايته: «وَيُذَكِّرُهُ اللهُ سَلْ كَذا وكَذا، فإذا انقطعَتْ بِهِ الأمانِيُّ قالَ اللهُ: هوَ لَكَ وعشرةُ أمْثَالِهِ، قالَ: ثمَّ يَدْخُلُ بيتَهُ، فتدخلُ عليهِ زَوْجَتَاهُ مِنْ الحورِ العينِ فتقولانِ: الحمدُ لله الذي أحياكَ لنَا وأحيانَا لكَ، قال: فيقولُ: ما أُعْطِيَ أحَدٌ مثلَ ما أُعْطِيتُ»[2].

وروى مسلم عن المُغيرةَ بن شُعْبَةَ أن رسولَ الله ﷺ قالَ: «سأل موسى ربَّه: ما أدْنَى أهل الجنَّةِ مَنْزِلَةً، قالَ: هُوَ رجلٌ يجيئُ بعدَ ما أُدخِل أهلُ الجنَّةِ الجَنَّةَ، فيقالُ لهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ فيقولُ: أيْ ربِّ كيفَ أَدْخُلُهَا وَقَدْ نَزَلَ الناسُ منازِلَهمْ وأخذُوا أخذَاتِهم، فيُقالُ لهُ: أتَرضَى أنْ يكونَ لكَ مثلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيا؟ فيقولُ: رضيتُ ربِّ، فيقولُ: لك ذلكَ ومثلُهُ ومثلُهُ، ومثلُهُ ومثلُهُ فقالَ في الخامسةِ: رضيتُ ربِّ فيقولُ: هذا لكَ وعشرةُ أمثالِهِ، ولك ما اشتهتْ نفسكَ ولذَّتْ عينُكَ، فيقولُ: رضيتُ ربِّ. قالَ - أي موسى ﷺ -: ربِّ فأعلاهمْ منزلةً، فقالَ: أولئكَ الذينَ أردتُ غرستُ كرامَتهُم بيدي وختمتُ عليها، فلمْ ترَ عينٌ ولم تسمعْ أذنٌ ولم يخطرْ على قلبِ بشرٍ»[3].

إخواني ... أرأيتُم حالَ أدنى أهلِ الجنَّةِ منزلةً، إنهُ نعيمٌ عظيمٌ فَمَا بالكمْ بأعلاهُمْ إنها والله لفرصةٌ عظيمةٌ ما دام في العمر بقية فرصة ثمينة قبل حصول الأجل وفوات الأوان فهل من مشمرٍ لجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

---

(١) رواه مسلم (١٨٧) في الإيمان.
(٢) رواه مسلم (١٨٨)
(٣) رواه مسلم (١٨٩).

الجليس وأثره سلبًا وإيجابًا

الخطبة الأولى:

إن الحمـد لله، نحمدُه ونستـعينُه ونستغـفرهُ، ونعوذُ بالله من شـرورِ أنفسنا ومن سَيئات أعمالنا، مَن يَهـده اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . إنَّ اللهَ جلَّ وعلاَ قَدْ حَدَّدَ الغايةَ الَّتي لَهَا خَلَقَ الجنَّ والإِنْسَ بقَوْلِهِ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (سورة الذاريات:٥٦) . وقال ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (سورة النحل:٣٦). وقال ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (سورة الملك:١-٢). إلى غير ذلكَ من الآياتِ التي تُبينُ الهدفَ من إيجادِ الثقلينِ وأنَّه عبادةُ اللهِ وحدَه. وقد اقتَضَتْ حكمة اللهِ في خَلْقِهِ أَنْ جَعَلَ الإنسانَ ميَّالاً

بطبعه إلى مُخَالَطَة الآخرينَ ومجُالَسِتهمْ والاجتماعِ بِهِم. وهذهِ المُجَالَسَةُ والمقارنَةُ لَهَا أثرُهَا الواضحُ في فكرِ الإنسانِ ومنهجه وسلوكه، وهَي سبب فعال في مصيرِ الإنسانِ وسعَادته الدُّنْيَوِيَّة والأُخْرَوِيَّة، فإنَّ المرءَ يتأثرُ بجَليسه ويَصطَبِغُ صبْغَته فكراً ومُعْتَقَدًا وسُلُوكًا وعَملاً. وقد دل على ذلكَ الشرعُ والعَقلُ والواقعُ والتجْربةُ والمُشَاهَدَةُ. فمنْ دَلالَةِ الشَّرْعِ ما أخبرَ به سُبحانَه عن ندمِ الظَّالمِ يومَ القيامةِ وتَأَسُّفه على مُصَاحبته لَمنْ ضلَّ وانحرفَ وكان سببًا في انحرافه وإضْلاله قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾ (سورة الفرقان: ٢٧-٢٩). قال ابنُ جَريرٍ في تَفسيرِه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ﴾. المشركُ بربِّه على يَدَيه نَدمًا وأسفًا على ما فَرَّطَ في جَنْبِ الله وأوبَقَ نفسَهُ بالكفرِ في طاعة خَليله الذي صَدَّهُ عن سبيل ربِّه، يقولُ: يَاليتَني اتخذْتُ في الدنيا مع الرسُولِ سَبيلاً، يَعني طَريقًا إلى النجاة من عذابِ الله... وقولُه: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾. يقولُ جلَّ ثناؤه مُخْبرًا عنْ هذَا النادمِ على ما سَلَفَ منهُ في الدُّنيا من مَعصيةِ ربِّه في طاعةِ خَليله: «لقد أضَلَّني عن الإيمانِ بالقرآنِ وهو الذِّكْرُ بَعدَ إذ جاءَني من عندِ الله فصَدَّني عَنهُ».

وقال ﷺ: «إنَّمَا مَثَلُ الجليسِ الصالحِ والجليسِ السُّوءِ كَحَاملِ المِسْكِ ونافخِ الكِيرِ، فَحَاملُ المِسْكِ إما أن يُحْذِيك وإمَّا أنْ تبتاعَ مِنْهُ وإما أنْ تَجِدَ منهُ ريحًا طَيِّبةً، ونافخُ الكِيرِ إمَّا أن يحرقَ ثيابَكَ وإمَّا أنْ تَجدَ منهُ ريحًا خبيثةً» (متفق عليه).

فَبَيَّنَ ﷺ أنَّ الجليسَ لهُ تأثيرٌ على جليسه سلبًا أوْ إيجَابًا بِحَسَبِ صَلاحه وفساده، حيثُ شبَّه الجليسَ الصالحَ بحاملِ المسك، فإنَّكَ إذا جالَستَهُ لابُدَّ أن يَحصُلَ لكَ منهُ واحدة من ثَلاث: إما أنْ يُحْذِيَكَ أيْ: يُعْطِيَكَ ويُهْدِيَ إليكَ، أو تَشْتَرِيَ منهُ، أو عَلى أدْنَى الأحوالِ تجدَ منهُ الرائحةَ الطَّيِّبةَ المؤثرةَ على نفسكَ وبدنكَ وثيابكَ، فكذلكَ جليسُكَ الصالحُ تنتفعُ بمُجَالَسَتِه ولابُدَّ، كما سَأَذْكُرُهُ بَعدَ قليلٍ في فوائدِ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الخيرِ الصَّالحين إنْ شَاءَ اللهُ تَعالى.

وشبَّهَ ﷺ الجليسَ السوءَ بنافخ الكير ـ وهو جلدٌ غليظٌ يُنْفَخُ به النارُ ـ فهُو إمَّا أنْ يَتطَايَر عليكَ من شَرَرِ نـاره فيُحرِقُ ثِيـابَكَ، أو تجدَ منهُ الرائحةَ الكَريهـةَ التي تُصيبُ بَدَنَكَ وثوبَكَ، كذلـك جليسُ السوءِ لابدَّ أن تتضـرَّرَ بمُجَالسَـته، ولا شك أنَّ النَّاسَ يَتفاوتونَ فيمَا بيْنَهُم، فَمنهُمْ منْ هو مفتَـاحٌ للْخَيْرِ دالٌّ عليه ومنْهُمْ منْ هُوَ مفتَاحٌ للشرِّ جالب إليه، كما قال ﷺ : **«إنَّ منَ النَّاسِ ناسًا مفاتيحُ للخيرِ مغاليقُ للشرِّ، وإنَّ من الناسِ ناسًا مفاتيحُ للشرِّ مغاليقُ للخيرِ، فطُوبَى لمَنْ جَعَلَ اللهُ مفاتيحَ الخيرِ على يَدَيْهِ، ووَيلٌ لمِنْ جَعَلَ اللهُ مفاتيحَ الشرِ على يَدَيْهِ»**، قال عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه: **«لا تتكلمْ فيما لا يَعْنِيكَ، واعتزل عدوَّكَ، واحذرْ صديقَك إلاَّ الأمينَ، ولا أمينَ إلاَّ من يخشَى اللهَ عزَّ وجلَّ ويُطيعُه، ولا تمشِ مع الفاجرِ فَيُعَلِّمَكَ من فجورِه، ولا تُطلِعْهُ على سرِّكَ، ولا تشاورْ في أمرِك إلا الذين يخشَون اللهَ سبحانَه»**، وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: **«لولا ثلاثٌ لأحببْتُ أن أكونَ في بطنِ الأرضِ لا على ظهرِها: لولا إخوانٌ لي يأتُونَني يَنتقُونَ طَيِّبَ الكلامِ كما يُنتَقَى طيبُ الثَّمرِ، أو أُعَفِّرُ وجْهي ساجِدًا للهِ عزَّ وَجَلَّ، أو غدوةٌ أو روحةٌ في سبيلِ اللهِ عزَّ وجلَّ»**.

الخطبة الثانية:

الحمـد لله الذي جعل مجـالسة الصالحين زادًا وبلاغًـا إلى مراضي الله سبـحانه وتعالى، وجعل مـجالسة الفاسـدين زادًا وبلاغًا إلى مساخط الله عـزَّ وجلَّ، نحمده سبحانه وتعالى على جزيل نعمه وعظيم عطاياه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . . أما بعد:

عِبَادَ اللهِ . . . إن الخيـرات الحاصلة والثمار اليـانعة التي تجنى من مجـالسة أهل الخير كثيرة يصعب إحصاؤها وتتعذر الإحاطة بها، وحسبي أن أذكر منها شيئًا في هذا المقام، فمنها أن من يجالس الصالحين تشمله بركة مجالسهم ويعمه الخير الحاصل لهم وإن لم يكن عمله بالغًا مبلغهم كمـا دل على ذلك ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم»**، قال: **«فيحفونهم بأجنحتهم إلى السمـاء الدنيـا»**، قال: **«فيسألهم ربهم عزَّ وجلَّ وهو أعلم منهم: مـا يقول عبـادي؟ قال:**

تقول (يعني الملائكة): **يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك...»**، فذكر الحديث بطوله وفي آخره قال: **«فيقول الله: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة»**، وفي لفظ: **«فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم، قال: فيقول: هم الجلساء لا يشقى جليسهم»**، وفي لفظ فيقول: **«وله قد غفرت هم القوم لا يشقى جليسهم»**.

ومن آثار الجليس الصالح: أنه يبصرك بعيوبك ويدلك على جهات النقص عندك ومواطن العلل في نفسك وخلقك، فتنطلق نحو العلاج وإصلاح العيوب، ولذلك نجد أن النبي ﷺ شبه المؤمن في كونه مبصرًا لأخيه بعيوبه بالمرآة التي يرى الإنسان فيها عيوبه الظاهرة، فقال: **«المؤمن مرآة المؤمن»**[1]، فالمؤمن مرآة لأخيه يرى من خلالها عيوبه السلوكية والمعنوية. وذلك أن أخاه يدله على عيوب فيه لم يطلع عليها، ولم يفطن لها أو يدركها أصلاً، كالمرآة تطلعه على عيوب ظاهرة لا يراها إلا من خلالها. قال الحسن: «المؤمن مرآة أخيه إن رأى فيه ما لا يعجبه سدَّده وقوَّمه وحاطه وحفظه في السر والعلانية».

ومن آثار الجليس الصالح: أن المرء مجبول على الاقتداء بجليسه والتأثر بعمله وعلمه وسلوكه، فمجالس أهل الخير يتأثر بهم ومن المتقرر عند علماء التربية أن التأثير عن طريق القدوة أبلغ من التأثير بالمقال والنصح ولذلك قال ﷺ: **«المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»**[2].

فبين ﷺ أن المرء مشاكل ومماثل لخليله وجليسه في الاستقامة والصلاح وعدمهما، ولذلك قال مُرَغِّبًا في اختيار الجليس: **«فلينظر أحدكم من يخالل»**، أي ليتبين من هو خليله وليختر الخليل المرضي في دينه وخلقه. قال الخطابي في كتابه

---

(١) رواه البخاري، في «الأدب المفرد» (٢٣٩)، وأبو داود (٤٩١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه العراقي، وابن حجر، وانظر: «الصحيحة» (٢٣٩).

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وحسنه الترمذي والبغوي والألباني.

(العزلة): قوله: «المرء على دين خليله»، معناه لا تخالل إلا من رضيت دينه وأمانته فإنك إذا خاللته قادك إلى دينه ومذهبه.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «**ما من شيء أدل على شيء ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب**»، وقال ابن حبان: «إن من أعظم الدلائل على معرفة ما فيه المرء من تقلبه وسكونه هو الاعتبار بمن يحادثه ويوده، لأن المرء على دين خليله، وطير السماء على أشكالها تقع»، وقال ﷺ: «**الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**» (اخرجه مسلم).

قال الخطابي: يقول ﷺ: «إن الأجساد التي فيها الأرواح تلتقي في الدنيا فتأتلف وتختلف على حسب ما جبلت عليه من التشاكل والتنافر في بدء الخلقة، ولذلك ترى البر والخير يحب شيله ويحن إلى تِرْبه وينفر من ضده، وكذلك الرَّهِق الفاجر يألف شيله ويستحسن فعله وينحرف عن ضده».

وقال عدي بن زيد الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ✩ فكل قرين المُقَارَنِ يقتدي

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ✩ ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

وقال المنتصر بن بلال:

يزين الفتى في قومه ويشينه ✩ وفي غيرهم أخدانه ومداخله

لكل امرئٍ شكل من الناس مثله ✩ وكل امرئٍ يهوى إلى من يشاكله

حقوق المسلمين على بعضهم

الخطبة الأولى:

إن الحمـد لله، نحمدُه ونستـعينُه ونستغـفرهُ، ونعوذُ بالله من شـرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يَهـده اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، وأشـهدُ أن محمدًا عبـدُه ورسولُه، صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن حقـوق المسلمين على بعضهم وهي بحمد الله يسيرة على من يسرها الله عليه، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قوله: **«حق المسلم على المسلم ست»، قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال: «إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه»** (رواه مسلم).

هذه الحقوق الستة من قام بها في حق المسلمين كان قيامه بغيرها أولى وحصل له أداء هذه الواجبات والحقوق التي فيها الخير الكثير والأجر العظيم من الله تعالى.



أولاً - «إذا لقيته فسلم عليه»: فإن السلام تحية المسلمين، وأتم هذه التحية وأكملها «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، فهو دعاء للمُسَلَّم عليه بالسلامة والرحمة والبركة، والسلام اسم من أسماء الله الحسنى، والسلام من محاسن الإسلام، ومن حق المسلم على أخيه المسلم.

وابتداؤه سنة عند اللقاء على من عرفت ومن لم تعرف من صغير وكبير وغني وفقير وشريف ووضيع، وهو يتضمن تواضع المسلم وأنه لا يتكبر على أحد، فمن بدأ الناس بالسلام فقد برئ من الكِبر. وأولى الناس بالله من بدأهم بالسلام، وأبخل الناس الذي يبخل بالسلام، وإفشاء السلام من أبواب المحبة والألفة بين المسلمين الموجبة للإيمان الذي يوجب دخول الجنة والنجاة من النار كما قال النبي ﷺ: **«لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم»**[١].

عِبَادَ اللهِ . . . ابدأوا بالسلام ثم قولوا بعده ما تشاؤون من الترحيب الجائز شرعًا مثل (مساء الخير وصباح الخير)، ولا فرق في ذلك بين المقابلة المباشرة أو بواسطة الهاتف، وعلى المسلَّم عليه رد السلام بأحسن منه أو مثله قال تعالى: ﴿وإذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ (سورة النساء:٨٦).

ثانيًا - ومن حق أخيك المسلم عليك: «إذا دعاك فأجبه»: أي دعاك لدعوة طعام أو شراب فاجبر خاطر أخيك الذي أكرمك بالدعوة وأجبه لذلك، إلا أن يكون لك عذر شرعي.

قال رسول الله ﷺ: **«إذا دعي أحدكم إلى الوليمة فليأتها»**[٢].

(١) رواه مسلم (٥٤)، وأبو داود (٥١٩٣)، والترمذي (٢٦٨٩).
(٢) رواه البخاري (٥١٧٣)، ومسلم (١٤٩٢).

ثالثًا ـ ومن حق أخيك المسلم عليك: «إذا استنصحك فانصح له»: إذا استشارك في عمل من الأعمال هل يعمله أم لا؟ فانصح له بما تحب لنفسك، فإن كان العمل نافعًا من كل وجه فحثه على فعله، وإن كان مضرًا فحذره منه وإن احتوى على نفع وضر فاشرح له ذلك ووازن بين المنافع والمضار، والمصالح والمفاسد، وكذلك إذا شاورك على معاملة أحد من الناس أو التزوج منه أو تزويجه فأظهر له محض نصحك، واعمل له من الرأي ما تعمل لنفسك، وإياك أن تغش المسلمين في أي شأن من شئونهم فمن غش المسلمين فليس منهم، وقد ترك واجب النصيحة، وهي لها آداب وأحكام كثيرة، وتتأكد إذا طلب منك النصيحة والرأي النافع، ولهذا قيده بهذه الحالة التي تتأكد، وفي الحديث: **«الدين النصيحة»، قالها ثلاثًا**[1].

رابعًا ـ ومن حق أخيك المسلم عليك: «إذا عطس فحمد الله فشمته»: وذلك أن العطاس نعمة من الله تعالى بخروج هذه الريح المحتقنة في أجزاء بدن الإنسان يسر الله لها منفذًا تخرج منه فيستريح العاطس، فشرع له أن يحمد الله على هذه النعمة، وشرع لأخيه المسلم أن يقول له: يرحمك الله، وأمره أن يجيبه بقوله: يهديكم الله ويصلح بالكم ـ كما في الحديث الذي أخرجه البخاري ـ فمن لم يحمد الله لم يستحق التشميت ولا يلومن إلا نفسه، فهو الذي فوت على نفسه النعمتين: نعمة الحمد ونعمة دعاء أخيه المرتب على الحمد.

خامسًا. ومن حق أخيك المسلم عليك: «إذا مرض فعده»: فإن عيادة المريض وزيارته من حقوق المسلم وخصوصًا من له حق عليك متأكد كالقريب والجار والصاحب. وهذه الزيارة من أفضل الأعمال الصالحة، ومن عاد أخاه المسلم لم يزل في رحمة الله.

---

(١) رواه مسلم (٥٥)، وأخرجه (٤٩٤٤).

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، نحمده سبحانه وتعالى على ما يسر علينا من الحقوق والواجبات ولم يكلفنا من الأعمال إلا ما نطيق، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

عباد الله . . . «**من عاد أخاه أول النهار صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، ومن عاده آخر النهار صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح**»[1]. كما في الحديث، وينبغي لمن زار مريضًا أن يشرح خاطره بالبشارة بالعافية والدعاء له بالشفاء، وأن يقول له كما في الحديث: «**لا بأس طهور إن شاء الله**»[2]. ويذكره بالتوبة والإنابة إلى الله، والإكثار من الذكر والدعاء والاستغفار، ويأمره بالوصية النافعة، ولا يطيل عنده الجلوس، بل بقدر العيادة، إلا أن يؤثر المريض كثرة تردده وجلوسه عنده فلكل مقام مقال.

سادسًا ـ ومن حق المسلم على المسلم: «اتباع جنازته إذا مات»: فإن من تبع الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط من الأجر، فإن تبعها حتى تدفن فله قيراطان كل قيراط مثل الجبل العظيم، واتباع الجنازة فيه حق لله وحق للميت وحق لأقاربه الأحياء.

عباد الله . . . الواجب على العاقل التنبه لمصالح وحقوق نفسه، ثم لحقوق إخوانه المسلمين، ولا تشغلنكم الدنيا عن هذه الحقوق. . فيا عجبًا لمن عرف الدنيا ثم اغتر. أما يقيس ما بقي بما مر؟ أيؤثر اللبيب على الخير الشر؟ أيختار الفطن على النفع الضر؟ إذا دُعيت إلى التوبة سوفتها! وإذا قمت في العبادة خففتها! كم حيلة في مكاسب الدنيا تلطفتها!

كم قِفار في طلبها قطعتها! كم كذبات من أجل الدنيا زخرفتها! تحضر المسجد وقلبك مع الذي ألفتها! تالله لو علمت ما تجني لعفتها.

---

(١) رواه الترمذي، وأبو داود (٣٠٩٩)، «صحيح ابن ماجه» (١١٨٣).

(٢) رواه البخاري.

أيها المسلم . . **ومن حق أخيك المسلم عليك:** أن تبر قسمه إذا أقسم عليك في شيء لا محذور فيه فتفعل ما حلف عليك من أجله حتى لا يحنث في يمينه ومن حقه عليك أن تحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك، وأن تحب له ما تحب لنفسك من الخير، وتكره له ما تكره لنفسك من الشر، قال ﷺ : **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**[1] .

ومن حقه عليك: أن تخالقه بخلق حسن فتبذل له المعروف وتكف عنه الأذى، وأن توقره إن كان كبيرًا وترحمه إن كان صغيرًا، وأن تنصفه من نفسك، وتعامله بما تحب أن يعاملك به، وأن تساعده إذا احتاج إلى مساعدة، وأن تشفع له في قضاء حاجته بالحدود المعروفة شرعًا.

وأن تكون صادقًا مع الناس جميعًا، ولا تغش ولا تخدع ولا تغدر ولا تحسد، وكن موفيًا بالعهد، عفوًا متسامحًا، حليمًا تجتنب السباب والفحش وبذئ الكلام، لا ترمي أحدًا من المسلمين بفسق أو كفر بغير حق، ولا تتدخل فيما لا يعنيك، وأن تبتعد عن الغيبة والنميمة بين إخوانك المسلمين، وتجنب قول الزور وظن السوء، وإذا ائتمنك أحد على سر فإنك تحفظه ولا تفشيه، وكن متواضعًا ولا تتكبر ولا تسخر من أحد، تعاشر كرام الناس وتبتعد عن أراذلهم إلا ما كان لمصلحة دينية بالضوابط الشرعية، وتحرص على نفع الناس ودفع الضر عنهم. وتسعى للصلح بين المسلمين، وتدعو إلى الله تعالى بينهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن تكافيء على المعروف وتشكر عليه وتخالط الناس وتصبر على أذاهم، وتدخل السرور في قلوب المسلمين ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، ولا تروع أحدًا من المسلمين، تدل الناس على الخير،

---

(١) متفق عليه.

وتحب التيسير وتجتنب التعسير، وتبشر ولا تنفر، وتعدل في حكمك، ولا تظلم ولا تحابي ولا تنافق ولا تداهن ولا ترائي، ولا تباهي بأعمالك ومنجزاتك، ولا تلتوي ولا تتلون مهما كانت الظروف، ولا تصعر خدك للناس، وكن كريمًا جوادًا ولا تمنن على من أعطيت أو على من أسديت إليه معروفًا وحاول أن تؤثر على نفسك إخوانك المسلمين فتلك مرتبة عالية، وتنفِّس عن المعسر، وأن تكون عفيفًا لا تتطلع إلى المسألة، ألفًا مألوفًا، وأن تخضع عاداتك كلها لمقاييس الإسلام.

وتتأدب بأدبه في نفسك ومع مجتمعك في طعامك وشرابك ولباسك وسائر حياتك، ومع الناس من زيارات وعلاقات، وغير ذلك من الأعمال والصلات الاجتماعية.

أيها المسلم... هذه من الأمور المطلوبة منك، عليك أن تلتزم بها وتؤديها وأنت تعتقد أن فعلك إياها عبادة لله تعالى وقربة تتقرب بها إليه سبحانه وتعالى، ترجو من وراء ذلك الأجر والثواب العظيم في الآخرة والتوفيق والتسديد في الدنيا.

الحقوق الزوجية

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرهُ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سَيئات أعمالنا، مَن يَهده اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله تعالى ـ عن الحقوق الزوجية، فقد أوضح الإسلام أن حياة الزوجين معًا في إطار الأسرة إنما قصد بها التعاون على تهيئة الظروف المثلى، التي يجد كل منهما في ظلالها طلبه ومبتغاه، فليس الزواج شركة يبتغي كل طرف فيها الربح لنفسه، ولا يبالي بخسارة غيره، بل هو ميثاق مؤكد، وعهد مشهود بين الزوجين أن يعمل كل منهما من أجل الآخر وأن يتعاونا لبلوغ السعادة المشتركة قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ (سورة الأعراف: ١٨٩).

ولم يرتض الإسلام تمكين أحدهما من ظلم الآخر، أو إذاقته الهوان، فهما لم يجتمعا إلا للتعاون على إقامة الحياة الناجحة، وعلى هذا المبدأ تقوم الحقوق والواجبات التي قررها الإسلام لكل من الزوجين فهناك حقوق مشتركة بينهما. وحقوق للزوجة على زوجها، وحقوق للزوج على زوجته.

فمن الحقوق المشتركة بينهما: التعاون على طاعة الله، وتذكير بعضهما بعضًا بتقوى الله، ومن أروع صور هذا التعاون، ما ذكره لنا الرسول ﷺ عن تعاون الزوجين على قيام الليل، حيث يقول: **«رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء»**[(١)].

ومن الحقوق المشتركة بين الزوجين: إخلاص كل منهما للآخر، ووفاؤه له، ومودته له ورحمته، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة الروم: ٢١).
ومن الحقوق المشتركة أن يستشعر كل منهما المسئولية الملقاة على عاتقه تجاه الآخر، ويعلم أنه مطالب بالقيام بالحقوق التي عليه، فيقوم بها على الوجه الأكمل، قال ﷺ: **«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالرجل راع في أهل بيته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها»**[(٢)].

ومن الحقوق: أن يتعاون الزوجان على جلب السرور ودفع الشرور ما أمكن، وما أجمل كلمة أبي الدرداء رضي الله عنه حينما قال لزوجته: **«إذا رأيتني غضبت فرضيني، وإذا رأيتك غضبى رضيتك، وإلا لم نصطحب»**.

---

(١) «صحيح الجامع» (١/ ٦٥٧) رقم (٣٤٩٤)، «صحيح الترغيب» (٦٢١).
(٢) رواه البخاري (٥٢٠٠)، ومسلم (١٨٩٤).

ومن الحقوق الزوجية: أن لا يفشي أحد الزوجين سر صاحبه، وأن لا يذكره بسوء أمام الناس، فإن في ذلك إيذاء لهما جميعًا، وفيه غيبة بغيضة آثمة، وقد حذر الرسول ﷺ من ذلك أشد التحذير فقال: **«إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها»**[1].

ومن الحقوق الزوجية: أن يعتني كل من الزوجين بمظهره أمام الآخر فتتزين المرأة لزوجها، ويتزين الزوج لزوجته، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إني لأحب أن أتزين لامرتي كما أحب أن تتزين لي لأن الله يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (سورة البقرة:٢٢٨). وقد أوصى رسول الله ﷺ الرجل أن لا يدخل على زوجته حتى تتهيأ له وتتزين فقال: **«إذا دخلت ليلاً فلا تدخل على أهلك حتى تستحد المغيبة ـ التي غاب عنها زوجها ـ وتمتشط الشعثة»**[2]. وبعض النساء ـ هداهنّ الله ـ لا يتزين لأزواجهن الزينة التي ترغب الأزواج فيهن، فتجد الواحدة منهن تستقبل زوجها في بيتها بملابس المطبخ ورائحة الطعام تنبعث منها، وإذا خرجت إلى الشارع تتزين لغير زوجها فينفر منها الزوج ويطلب غيرها.

وبعض الرجال ـ هداهم الله ـ لا يتزينون لزوجاتهم؛ بل تجد الواحد منهم إذا جاء من عمله، مكث في البيت ورائحة العرق أو الدخان تفوح منه ولا يتنظف لزوجته، فإذا خرج للقاء زملائه تجمل وتطيب حتى تقع النفرة من زوجته تجاهه.

ومن حقوق الزوجة على زوجها: اعطاؤها مهرها كاملاً، قال تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ (سورة النساء:٤). وكذلك الإنفاق عليها بما تحتاجه من طعام وكسوة وسكن بحسب قدرته، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (سورة البقرة:٢٣٣). بل رغب رسول الله ﷺ في الإنفاق على الأهل، وجعل ذلك أفضل نفقة ينفقها الإنسان فقال: **«دينار انفقته في سبيل الله، ودينار انفقته في رقبة، ودينار تصدقت به**

---

(١) رواه مسلم (٣٥٢٧)، وأبو داود (٤٨٧٠).

(٢) «صحيح الجامع» (١/ ١٥٢)، رقم (٥٢٥).

على مسكين، ودينار انفقته على اهلك، اعظمها اجراً الذي انفقته على اهلك»[1] . وحذر ﷺ أشد التحذير من التفريط في النفقة على الأهل؛ لما لذلك من آثار وخيمة، قد تضطر الأهل إلى سلوك طريق منحرف للحصول على النفقة، فقال: «كفى بالمرء إثماً ان يضيع من يقوت»[2] .

ومن حقوق الزوجة على زوجها: معاشرتها بالمعروف، قال تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (سورة النساء:١٩). وكان ﷺ أحسن الناس معاشرة لأهله وأخبر أن خير المسلمين أحسنهم معاملة لأهله فقال: «خيركم خيركم لأهله وانا خيركم لأهلي»[3] . وقال ﷺ: «الا واستوصوا بالنساء خيراً»[4] . وقال ﷺ: «لا يفرك - أي: لا يبغض - مؤمن مؤمنة؛ إن كره منها خلقاً رضي منها آخر»[5] . فهذا من حسن العشرة، لأن التغاضي عن بعض أخطاء الزوجة ونقائضها وتذكر ما هي متحلية به من مكارم ومحاسن يجعل الحياة الزوجية تستمر، وصدق تعالى إذ يقول: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (سورة النساء:١٩).

ومن حقوق الزوجة على زوجها: العمل على وقايتها من النار، وذلك بإقامتها على الحق، فيأمرها بما أمر الله وينهاها عما نهى الله، ويعينها على الحق امتثالاً لأمره سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (سورة التحريم:٦). ومن ذلك أن يغار عليها الغيرة المطلوبة شرعًا وذلك بحفظها عن كل ما يمكن أن يلحقها من أذى الرجال من نظرة أو كلمة أو لمسة، والغيرة أخص خصائص الرجال الشجعان،

(١) «صحيح الجامع» (٦٣٩) رقم(٣٣٩٨).
(٢) حسن: «صحيح الجامع» (٢/٨٢٧) رقم (٤٤٨١)، و«الإرواء» (٨٩٤).
(٣) رواه أبو داود (٤٨٩٩)، و«الصحيحة» (٢٨٥).
(٤) رواه البخاري (٥١٨٦)، ومسلم (١٤٦٨).
(٥) رواه مسلم (٢٦٧٢)، «المشكاة» (٣٢٤٠).

المتحلين بمكارم الرجولة والشهامة، ولا تنزع إلا من سافل، وغيرة الرجل تكون بإلزام زوجته بالحجاب الإسلامى وإبعادها عن مواطن الفتن ومنعها من الاختلاط، وكذلك عليه أن يعلمها ما تحتاجه من أمور دينها، لأنه راعيها، وكل راعٍ مسؤول عن رعيته فإن لم يعرف لجهله سأل العلماء.

ومن حقوق الزوجة على زوجها: أن يعدل في القسم بين زوجاته فإن عجز حرم عليه التعدد، فإن فعل فهو ظالم وله نصيب من قوله ﷺ : **«من كان له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى، جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل»**[1] .

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذى خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون، نحمده سبحانه ونشكره، الذي أمرنا بمعاشرة الزوجات بالمعروف، فما خالط الإحسان شيئًا إلا زانه، وأصلي على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأسلم تسليمًا كثيرًا . . أما بعد:

عباد الله . . . **من حقوق الزوجة على زوجها:** أن لا يسئ الرجل استخدام الحقوق والقوامة التي أعطاه الله إياها أو يستخدمها بأسلوب ظالم، فإن الظلم من كبائر الذنوب قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ (سورة ابراهيم:٤٢). وقال ﷺ : **«اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»**[2] .

أما حقوق الزوج على زوجته فمنها: طاعة الزوج بالمعروف، لأن الحياة الزوجية لا تستمر إلا كذلك، فالله عزَّ وجلَّ قد أعطى حق القوامة للرجل لما له من قوة، وما يجب عليه من الإنفاق على أهله ورعايتهم وحمايتهم وتوجيههم وتربيتهم وتعليمهم،

---

(١) «صحيح الجامع» (١١١٠)، رقم (٦٥١٥)، «الصحيحة» (٢٠٧٧).

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٨).

فمن كانت كل هذه المسؤوليات والواجبات عليه فإنه لابد أن يطاع ولا يعصى أمره في طاعة الله، أما في معصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وحتى يتمكن من القيام بما عليه من واجبات، وحتى تحفظ الأسرة من التصدع والانهيار لأنه لا رأي لمن لا يطاع.

قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (سورة النساء: ٣٤).

وبين رسول الله ﷺ عظمة طاعة الزوج وأهميتها فقال لإحدى نساء الصحابة ﵃: **«أذات بعل؟»، قالت: نعم، قال: «كيف أنت له؟»، قالت: لا آلوه** - أي: لا أقصر في طاعته - **إلا ما عجزت عنه، قال: «فانظري اين انت منه فإنه جنتك ونارك»**[1]، أي: هو سبب دخولك الجنة أن أطعتيه، ودخولك النار إن عصيتيه.

وحذر ﷺ من عصيان المرأة لأمر زوجها، فقال: **«لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه. قاتلك الله. هو عندك دخيل يوشك ان يفارقك إلينا»**[2]. وقال ﷺ: **«إذا دعا رجل امرأته إلى فراشه فلم تأته، فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح»**[3]. وقال ﷺ: **«لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه»**[4].

وبين ﷺ مكانة الزوج وأهمية طاعته، فقال: **«لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»**[5]. أي: لو كان لأحد من البشر أن يسجد لأحد، لكان أولى الناس أن يؤمر بالسجود الزوجة لزوجها، تقديرًا واعترافًا بحقه، ومادام أنه لا

---

(١) صحيح: «مسند أحمد» (٧/ ١٩٠٢٥).

(٢) صحيح: «صحيح الجامع» (١٢٠٧) رقم (٧١٩٢)، «الصحيحة» (١٧٣).

(٣) متفق عليه: البخاري (٨/ ١٨٩)، مسلم (١٤٣٥).

(٤) صحيح: «الصحيحة» (١/ ٥١٨) رقم (٢٨٩).

(٥) صحيح «صحيح الجامع» (٢/ ٩٣٧) رقم (٥٢٩٤)، «الإرواء» (١٩٩٨).

سبيل لأحد أن يسجد لأحد فعلى الزوجة أن تشكر لزوجها رعايته وحمايته ونفقته عليها، وأن تطيعه في كل شيء إلا في المعصية قالت ابنة سعيد بن المسيب ـ رحمها الله ـ: «ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلمون أمرائكم»، بل بين رسول الله ﷺ أن الزوج المؤمن طريق من طرق الجنة للزوجة المؤمنة، فقال: «**المرأة إذا صلت خمسها، وصامت شهرها، وأحصنت فرجها، وأطاعت زوجها؛ فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت**»[1].

وقال ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها كله، حتى لو سألها نفسها وهي على قتب** ـ أي على قتب البعير ـ **لم تمنعه**»[2].

وعلى الزوجة أن تحافظ على عرض زوجها وماله قال تعالى: ﴿**فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ**﴾ (سورة النساء: ٣٤). وكذلك عليها مراعاة كرامته وشعوره، حتى لا يرى منها إلا خيرًا، ولا يسمع منها إلا ما يحب، وما أجمل وصية أسماء بنت خارجة الفزارية لابنتها وهي تزفها: يا بنية، إنك خرجت من العش الذي فيه درجت فصرت إلى فراش لم تعرفيه وقرين لم تألفيه، فكوني له أرضًا يكن لك سماء، وكوني له مهدًا يكون لك عمادًا، وكوني له أمة يكن لك عبدًا، لا تلحفي فيه فيقلاك ـ أي لا تلحي عليه فيكرهك ـ ولا تباعدي عنه فينساك، واحفظي أنفه وسمعه وعينه، فلا يشمن منك إلا طيبًا، ولا يسمع إلا حسنًا، ولا ينظر إلا جميلاً، واعلمي أن أطيب الطيب الماء.

ومن حقوق الزوج على زوجته: تربية الأولاد، وهي المهمة الأولى والأساسية التي يجب أن تقوم بها وتسعى إليها، لتقيم أسرة سعيدة متماسكة قوية تكون لبنة من لبنات المجتمع الإسلامي، قال الله تعالى: ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ**﴾ (سورة البقرة: ٢٣٣).

---

(١) صحيح: «صحيح الجامع» (١/ ١٧٤) رقم (٦٦٠ - ٦٦١).

(٢) صحيح: «الصحيحة» (١٢٠٣).

وقد أجاد من قال:

الأم مـــدرســـة إذا أعـــددتهـــا ✪ أعــددت شــعــبًــا طيب الأعــراق

ومن واجبات الزوجة على زوجها: قيامها بتدبير شئون مملكتها أي منزلها فهو الوظيفة الطبيعية للمرأة، قال ﷺ : **«والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها»**.

ورضي الله عن أسماء بنت أبي بكر وعن أبيها، إذ قالت: **«تزوجني الزبير، وما له في الأرض من مال ولا شيء إلا فرسه وناضحه - أي بعيره - فكنت أعلف فرسه وأسوسه، وأدق النوى لناضحه، وأستقي الماء، وأخرز غربه، وأعجن، وكنت أنقل النوى على رأسي من ثلثي فرسخ، حتى أرسل أبو بكر بخادم فكان يكفيني سياسة الفرس»**.

وقال أنس رضي الله عنه: **«كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا زفوا المرأة إلى زوجها يأمرونها بخدمة الزوج، ورعاية حقه، وتربية الأولاد»**.

حقوق الجار

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرهُ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سَيئات أعمالنا، مَن يَهده اللهُ فلا مُضلَّ له، ومَن يُضْلل فلا هاديَ له، وأشهَدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، صلى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله تعالى ـ عن حقوق الجار، قال الله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ (سورة النساء: ٣٦).

أمر الله سبحانه وتعلى في هذه الآية بعبادته وحده لا شريك له، ثم أمر بالقيام بحقوق العباد الأقرب فالأقرب، ومن جملة ذلك الجار فقال: ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾

أي: الجار القريب، الذي له حقان: حق الجوار وحق القرابة، فله على جاره حق وإحسان، وحد الإحسان راجع إلى العرف، وكذلك ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ أي: الذي ليس له قرابة، وكلما كان الجار أقرب باباً كان آكد حقًا، فينبغي للجار أن يتعاهد جاره بالهدية والصدقة والدعوة واللطافة بالأقوال والأفعال وعدم أذيته بقول أو فعل، ولقد بلغت منزلة الجار في نظر الإسلام درجة جعلت جبريل يكثر في وصيته به حتى ظن الرسول ﷺ أن الجار سيرث جاره، فعن عائشة ﵂ في الصحيحين أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»، ويدخل في الوصية إرادة الخير له وموعظته بالحسنى والدعاء له بالهداية.

وترك الإضرار به ومناصحته في حدود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي رواية مسلم عن أبي شريح الخزاعي ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره**»، ومن الإحسان إلى الجار تقديم الهدايا إليه في المناسبات؛ فإن الهدية تجلب المودة وتزيل العداوة؛ فقوله ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليفعل كذا وكذا، يدل على أن هذه الخصال من خصال الإيمان، فالأعمال التي تدخل في الإيمان تارة تتعلق بحقوق الله كأداء الواجبات وترك المحرمات ومن ذلك قول الخير والصمت عن غيره، وتارة تتعلق بحقوق عباده كإكرام الضيف وإكرام الجار والكف عن أذاه.

عن عبد الله بن المساور قال: سمعت ابن عباس يخبر ابن الزبير يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «**ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع**»[1].

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر ﵁ قال: أوصاني خليلي ﷺ: «**إذا طبخت مرقًا فأكثر ماءه، ثم انظر أهل بيت جيرانك، فأصبهم منها بمعروف**»، حث ﷺ في هذا الحديث

(١) صحيح: «الصحيحة» (١٤٩).

على مكارم الأخلاق؛ لما يترتب عليه من المحبة وحسن العشرة ودفع الحاجة والمفسدة، فإن الجار قد يتأذى بقتاد قدر جاره - أي: ريح القِدر والشواء ونحوهما -، قال العلماء: لما قال ﷺ: «فأكثر ماءها» نبه بذلك على تيسير الأمر على البخيل تنبيهًا لطيفًا، وجعل الزيادة فيما ليس فيه ثمن وهو الماء، ولذلك لم يقل: إذا طبخت مرقة فأكثر لحمها، إذ لا يسهل ذلك على كل أحد، ولقد أحسن حاتم الطائي في قوله:

ناري ونار الجار واحدة ☆ وإليه قبلي تنزل القدر

وهذا من باب الإيثار وإلا فالصحيح ما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل شيء عن أهل بيتك فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا»[1]

ولو لم يتيسر إلا القليل فليهده ولا يحتقره، وعلى المهدى إليه قبوله، لقوله ﷺ: «يا نساء المؤمنات لا تحقرن إحداكن لجارتها ولو كراع شاة محرقًا»[2].

وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، إن لي جارين فإلى أيهما أهدي، قال: «إلى أقربهما منك بابًا»، ففي هذا الحديث دلالة على أن الأقرب دارًا هو الأولى بالهدية من غيره.

ومن إكرام الجار ألا يمنع من غرز خشبة له إرفاقًا به، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يمنعن أحدكم جاره أن يغرز خشبة في جداره»، وهذا محمول على ما لا يقع به ضرر بالجار وبيته، وهو الدليل على بر الجار والتجاوز له والإحسان إليه.

---

(١) رواه مسلم (٩٩٧).

(٢) رواه البخاري (٦٠١٧).

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي جعل للجيران حقوقًا على جيرانهم، وأمر بالمحافظة عليها وأدائها كما أمر سبحانه وتعالى وكما أمر نبيه ﷺ .. أما بعد:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن»، قيل: من يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»**[١]. قال ابن بطال - وهو من أئمة السلف -: «في هذا الحديث تأكيدُ حق الجارِ لقسمه ﷺ على ذلك وتكريره اليمين ثلاث مراتٍ، وفيه نفي الإيمان عمن يؤذي جاره بالقول أو الفعل ومراده الإيمان الكامل، ولاشك أن العاصي غير كامل الإيمان». وقال النووي: «عن نفي الإيمان في مثل هذا جوابان أحدهما: أنه في حق المستحل، والثاني: أنه معناه ليس مؤمنًا كاملاً». ا.هـ.

ويحتمل أن يكون المراد أنه لا يجازى مجازاة المؤمن بدخول الجنة من أول وهلة مثلاً، أو أن هذا خرج مخرج الزجر والتغليظ، وقال ابن أبي جمرة: «إذا أكد حق الجار مع الحائل بين الشخصين وبينه وأمر بحفظه وإيصال الخير إليه وكف أسباب الضرر عنه فينبغي له أن يراعي حق الحافظين اللذين ليس بينه وبينهما جدار ولا حائل فلا يؤذيهما بإيقاع المخالفات في مرور الساعات. فقد جاء أنهما يسران بوقوع الحسنات ويحزنان بوقوع السيئات، فينبغي مراعاة جانبهما وحفظ خواطرهما بالتكثير من عمل الطاعات والمواظبة على اجتناب المعصية فهما أولى برعاية الحق من كثير من الجيران، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»**[٢].

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٦)، ومسلم (٤٦).

(٢) رواه البخاري ومسلم، انظر: «الترغيب» (١/ ٥٣٢).

قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: «معنى الحديث: أن من التزم شرائع الإسلام لزمه إكرام جاره وضيفه وبرهما وكل ذلك تعريف بحق الجار وحث على حفظه وقد أوصى الله تعالى بالإحسان إليه في كتابه العزيز».

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه ذبح شاة فقال: أهديتم لجاري اليهودي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»**(١).

والضيافة من آداب الإسلام وخلق النبيين الصالحين، وقد أوجبها الليث ليلة واحدة واحتج بالحديث: **«ليلة الضيف حق واجب على كل مسلم»**(٢)، وبحديث عقبة رضي الله عنه: **«إذا نزلتم بقوم فأمروا لكم بحق الضيف فاقبلوا، وإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم»**(٣).

وأجمع عامة الفقهاء على أنها من مكارم الأخلاق وحجتهم قوله ﷺ: **«جائزته يوم وليلة»**، والجائزة العطية والمنحة والصلة وذلك لا يكون إلا مع الاختيار وقوله ﷺ: **«فليكرم وليحسن»**، يدل على هذا أيضًا إذ ليس يستعمل مثله في الواجب مع أنه مضموم إلى الإكرام للجار والإحسان إليه وذلك غير واجب، وتأولوا الأحاديث أنها كانت في أول الإسلام إذ كانت المساواة واجبة واختلفوا هل الضيافة واجبة على الحاضر والبادي أم على البادي خاصة؟ فذهب الشافعي رضي الله عنه ومحمد بن الحكم ـ رحمهما الله ـ إلى أنها عليهما، وقال مالك وسحنون: إنما ذلك على أهل البوادي لأن السافر يجد في الحضر المنازل في الفنادق ومواضع النزول وما يشتري من المأكل في الأسواق، وقد تتعين الضيافة لمن اجتاز محتاجًا وضيف عليه، وأما قوله ﷺ: **«فليقل خيرًا أو ليصمت»** فمعناه: أنه إذا أراد أن يتكلم فإن كان ما

---

(١) رواه أبو داود (٥١٥٢) وقال الألباني (٣/٩٦٨)، صحيح. والترمذي (١٩٤٤).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٤٤).

(٣) رواه أحمد (١٧١٧٢)، وانظر: «الصحيحة» (٢٢٠٤).

يتكم به خيرًا محققًا يثاب عليه واجبًا أو مندوبًا فليتكلم، وإن لم يظهر له أنه خير يثاب عليه فليمسك عن الكلام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ يا رسول الله! إن فلانة تقوم الليل، وتصوم النهار، وتفعل، وتصدق، وتؤذي جيرانها بلسانها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لا خير فيها، هي من أهل النار**»، قالوا: وفلانة تصلي المكتوبة، وتصدق بالأثوار[1]، ولا تؤذي أحدًا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هي من أهل الجنة**»[2].

وقال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: «إذا أراد أن يتكلم فليفكر، فإن ظهر له أنه لا ضرر عليه تكلم، وإن ظهر له فيه ضرر أو شك فيه أمسك». وقال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: «من عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه». وعن ذي النون ـ رحمه الله ـ: «أصون الناس لنفسه أمسكهم للسانه».

عِبَادَ الله . . . دلت الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ على تحريم العدوان على الجار، سواء كان ذلك بالقول أو بالفعل، أما بالقول فأن يسمع منه ما يزعجه ويقلقه كالذين يفتحون الراديو أو التليفزيون أو غيرهما مما يسمع فيزعج الجيران، فإن هذا لا يحل له، حتى لو فتحه على كتاب الله وهو مما يزعج الجيران بصوته فإنه معتد عليهم ولا يحل له أن يفعل ذلك، وأما بالفعل فيكون بإلقاء الكناسة حول بابه، والتضييق عليه عند مداخل بابه وكذلك جعل مياه المجاري ومياه الأمطار تحت جدار جاره فهذا من الضرر بمنزل جاره وإيذاءه.

ويجب مراعاة حقوق الجيران والإحسان إليهم بقدر الإمكان ويحرم الاعتداء عليهم بأي عدوان.

---

(١) الأثوار: جمع ثور: القطعة من الإقط وهو الجبن المجفف.

(٢) صحيح: «الصحيحة» (١٩٠).

الحسد خطره وعلاجه

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يَهده اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله تعالى ـ عن الحسد ،أجارنا الله وإياكم من الحسد إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

الحسد خلق ذميم نهى الله عنه وبين أنه من صفات أهل الكتاب من يهود ونصارى فقال: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (سورة البقرة:١٠٩). وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ

آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ (سورة النساء: ٥٤). وقد نهى الرسول ﷺ عن الحسد في أحاديث كثيرة، فالحسد إذا تفشى في أمة خلق فيها التنافر والتباغض وسوء العلاقة وقضى على مجتمع متحابب متعاضد متكامل، وهذا ليس من صفات المجتمع المسلم لهذا ذمه الله ورسوله ﷺ .

ومن الأحاديث الواردة في ذم الحسد ما ثبت في (الصحيحين) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول لله ﷺ قال: **«إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا»**[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يجتمعان في النار مسلم قتل كافرًا، ثم سدد وقارب، ولا يجتمعان في جوف مؤمن: غبار في سبيل الله وفيح جهنم، ولا يجتمعان في قلب عبد: الإيمان والحسد»**[2] .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه : **«كان رسول الله ﷺ يتعوذ من عين الجان، ثم أعين الإنس، فلما نزلت المعوذتان، أخذ بهما وترك ما سوى ذلك»**[3] . وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: رخص رسول الله ﷺ لآل حزم في رقية الحية، وقال لأسماء بنت عميس: **«ما لي ارى أجسام بني أخي ضارعة[4] تصيبهم الحاجة»، قالت: لا، ولكن العين تسرع إليهم. قال: «أرقيهم»، قالت: فعرضت عليه، فقال: «ارقيهم»**[5] .

وحقيقة الحسد: هي أنه إذا أنعم الله على أحد بنعمة فإن أردت زوالها فهذا هو الحسد، وإن أردت لنفسك مثلها فهذا هو الغبطة والمنافسة، أما الأول فحرام على كل حال إلا نعمة أصابها فاجر يستعين بها على الشر والفساد فلا يضرك محبتك لزوالها، فإنك ما أحببت زوالها إلا من أجل فجوره وفساده.

---

(١) رواه البخاري (٦٠٦٦)، ومسلم (٢٥٦٣) واللفظ له.
(٢) صحيح: سنن النسائي (٢٩١٢) وقال الألباني: حسن وصدره عند مسلم (١٨٩١).
(٣) رواه الترمذي (٢٠٥٨)، والنسائي (٨/ ٢٧١) وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (٥٠٦٩).
(٤) معنى «اجسام ضارعة» ـ كما في الحديث ـ أي: نحيفة، والمراد أولاد جعفر.
(٥) رواه مسلم (٢١٩٨).

ومراتب الحسد اربعة: الأولى ـ أن يحب زوال تلك النعمة عن المحسود، وإن كان ذلك لا يحصل له، وهذا غاية خبث الحسد.

المرتبة الثانية من مراتب الحسد ـ أن يحب زوال تلك النعمة إليه، وأن تكون له لا للمحسود.

الثالثة ـ أن يشتهي لنفسه مثلها، ولا يشتهي زوالها عنه بادئ الأمر، لكن إذا لم يحصل له مطلوبه حسده وتمنى زوالها عنه.

الرابعة ـ أن يشتهي لنفسه مثلها، فإن لم يحصل فلا يحب زوالها، وهذا معفو عنه، والثالث بين الذم والمدح، والثاني على خطر، والأول هو المذموم الخطير.

وقد ذكر العلماء للحسد سبعة أسباب:

احدها: العداوة والبغضاء سواء كان عدوانًا أو بسبب إيذاء.

ثانيهما: أن ينال أحد منصبًا عاليًا يرتفع عليه به وهو لا يحتمل فيحسده ويريد زوال ذلك عنه، وقد يسعى بقدرته لذلك.

ثالثها: أن يكون من طبيعته استخدام غيره، فيريد زوال النعمة عمن يرغب استخدامهم.

رابعها: التعجب، كما حكى الله عن أعداء الرسل أنهم قالوا: ﴿ **أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ** ﴾ (سورة المؤمنون:٤٧). وقال تعالى: ﴿ **أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً** ﴾ (سورة الاسراء:٩٤).

خامسها: الخوف من فوت المقاصد، وذلك يختص بالمتزاحمين على مقصود واحد أو صنعة واحدة فإن كل واحد منهما يحسد صاحبه على كل نعمة تكون عونًا له في الانفراد بمقصوده، وفي هذا الباب تحاسد الضرات والأخوة في نيل المنزلة عند الوالدين ونحو ذلك.

سادسها ـ حب الرئاسة وطلب الجاه لنفسه، كالذي يكون عديم النظير في فن من الفنون أو نوع من الملك والسلطان، فإذا سمع بنظير له ولو بعيدًا عنه، ساءه ذلك وأحب هلاكه أو زوال نعمته أو سلطانه.

سابعها ـ شح النفس بالخير على عباده، وهذا أكثر أنواع الحسد.

واعلم أن في الحسد مفاسد كثيرة، ومن ذلك عشر مفاسد:

منها: أنه تشبه باليهود أخبث عباد الله وأخس عباد الله الذين جعل الله منهم القردة والخنازير وعبدة الطاغوت.

ومنها: أن فيه دليل على خبث نفس الحاسد، وأنه لا يحب لإخوانه ما يحب لنفسه. ، لأن من أحب لإخوانه ما يحب لنفسه لم يحسد الناس على شيء، بل يفرح إذا أنعم الله على غيره بنعمة ويقول: اللهم آتني مثلها، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ (سورة النساء: ٣٢). ومنها أن فيه اعتراضًا على قدر الله عزَّ وجلَّ وقضائه، وإلا فمن الذي أنعم على هذا الرجل؟ الله عزَّ وجلَّ، فإذا كرهت ذلك فقد كرهت قضاء الله وقدره، ومعلوم أن الإنسان إذا كره قضاء الله وقدره فإنه على خطر في دينه ـ نسأل الله العافية ـ؛ لأنه يريد أن يزاحم رب الأرباب جلَّ وعلا في تدبيره وتقديره.

ومن مفاسد الحسد: أنه كلما أنعم الله على عباده نعمة التهبت نار الحسد في قلبه، فصار دائماً في حسرة ودائماً في غم؛ لأن نعم الله على العباد لا تحصى، وهو رجل خبيث كلما أنعم الله على عبده نعمة علا ذلك الحسد في قلبه حتى يحرقه.

ومن مفاسد الحسد: أنه يعرقل الإنسان عن السعي في الأشياء النافعة، لأنه دائمًا يفكر ويكون في غم، كيف جاء هذا الرجل مال؟ كيف جاءه علم؟ كيف جاءه ولد؟ كيف جاءه زوجه؟ وما أشبه ذلك، فتجده دائمًا متحسرًا ومنطويًا على نفسه، ليس له هم إلا تتبع نعم الله على العباد واغتمامه بها، نسأل الله العافية.

ومن مفاسد الحسد: أنه ينبيء عن نفس شريرة ضيقة، لا تحب الخير وإنما هي نفس أنانية تريد أن يكون كل شيء لها.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين وحجة الله على الناس أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .. أما بعد:

عباد الله ... **ومن مفاسد الحسد أيضًا:** أنه لا يمكن أن يغير شيئًا مما قضاه الله عزَّ وجلَّ أبدًا مهما عملت ومهما كرهت، ومهما سعيت لإخوانك في إزالة نعم الله عليهم فإنك لا تستطيع شيئًا.

ومن مفاسده: أنه ربما يرتقي بالإنسان إلى أن يصل إلى درجة العائن، فالعائن نفسه شريرة حاسدة حاقدة، إذا رأى ما يعجبه انطلق من هذه النفس الخبيثة مثل السهم حتى يصيب بالعين، فالإنسان إذا حسد وصار فيه نوع من الحسد، فإنه يَتَرَقَّى به الأمر حتى يكون من أهل العيون الذين يؤذون الناس بأعينهم، ولا شك أن العائن عليه من الوبال والنقمة بقدر ما ضر العباد، إن ضرهم بأموالهم فعليه من ذلك إثم، أو بأبدانهم أو بمجتمعهم، ولهذا ذهب كثير من أهل العلم إلى تضمين العائن كل ما أتلف، يعني إذا نحت أحدًا أو أتلف شيئًا من ماله وأولاده أو غيرهم، فإنه يضمن، كما أنهم قالوا: إن من اشتهر بذلك فإنه يجب أن يحبس إلا أن يتوب، يحبس اتقاء شرّه، لأنه يؤذي الناس ويضرهم، فيحبس كفًا لشره.

ومن مفاسد الحسد: أنه يؤدي إلى تفرق المسلمين؛ لأن الحاسد مكروه عند الناس مبغض، والإنسان الطيب القلب الذي يحب لإخوانه ما يحبه لنفسه تجده محبوبًا من الناس، الكل يحبه، ولهذا دائمًا نقول: والله فلان هذا طيب ما في قلبه حسد، وفلان رجل خبيث حسود وحقود وما أشبه ذلك.

فهذه عشرة مفاسد كلها في الحسد، وبهذا نعرف حكمة النبي ﷺ حيث قال: «لا تحاسدوا»[1]، أي: لا يحسد بعضكم بعضًا، فإن قال قائل: ربما يجد الإنسان في نفسه أنه يحب أن يتقدم على غيره في الخير، فهل هذا من الحسد؟ فالجواب أن ذلك ليس من الحسد بل هذا من التنافس في الخيرات، قال الله تعالى: ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ (سورة الصافات: ٦١). وقال تعالى: ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (سورة المطففين: ٢٦).

فإذا أحب الإنسان أن يتقدم على غيره في الخير، فهذا ليس من الحسد في شيء، الحسد أن يكره الخير لغيره. واعلم أن للحسد علامات منها أن الحاسد يحب دائمًا أن يخفي فضائل غيره، فإذا كان إنسان ذو مال، ينفق ماله في الخير من صدقات وبناء مساجد وإصلاح طرق وشراء كتب يوقفها على طلبة العلم وغير ذلك، فتجد هذا الرجل الحسود إذا تحدث الناس على هذا المحسن يسكت وكأنه لم يسمع شيئًا! هذا لا شك أن عنده حسدًا، لأن الذي يحب الخير يحب نشر الخير للغير، فإذا رأيت الرجل إذا تكلم عن أهل الخير بإنصاف وأثنى عليهم فهذا يدل على طيب قلبه وسلامته من الحسد ومن منكرات الأخلاق والأعمال.

بقي أن نبين العلاج المزيل للحسد وهذا من جانبين:

أولاً: من جانب الحاسد: فينبغي له أن يعلم أن من لوازم صحة إيمانه بالله وهو الرضى بالقضاء، وأنه بحسده لأحد من عباده لا يكون راضيًا بقضائه، بل يكون ساخطًا لحكمه وقضائه، منازعًا له في قسمته التي قسمها لعباده، وعدله الذي أقامه بينهم يخفي حكمته التي قد لا تظهر لكثير من الناس، والمنازعة جناية تقدح في أصل التوحيد والإيمان.

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٤٠١، ٤٠٣)، ومسلم (٢٥٥٩).

هذا من جهة، ومن جهة ثانية: فعلى الحاسد أن يعلم أنه إذا غش مؤمنًا لأجل الحسد خرج من صفة المؤمنين الذين يحبون لإخوانهم الخير، وشارك إبليس وجميع الكافرين في محبتهم الشر للمؤمنين.

ومن جهة ثالثة: فإنه إذا عادى مؤمنًا من أجل الحسد كان مبارزًا بالمحاربة، لأن المؤمن من أولياء الله ولو كان فيه ما فيه، إذ لا تشترط العصمة في أولياء الله.

ومن جهة رابعة: يجب عليه أن يتذكر عقاب الله العظيم للحاسد في الآخرة.

ومن جهة خامسة: يجب عليه أن يرحم نفسه، ويرثي لها من آثار الحسد من الهموم والغموم والكمد الذي لا يفارق قلبه وصدره مما قد ينقلب مرضًا عضالاً، وكثير من الحساد قتلهم الحسد، خصوصًا على الرئاسة والجاه، فإذا علم الحاسد واستيقن أن الضرر عليه في دينه ودنياه، وأن حسده لا يضر محسوده، بل يضره هُوَ فقد يقلع عن الحسد، ويسلم صدرُهُ منه، فيسلم له دينه، وتسلم له صحته حتى يسلم من الوساوس والمنغصات والهموم والغموم المؤذية بالصحة والعياذ بالله.

ومن جهة سادسة: يجب على الحاسد أن يستيقن أن المحسود لا يضره حسده أبدًا، لا في الدين ولا في الدنيا، لأنه في الدنيا تتابع عليه النعمة والإقبال إلى الأجل المقدر لها، ولكل أجل كتاب، ولا تزول نعمته بالحسد، بل تزيد نعمته وأجره، والمحسود ينتفع بحسد الحاسد في الدنيا والآخرة، بل في الدين والدنيا.

أما منفعته في الدين فهو أنه مظلوم من جهة الحاسد، خصوصًا إذا أخرجه الحاسد إلى الغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساوئه، فهي هدايا يهديها الله إليه على يد حاسده، فتزداد حسناته وتقل سيئاته، ولا يزال المحسود يزداد منفعة من الحاسد رغمًا عنه، فإذا استيقن الحاسد ذلك عرف أنه هو الخاسر دون المحسود فأقلع عن حسده وتاب إلى ربه، هذا علاج الحاسد، أما علاج المحسود فبعدة أمور:

احدها. الاستعاذة الصادقة بالله من شر حاسد إذا حسد، ومن استعاذ بالله صادقًا لاجئًا أعاذه.

ثانيها - تقوى الله وحفظه في حدوده كما قال ﷺ: «احفظ الله يحفظك».

ثالثها - التوبة الصادقة من الذنوب التي من أضرارها تسليط الحاسد.

رابعها - الصبر على عدوه وأن لا يشاوره ولا يشكوه ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً بل يستعين بالله.

خامسها - قوة التوكل على الله، والتحصن بلازمة ذكره.

سادسها - فراغ القلب من الاشتغال بالحاسد والتفكر به، بل يقتلعه من قلبه ولسانه، ويجعله نسيًا منسيًا، فيمحوه من قلبه، ولا يخاف منه ولا يطرأ له على بال.

سابعها - الإقبال على الله بقوة محبته والإخلاص له، والإنابة إليه، والضراعة إليه وحده.

ثامنها - الصدقة والإحسان العام؛ فإن لذلك تأثيرًا عجيبًا في دفع البلايا والكربات عمومًا.

تاسعها - الإحسان إلى الحاسد ومهاداته بما يطفي حسده الغالي في صدره وهذا شاق على النفوس والله المستعان.

الحج ومنافعه

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي شرع لعباده حج بيت الله الحرام، وجعله مطهرًا لنفوسهم من الذنوب والآثام، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أفضل من صلى وصام، ووقف بالمشاعر وطاف بالبيت الحرام، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، وسلم تسليمًا طيبًا مباركًا على الدوام.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله تعالى ـ عن الحج ومنافعه، اتقوا الله واشكروه إذ شرع لكم حج بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وأمنًا.

عباد الله . . . يستقبل المؤمنون في هذه الأيام موسمًا عظيمًا من مواسم الدار الآخرة، يتاجرون فيه التجارة الرابحة بالأعمال الصالحة، ألا وهو موسم الحج إلى بيت الله العتيق والوقوف بالمشاعر المقدسة، وهو موسم يتكرر في كل عام، والحج فيه فريضة على أهل الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة آل عمران:٩٧). وقد جعل الله للمسلمين مواسم

للخير، منها ما يتكرر في اليوم والليلة خمس مرات، وهو الصلوات الخمس، ومنها ما يتكرر كل أسبوع وهو صلاة الجمعة، ومنها ما يتكرر كل عام وهو صوم رمضان وحج بيت الله الحرام، وقد أخبر النبي ﷺ أن هذه المواسم المباركة يكفر الله بالعبادات فيها الخطايا ما دون الكبائر، وقال ﷺ : **«الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، كفارة لما بينهن إذا اجتُنبت الكبائر»**[1] .

وقال ﷺ : **«تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة»**[2] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ (سورة آل عمران:٩٧). بينت هذه الآية الكريمة أن حج البيت فريضة على المستطيع، وهو من يجد ما يبلغه من الزاد والمركوب المناسب لمثله بعد تأمين نفقة من تلزمه نفقتهم إلى أن يرجع، وقد بينت سنة النبي ﷺ أن فريضة الحج مرة واحدة في العمر، وما زاد عن ذلك فهو تطوع، وهذا من رحمة الله بعباده فلو أوجبه عليهم كل عام ما استطاعوا، وقال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ (سورة الحج:٢٧-٢٨). داعيًا الناس إلى الحج ومبينًا لهم حكمته وهي شهود المنافع العظيمة، ولم يحدد تلك المنافع لكثرتها ولتفاوت الناس في الحصول عليها وهي منافع دينية ودنيوية، منها مغفرة الذنوب كما قال النبي ﷺ : **«من اتى هذا البيت فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته امه»**[3] . وذهب طائفة من العلماء أنه يرجع مغسولاً من الذنوب كبيرها وصغيرها، وهو ظاهر الحديث، ويكون هذا خاص بالحج دون الصلوات وصيام رمضان[4] .

---

(١) رواه مسلم (٣٤٤)، وأحمد (٩٢٠٨).

(٢) رواه الترمذي (٧٣٨)، وابن ماجه (٢٨٨٧)، والصحيحة (١٢٠٠).

(٣) مختصر مسلم (١٤٢٤)، ومسلم (٢٤٠٤).

(٤) راجع: «الفتح»، «وشرح النووي» والله أعلم، وعليه فالكلام السابق يحتاج إلى تقييد، والله المستعان.

ومنها استكمال أركان الإسلام: لأن الإسلام بني على خمسة أركان: «**شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام**»[١]. ولما كان الحج شاقًا لاحتياجه إلى النفقة واحتياجه إلى قوة البدن واحتياجه إلى السفر مسافات بعيدة ومن كل فج عميق، لما كان كذلك تأخرت فرضيته في الإسلام إلى السنة التاسعة من الهجرة وجعل فرضه في العمر مرة واحدة.

ومن منافع الحج: إظهار قوة الإسلام وكثر المسلمين ووحدتهم وتآلفهم وتعارفهم.

ومنها: علم أحكام الدين، وتدارس مشاكل المسلمين، فإنهم إذا اجتمعوا من أقطار الأرض وفيهم العلماء والقادة والساسة تعلم جاهلهم من عالمهم، وانتفعوا بخبرات قادتهم وساستهم في حل مشاكلهم.

ومنها: تعلم العقيدة وتطبيقها عمليًا وإعلانها بالتلبية: لبيك اللَّهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك. لا شريك لك لبيك.

ومنها: إزالة الفوارق بين المسلمين وبيان أنهم أمة واحدة لا فضل لعربيهم على عجميهم، ولا لأبيضهم على أسودهم، ولا لغنيهم على فقيرهم، حينما يحرمون بنسك واحد في زي واحد ويتجهون إلى بيت واحد ويسيرون وينزلون في المشاعر في وقت واحد، عندها يغمر قلب الحاج شعور كريم فياض، بانتمائه إلى أمة واحدة، هي أمة الإسلام التي تمتد من شرق الأرض إلى غربها، ومن فجر البشرية إلى يومه الحاضر، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فيسري في كيانه روح جديد، يبدله من اليأس أملاً ورجاءً، ومن الضعف قوة ومضاءً، ومن الذل عزة وإباء، ويتجلى له قوله تعالى ﴿ **وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ** ﴾ (سورة المؤمنون ٥٢).

---

(١) رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٩).

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي جمع عباده في صعيد واحد حيث تسكب العبرات، وحيث يغفر الله لتلك الجموع الغفيرة سائر الذنوب والخطيئات، نحمده حمد الشاكرين، ونسأله سبحانه أن يجعلنا لهذه المشاهد من المعتبرين المستبصرين، ونسأله أن لا يجعلنا من الغافلين المسوفين، وأن يجعلنا إلى الخيرات من المسارعين، الراجين رحمة أرحم الراحمين. أما بعد:

عباد الله . . . إن الإسلام يوم شرع الحج للناس أراد فيما أراد من الحكم، أن يكونوا أمة واحدة، متعاونة متناصرة، متآلفة متكاتفة، كمثل الجسد الواحد كما قال ﷺ فيما رواه النعمان بن بشير عنه: **«ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**[1].

وكان توجيه الرسول ﷺ المتواصل المتتالي يهدف إلى استئصال كل أسباب الفرقة والخلاف من حياتهم، وكل دواعي الشقاق والنزاع من تعاملاتهم، إن الإسلام اعتبر التفاضل بحسب التقوى، التي تعني الالتزام الكامل بالشريعة الإسلامية ظاهرًا وباطنًا، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (سورة الحجرات: ١٣).

ومن منافع الحج تربية النفوس على تحمل المشاق في سفر الحج وتنقلاته وتربيتها على البذل والإنفاق، لأن الحج يجمع بين العبادة البدنية والمالية وتربية النفوس على التواضع والشفقة والرحمة بالضعفة والمساكين في مواطن الزحام، ومن منافع الحج إعلان ذكر الله عند ذبح الهدي والتقرب إليه بذلك النسك والتوسعة على النفس وعلى المسلمين بالأكل من لحمه قال تعالى: ﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ (سورة الحج: ٢٨). وقال تعالى: ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ

---

(١) رواه البخاري (٥٥٥٢)، ومسلم (٤٦٨٥).

جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة الحج: ٣٦-٣٧). وقال ﷺ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل»[١].

ومن منافع الحج: إحياء ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، والاقتداء بنبينا محمد ﷺ؛ بإقامة المناسك على هدي هذين الخليلين عليهما السلام كما قال النبي ﷺ: «خذوا عني مناسككم»[٢].

ومن منافع الحج: تهذيب الأخلاق بالتزام الأقوال والأفعال الحميدة المفيدة، وهجر الأقوال والأفعال الذميمة كما قال تعالى: ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ (سورة البقرة: ١٩٧).

ومن منافع الحج: تعويد المسلم على التواضع والبساطة في الملبس والمأكل، وتجنيبه عيش الترفه والتنعم، ولذلك منع المحرم من مباحات كان يتمتع بها في غير حالة الإحرام كالاستمتاع بين الزوجين ولبس المخيط وتغطية الرأس للذكر والتطيب وحلق الشعر والتشرف بالطواف به امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (سورة الحج: ٢٩). وكذلك الصلاة في المسجد الحرام التي تعد الصلاة فيه مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد[٣]، والذي هو أفضل المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال ولا تشد إلى غيرها، كما قال النبي ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»[٤]. وفي رواية: «لا تَشُدوا» بصيغة النهي.

ومن منافع الحج: تذكر الموقف والحشر يوم القيامة والعظة والاعتبار، فإن المسلم إذا رأى اجتماع الناس وتزاحمهم في المشاعر المقدسة على اختلاف ألسنتهم وألوانهم

---

(١) رواه مسلم (١١٤١).

(٢) رواه مسلم (٢٢٨٦)، من حديث جابر بن عبد الله ﷺ، وفيه مخالفة لدين الجاهلية والمشركين.

(٣) رواه أحمد (١٤١٦)، «صحيح الجامع» (٣٨٣٨).

(٤) رواه البخاري (١٧٣١)، ومسلم (١٣٦٨).

واختلاف طبقاتهم وأحوالهم ـ الركبان والمشاة والصغار والكبار، والأقوياء والضعفاء؛ فإنه يتذكر المحشر الذي يجتمع فيه الأولون والآخرون على اختلاف أعمالهم وأحوالهم، ولهذا ختم الله آيات الحج من سورة البقرة بقوله: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (سورة البقرة:٢٠٣).

عباد الله . . . إن المسلمين اليوم في هذا العصر مدعوون أكثر من أي وقت مضى لتفهم معاني الأخوة الإسلامية ولوازمها، ومدعوون كذلك لتفهم أسرار الحج في تعميق أواصر الأخوة بين المسلمين، وإذابة جميع الفوارق، فوارق الجنس واللغة واللون.

ما أحوج المسلمين في هذا العصر إلى مدرسة الحج التي يتعلمون فيها درس الوحدة الإسلامية، والأخوة الإيمانية، بشكل تطبيقي وعملي، هذه الوحدة التي أرادها لنا ربنا سبحانه بقوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (سورة الحجرات: ١٠). والتي من مقتضياتها أن يحب المؤمن لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه من الخيروالسعادة والرفاة بحيث لا يكمل إيمانه حتى يحقق في نفسه وشعوره وواقعه وسلوكه مقتضيات هذه الأخوة.

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**[1].

اللهم تقبل من الحجيج حجهم، اللهم أعدهم إلى أهليهم سالمين غانمين، اللهم اغفر لنا ولهم، اللهم مكنا من زيارة بيتك الحرام، ومكنا من الوقوف بعرفات، ومكنا من سائر العبادات، وتقبلها منا إنك جواد كريم، اللهم أعد للمسلمين مقدساتهم الإسلامية، اللهم مكن لأوليائك في الأرض، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا أرحم الراحمين،اللهم عليك بالكفرة والمشركين أعداءك أعداء الدين، اللهم اجعلهم وأموالهم وأهليهم غنيمة للمسلمين.

---

(١) رواه البخاري(١٢)، ومسلم (٦٤).

حقيقة الدنيا وذم الاغترار بها

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي عرف أولياءه غوائل الدنيا وآفاتها، وكشف لهم عن حقيقتها وسوءاتها، فعلموا أن كل مغرور بها إلى الذل مصيره، وإلى التحسر منتهاه، وأدركوا أن صفوها مشوب بالأكدار، وصحتها تسوق إلى الأسقام، وشبابها ينعق بالمشيب وما وراءه من أهوال، وصلى الله على نبينا محمد الذي دل الأمة على الاستعداد ليوم المعاد، وعلى آله وأصحابه إلى يوم يقوم الأشهاد.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله تعالى ـ عن الدنيا وذَمِّ الاغترار بها، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ (سورة محمد: ٣٦). في هذه الآية تزهيد منه تعالى لعباده في الحياة الدنيا بإخبارهم عن حقيقة أمرها، بأنها لعب ولهو، لعب في الأبدان ولهو في القلوب.

فلا يزال العبد لاهيًا في ماله وأولاده وزينته ولذاته والمآكل والمشارب والمساكن والمجالس والمناظر والرياسات لاعبًا في كل عمل لا فائدة فيه، بل هو دائر بين

الغفلة والبطالة والمعاصي، حتى يستكمل دنياه ويحضره أجله. فإذا هذه الأمور قد ولَّت وفارقت ولم يحصل منها على طائل، بل قد يتبين له خسرانه وحرمانه وحضر عذابه، فهذا موجب للعاقل الزهد فيها وعدم الرغبة فيها، والاهتمام بشأنها، وإنما الذى ينبغي أن يهتم به هو الإيمان والتقوى فذاك الذى يتنافس فيه، وتبذل الهمم والأعمال في طلبه.

وقال تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (سورة الحديد: ٢٠). وفي هذه الآيات بيان أن الكثيرين من الناس قد اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا، بخلاف أهل اليقظة وعمال الآخرة، فإن قلوبهم معمورة بذكر الله ومعرفته ومحبته. وقد شغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلى الله، من النفع، القاصر والمتعدي، وقوله: ﴿وَزِينَةٌ﴾ أي: تزين في اللباس والطعام والشراب والمراكب والدور والقصور والجاه وغير ذلك.

﴿ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ أي: كل واحد من أهلها يريد مفاخرة الآخر وأن يكون هو الغالب في أمورها والذي له الشهرة في أحوالها.

﴿ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ﴾ أي: كُلٌّ يريد أن يكون هو الكاثر لغيره في المال والولد، وهذا مصداقه، وقوعه من محبي الدنيا والمطمئنين إليها. بخلاف من عرف الدنيا وحقيقتها فجعلها معبرًا ولم يجعلها مستقرًا، فنافس فيما يقربه إلى الله، واتخذ الوسائل التي توصله إلى دار كرامته. وإذا رأى من يكاثره أو ينافسه في الأموال والأولاد نافسه بالأعمال الصالحة.

ثم ضرب للدنيا مثلاً، بغيث نزل على الأرض، فاختلط به نبات الأرض، مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها، وأعجب نباته الكفار، الذين قصروا نظرهم وهمهم على الدنيا، جاءها من أمر الله ما أتلفها، فهاجت ويبست،

وعادت إلى حالتها الأولى كأنه لم ينبت فيها خضراء ولا روي لها مرأى أنيق، كذلك الدنيا، بينما هي زاهية لصاحبها، زاهرة مهما أراد من مطالبها حصل، ومهما توجه لأمر من أمورها وجد أبوابه مفتحة، إذ أصابها القدر فأذهبها من يده وأزال تسلطه عليها، أو ذهب بها عنه، فرحل منها صفر اليدين، ولم يتزود منها سوى الكفن فتبًا لمن أضحت هي غاية أمنيته، ولها عمله وسعيه.

وأما العمل للآخرة فهو الذي ينفع، ويدخر لصاحبه، ويصحب العبد إلى الأبد. ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾. أي: حال الآخرة لا يخلو من هذين الأمرين. إما العذاب الشديد في نار جهنم لمن كانت الدنيا هي غايته فتجرأ على معاصي الله. وإما مغفرة من الله للسيئات ورضوان من الله لمن عرف الدنيا، وسعى للآخرة سعيها.

فهذا كله مما يدعو إلى الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، ولهذا قال تعالى ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ أي: إلا متاع يتمتع به وينتفع به، ويستدفع به الحاجات، لا يغتر به ويطمئن إليه إلا أهل العقول الضعيفة، الذين يغرهم بالله الغرور. وبعد هذه الآيات أمر الله بالمسابقة إلى مغفرة الله ورضوانه وجنته.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي جعل الدنيا مزرعة للآخرة، فتزود فيها الصالحون بالتقوى ففازوا برضوان الله سبحانه وتعالى وجعلها المقصرون مطية لما يغضب الله جلَّ وعلا فباءوا بالضياع والخسران والذلة والهوان، نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا وإياكم من أهل الرضوان وأن يجنبنا الشقاوة والعصيان إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير . .

أما بعد:

عِبَادَ اللَّهِ . . . أوصى النبي ﷺ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، فامتثل رضي الله عنه هذه الوصية قولاً وعملاً، فأما في القول فقد كان يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»[١]، وأما في الفعل: فقد كان رضي الله عنه على جانب كبير من الزهد فيها والقناعة منها باليسير الذي يقيم صلبه ويستر بدنه وما سوى ذلك يقدمه لغده، قالت عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت أحداً ألزم للأمر الأول من ابن عمر».

وقال أبو الدرداء مخاطبًا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أتذكر يا عمر حديثًا حدثناه رسول الله ﷺ؟ قال: وما هو؟!، قال: ألم يقل: «ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب»[٢]، فماذا فعلنا بعده يا عمر؟ فبكى عمر وبكى أبو الدرداء وما زالا يتجاوبان البكاء والنحيب حتى طلع عليهما الفجر.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر جنبه، قلنا يا رسول الله: لو اتخذنا لك وطاء؟ فقال: «مالي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[٣].

وجاء في (صحيح البخاري) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل».

وفي (عدة الصابرين) لابن قيم الجوزية كلام عن الدنيا للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول فيه: «الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ومطلب نجاح لمن سالم، فيها مساجد أنبياء الله ومهبط وحيه ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه، فيها اكتسبوا الرحمة

---

(١) رواه البخاري.
(٢) «صحيح الجامع» (٥٤٦٥)، «صحيح الترغيب» (٥/٩٩).
(٣) رواه الترمذي (٢٣٧٧)، وانظر: «الصحيحة» (٤٣٨).

وربحوا فيها العافية فمن ذا يذمها وقد آذنت بنيها ونعت نفسها وأهلها فتمثلت بلائها وشوقت بسرورها إلى السرور تخويفاً وتحذيراً وترغيباً، فذمها قوم غداة الندامة، وحمدها آخرون ذكرتهم فذكروا ووعظتهم فاتعظوا، فيا أيها الذام للدنيا المغتر بتغريرها متى استذمت إليك بل متى غرتك، أبمنازل آبائك في الثرى أم بمضاجع أمهاتك في البلاء؟ كم رأيت موروثاً، كم عللت بكفيك عليلاً، كم مَرَّضْتَ مريضاً بيديك تبتغي له الشفاء، وتستوصف له الأطباء، ثم لم تنفعه شفاعتك ولم تسعفه طلبتك؟! مثلت لك الدنيا غداة مصرعه مصرعك ومضجعه مضجعك»، ثم التفت إلى المقابر فقال: «يا أهل الغربة ويا أهل التربة، أما الدُّور فَسُكنت، وأما الأموال فَقُسِّمت، وأما الأزواج فَنُكحت، فهذا خبر ما عندنا فهاتوا خبر ما عندكم»، ثم التفت إلينا فقال: «أما لو أُذِنَ لهم لأخبروكم: إنَّ خير الزاد التقوى».

وورد عنه ﷺ قوله:

إن لله عبـــاداً فطنا ✧ طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا ✧ أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا ✧ صالح الأعمال فيها سفنا

ويقول:

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ✧ إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه ✧ وإن بناها بشر خاب بانيها
النفس ترغب في الدنيا وقدعلمت ✧ أن الزهادة فيها ترك ما فيها
فاغرس أصول التقى ما زلت مجتهداً ✧ واعلم بأنك بعد الموت لاقيها

الخشوع عند قراءة القرآن

الخطبة الأولى:

الحمد لله الداعي إلى بابه، الموفق من شاء لصوابه، أنعم بإنزال كتابه، اشتمل على محكم ومتشابه، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه، وأما الراسخون في العلم فيقولون آمنا به، أحمده على الهدى وتيسير أسبابه، وأشهد ألا إله الله وحده، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أكمل الناس خشوعًا عند تلاوة كتابه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله تعالى ـ عن الخشوع في قراءة القرآن، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: **قال لي النبي ﷺ: «اقرأ علي»، فقلت: يا رسول الله، اقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: «نعم»، فقرأت سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلاءِ شَهِيداً ﴾، قال: «حسبك»، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان**[1].

(١) رواه البخاري.

عِبَادَ اللهِ . . . هكذا كانت حال النبي ﷺ عند قراءة القـرآن وسماعه، وهو أعلم الناس بدقائقه، وأفهمهم لمراميه، وأكثـرهم إدراكًا لمعانيه، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع ذلك فقد كان يصلي ولجوفه أزير كأزيـز المرجل من البكاء.

وقد ذكـر سبحـانه اشتـمال القرآن على الوعـد والوعيد والتـخويف والتـهديد، ووصف الجنة ونعيـمهـا والنار وعـذابهـا. وذلك كله مـدعاة إلـى الطمع في الجنة ونعيمها، والبكاء خوفًـا من النار وعذابها، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (سورة الزمر:٢٣). وقد مدح الله قومًـا بقوله تعـالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (سورة الإسراء:١٠٧-١٠٩). وقد حث النبي ﷺ أصـحابه على التخشع والتـذلل والبكاء عند قراءة القرآن ورغبـهم في ذلك فقال: «**عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين سهرت في سبيل الله**»[١]. بل بين ﷺ أن من بكى من خشية الله دخل الجنة، فـعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يلج النار رجل بكى من خشية الله - عزَّ وجلَّ - حتى يعود اللبن إلى الضرع**»[١].

وقد كان صـحابة رسول الله ﷺ يتلون كتاب الله ويتـأثرون بآياته فتلين جلودهم وتدمع عيـونهم وتخشع قلوبهم، فيـرفعون أكفـهم إلى ربهم ضارعين يسألونه قـبول الأعمال ويرجون غفران الزلات، ويتشوقون إلى ما عنده من النعيم المقيم.

روي أن أبا بكر رضي الله عنه كان ابتنى مـسجدًا بفنـاء داره، فكان يصلي فيه ويقـرأ القرآن فيتقـصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يتعجبـون منه وينظرون إليه، وكان رجلا

---

(١) رواه الترمذي (١٦٣٩)، «صحيح الجامع» (٤١١٣).

(٢) رواه الترمذي(١٥٥٧)، «صحيح الجامع» (٧٧٧٨).

بكاء لا يملك دموعه إذا قرأ القرآن[1]، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلي بالناس فبكى في قراءته حتى انقطعت قراءته وسمع نحيبه من وراء ثلاثة صفوف[2]، وكان ابن عمر إذا قرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ (سورة الحديد:١٦)، بكى حتى يغلبه البكاء[3].

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: «مدح الله البكّائين في كتابه عزَّ وجلَّ مخبراً عن الأنبياء ومن انضاف إليهم من الأولياء»، قال تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً﴾ (سورة الإسراء:١٠٧-١٠٨). وقال: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (سورة مريم:٥٨). وقال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (سورة الإسراء:١٠٩). وأخبر أن البكاء يزيدهم خشوعًا، والذين أوتوا العلم هم أهل الخشية كما قال في تنزيله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (سورة فاطر:٢٨). فأعلمهم بالله أشدهم خشية، ولهذا قال ﷺ: «والله إني لأخشاكم لله، وأعلمكم بما اتقى»[4].

وعن أبي رجاء قال: «رأيت ابن عباس وتحت عينيه مثل الشراك البالي من الدموع».

عِبَادَ اللَّهِ . . . هذا حال سلف الأمة وصلحائها وخيارها يمر أحدهم على ذكر النار فينخلع قلبه خوفًا منها، ورهبة من أهوالها ونكالها، وخشية من عذابها وآلامها، ويمر بذكر الجنة ونعيمها وما أعد الله فيها فترتجف أوصاله أن يحرم ذلك النعيم المقيم،

---

(١) رواه البخاري (٤٧٦)

(٢) روى ابن ابي شيبة (٨/ ٩٧) باسناد صحيح عن عبد الله بن شداد، قال: سمعت نشيج عمر وأنا في آخر الصف وهو يقرأ سورة يوسف: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾، وروى أيضًا (٨/ ٩٧) ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن علقمة بن أبي وقاص، قال: كان عمر يقرأ في صلاة العشاء بسورة يوسف وأنا في مؤخر الصفوف حتى إذا ذكر يوسف سمعت نشيجه.

(٣) رواه ابن أبي شيبة بسند رجاله ثقات عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما «حاشية السير» (٣/ ٢١٤).

(٤) رواه مسلم.

وفي هذا وذاك يتأثر بما يقرأ، فتدمع عيناه، ويخشع قلبه، ويحاول كتمان ذلك التأثر، وربما لم يتسن له ذلك فسمع من حوله صوته وأحسوا ببكائه، وحبذا لعمرو الله البكاء من خشية الله والعمل الخالص من أجله، ولقد وجد من يعلو صراخه، ويرتفع زعيقه، وربما صرع، وربما خر ميتًا عند سماع القرآن ولكن ذلك لم يرد عن أحد من صحابة رسول الله ﷺ أنه صرع عند قراءة آية أو غشي عليه أثناء قراءته كتاب الله.

وعن عبد الله بن عروة بن الزبير ـ رحمه الله ـ قال: قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن؟ قالت: **«كانوا كما نعتهم الله عزَّ وجلَّ تدمع عيونهم وتقشعر جلودهم»**، قال: فقلت لها: إن ناسًا اليوم إذا قريء عليهم القرآن خر أحدهم مغشيًا عليه، فقالت: **«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»**.

والذي عليه جمهور العلماء أن الواحد من هؤلاء إذا كان مغلوبًا عليه لم ينكر عليه، وإن كان حال الثابت أكمل منه، ولهذا لما سئل الإمام أحمد عن هذا فقال: «قريء القرآن على يحيى بن سعيد فما رأيت أعقل منه»، ونحو هذا، وقد نقل عن الشافعي أنه أصابه ذلك وعلي بن الفضيل بن عياض قصته مشهورة، وبالجملة فهذا كثير ممن لا يستراب في صدقه.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي جعل القرآن ربيع قلوب المؤمنين، ونوراً لصدورهم، وجلاء لأحزانهم، وذهابًا لهمومهم وغمومهم، ونصلي ونسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين. أما بعد:

عباد الله . . . إن حال الصحابة عند تلاوة القرآن هي وجل القلوب، ودموع العيون، واقشعرار الجلود، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ (سورة الأنفال: ٢).

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (سورة الزمر:٢٣). وقال تعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ (سورة مريم:٥٨). وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ (سورة المائدة:٨٣). وقال تعالى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ (سورة الإسراء:١٠٩). فلم تكن حال السلف كحال بعض الناس من رفع الأصوات والضجيج لأن في ذلك إشغالاً للمصلين وخشية الوقوع في الرياء والبعد عن هدي الرسول ﷺ وسلف هذه الأمة، فمن غلبه الخشوع فليكتم ما استطاع لأن ذلك خير وأفضل.

ومما يتصل بقراءة القرآن التأدب معه بلزوم الصمت حين يتلى توقيراً واحتراماً وامتثالاً لأمر الباري عزَّ وجلَّ حيث يقول: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (سورة الأعراف:٢٠٤). ويستحب الاستماع لقراءة كتاب الله وتعلمه فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه»**[1]. وقراءة القرآن أفضل من كل ذكر يقوله المسلم، قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: «واعلم أن المذهب الصحيح المختار الذي عليه من يعتمد من العلماء أن قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل وغيرهما من الأذكار، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك، والله أعلم».

وينبغي للمسلم أن يحافظ على ما حفظ من كتاب الله، وأن يديم قراءته ليبقى في صدره؛ فإن القرآن سريع التفلت إذا قل تعاهده، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«تعاهدوا القرآن؛ فوالذي نفسي بيده لهو اشد تفيصًا من الإبل في عقلها»**[1].

---

(١) رواه مسلم (٤٨٦٧).

(٢) رواه البخاري (٤٦٤٥)، ومسلم (١٣١٧).

وعن ابن مسعود ﷺ قال: «ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون، وبنهاره إذ الناس مفطرون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذ الناس يخوضون، وبخشوعه إذ الناس يختالون، وبحزنه إذ الناس يفرحون».

وعن الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ قال: «إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار»، وعن الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ قال: «ينبغي لحامل القرآن ألا يكون له حاجة إلى أحد من الخلفاء فمن دونهم»، وعنه أيضًا قال: «حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي له أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو، تعظيمًا لحق القرآن».

ولقراءة القرآن آثار عظيمة وفوائد لا تعد ولا تحصى، وذلك غير ما أعده الله لقارئه من الأجر العظيم والثواب الجزيل والإنعام الدائم، فكتاب الله شفاء للنفوس من الشهوات، ودواء للقلوب من الأهواء والشبهات، وعلاج للأبدان من العلل والأمراض قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة الإسراء: ٨٢).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة يونس: ٥٧).

وثبت عن عائشة ﷺ: أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾. ثم مسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات[1]. وفي رواية قالت عائشة ﷺ: «فلما اشتكى كان يأمرني أن افعل ذلك»، وبقراءة القرآن تتنزل السكينة كما مر في قول النبي ﷺ: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة»[2].

---

(١) رواه البخارى، ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

وعن أُسيد بن حُضير قال: بينما هو يقرأ من الليل (سورة البقرة)، وفرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس، فسكت فسكنت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت فسكنت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس، فانصرف ـ وكان ابنه يحيى قريبًا منها فأشفق أن تصيبه ـ ولما خرج رفع رأسه إلى السماء، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال له: **«اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير»**، قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريبًا، فانصرفت إليك، فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها، قال: **«وتدري ما ذاك؟»**، قال: لا، قال: **«تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم»**[1].

عِبَادَ اللَّهِ . . . لا تكونوا ممن هجر القرآن، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «هجر القرآن أنواع:

أحدها ـ هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

والثاني ـ هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به.

والثالث ـ هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

والرابع ـ هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس ـ هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا** ﴾ (سورة الفرقان: ٣٠).

---

(١) رواه البخاري.

وإن كان بعض الهجر أهون من بعض، وكذلك الحرج الذي في الصدور منه فإنه تارة يكون حرجًا من إنزاله وكونه حقًا من عند الله، وتارة يكون من جهة التكلم به أو كونه مخلوقًا من بعض مخلوقاته أَلْهَمَ غيره أنه تكلم به، وتارة يكون من جهة كفايته وعدمها وأنه لا يكفي العباد بل هم محتاجون معه إلى المعقولات والأقيسة أو الآراء أو السياسات، وتارة يكون من جهة دلالته وما أريد به حقائقه المفهومة منه عند الخطاب، أو أريد به تأويلها وإخراجها عن حقائقها إلى تأويلات مستكرهة مشتركة وتارة يكون من جهة كون تلك الحقائق وإن كانت مرادة فهي ثابتة في نفس الأمر أو أَوْهَمَ أنها مرادة لضرب من المصلحة، فكل هؤلاء في صدورهم حرج ولا تجد مبتدعًا في دينه قط إلا في قلبه حرج من الآيات التي تخالف بدعته، كما أنك لا تجد ظالمًا فاجرًا إلا وفي صدره حرج من الآيات التي تحول بينه وبين إرادته، فتدبر هذا المعنى ثم ارض لنفسك بما تشاء» انتهى كلام ابن القيم ـ رحمه الله ـ.

الخوف من الرياء

الخطبة الأولى:

الحمد لله، يعلم السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (سورة يونس: ٦١) .

أحمده سبحانه على نعمه وهو للحمد أهل، وأشكره على إحسانه فهو المحسن المتفضل، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم في سره وعلنه.

أما بعد . . . فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واعلموا أن تقواه هي الزاد الذي لا يفنى، وهي الموصلة إلى الله، وهي التي تقي مصارع السوء في الدنيا والآخرة

عباد الله . . . إن إخلاص العمل من أوجب الواجبات، ومن أبر الطاعات، وهو أساس لكل عمل صالح، وإذا خلا العمل من الإخلاص فلا قيمة له ولا ثواب له في الدنيا والآخرة، بل إن عدم الإخلاص داخل في مسمى الشرك، بل هو محبط للعمل، كما جاء في الحديث القدسي، يقول الله عزَّ وجلَّ: **«من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»**[1] .

---

(١) رواه مسلم.

ولقد حذر منه سبحانه في محكم كتابه، فقال مخاطبًا نبيه محمدًا ﷺ وهو خطاب لأمته: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (سورة الزمر: ٦٥-٦٦). وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (سورة البقرة: ٢٦٤). وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ (سورة الماعون: ٤-٧).

وإن عدم الإخلاص في العمل هو الشرك الذي حذر الله منه، وحذر منه رسوله ﷺ وأخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

وإن الشرك على نوعين: شرك أكبر مخرج من الملة، وهو أن يصرف العبد لغير الله نوعًا من أنواع العبادة الواجبة لله وحده، وهناك نوع آخر من الشرك وهو الشرك الخفي الذي هو من أخطر ما يكون على الأمة، هو الرياء، وإن كان قليله لا يخرج من الملة لكن ما أعظم خطره، وما أخوفه على الصالحين، كما قال ﷺ: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**»، قالوا بلى، قال: «**الشرك الخفي، يقوم الرجل فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل**». إن هذا هو الرياء الذى خافه ﷺ على الصالحين، لأنه خاطب أصحابه، وقد قال الله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (سورة الكهف: ١١٠). فالعمل الصالح هو ما شرعه الله في كتابه، ورسوله ﷺ في سنته، ومن شرطه أن يكون خالصًا لوجهه الكريم، لا رياء فيه ولا سمعة.

ولما جاء رجل إلى عبادة بن الصامت رضي الله عنه فقال: أنبئني بما أسألك عنه، أرأيت رجلاً يصلي يبتغي وجه الله، ويحب أن يُحمد، ويصوم ويحب أن يُحمد، ويتصدق يبتغي وجه الله، ويحب أن يُحمد، ويحج يبتغي وجه الله ويحب أن يُحمد؟ فقال له عبادة رضي الله عنه: ليس له شيء؛ إن الله تعالى يقول: «**أنا خير الشركاء فمن كان له معي**

شريك فهو له كله، لا حاجة لي فيه»، وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة ﵁ : «انا خير الشركاء، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه وهو للذي أشرك»[(١)]، ورواه مسلم بلفظ : «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»[(٢)]. وروي الإمام أحمد عن محمود بن لبيد أن النبي ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء، يقول الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»[(٣)].

عن أبي موسى الأشعري ﵁ : ان رجلاً أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليُذكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانه، فمن في سبيل الله؟، فقال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[(٤)].

وعن شداد بن أوس ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتخوف على أمتي الشرك، والشهوة الخفية»، قال: قلت: يا رسول الله، أتشرك أمتك من بعدك؟! قال: «نعم، أما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً، ولا حجراً ولا وثناً، ولكن يراءون بأعمالهم»[(٥)].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ : «ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليه في نار جهنم.. الحديث»، وفيه : «الخيل ثلاثة: فهي لرجل أجر، ولرجل ستر، ولرجل وزر.. وأما الذى عليه وزر فالذي يتخذها أشراً وبطراً وبذخاً ورياء الناس..»[(٦)] الحديث.

عباد الله . . . إن الإخلاص سر عظيم يقذفه الله في قلوب من اصطفى من عباده ليقودهم إلى جلائل الأعمال ويحببهم في حسن الفعال، ويبعث فيهم الهمم العالية،

---

(١) رواه الإمام أحمد (٩٦٢٥).
(٢) رواه مسلم (٢٩٨٥٩).
(٣) رواه الإمام أحمد (٢٣٦٩٣)، «صحيح الجامع» (٦٩٤).
(٤) رواه البخاري (٢٨١٠)، ومسلم (١٩٠٤) واللفظ له.
(٥) رواه أحمد (٤/ ١٢٤)، والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٣٣١) وهو صحيح لغيره.
(٦) رواه مسلم(٩٨٧).

والعزيمة الصادقة، والإرادة القوية، ويربي فيهم روحًا طيبة طاهرة، وضميرًا سليمًا حيًا، فهو الذي يبرئ العمل من العيوب، ويخلصه من المساوئ والذنوب، وهو عماد الأعمال وسر النجاح، فما نهضت أمة من الأمم إلا على أساس الإخلاص الذي يملك قلوبها فيُوحِد صفوفها، ويجمع كلمتها، ويُكسبها سدادًا في العمل وإحكامًا، يُورثها نصرًا على الأمم ونجاحًا.

أما عدم الإخلاص والاتصاف بالرياء فهو سبب لحرمان أصحابه من النجاح في أمور دينهم ودنياهم، لأنه مبني على الخداع والمراوغة، ومخالف ظاهره باطنه فهو: ﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (سورة النور: ٣٩).

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، الذي هو أعظم المنن، وأمرنا بإخلاص العمل له في السر والعلن، أحمده سبحانه على إحسانه العام، وأشكره على جزيل الإنعام، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه. أما بعد:

عباد الله . . . اتقوا الله وأطيعوه، واسلكوا سبيل عباده الصالحين، الذين يعبدون على بصيرة وعلم، وصراط مستقيم، وإخلاص لله في أعمالهم وأقوالهم، فهو سبحانه الذي يعلم السر وأخفى، فقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد في سبيل الله فأتي فَعَرَّفَه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يُقال: جريء، فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن. فأتي به فَعَرَّفَه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلَّمته وقرأت القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليُقال: هو عالم، وقرأت ليُقال: هو قارئ، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وَسَّع الله عليه**

واعطاه من أصناف المال، فأتي به فَعَرَّفَه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليُقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار»(١) ، وجاء في بعض الروايات أن النبي ﷺ قال: **«يا أبا هريرة، هؤلاء الثلاثة أول من تُسعر بهم النار يوم القيامة»**.

عباد الله . . . إن الموفق هو الذي يعمل العمل لوجه الله في لا لأجل الخلق ولا لأجل النفس، وإلا دخل عليه شيء من محبة الثناء أو تشوق إلى حظ من حظوظ الدنيا. إنه ينبغي للمؤمن أن يحرص على إخفاء أعماله الصالحة من النوافل، لأن الجزاء عند من يعلم السرائر لا إله إلا هو، إلا إذا ترجحت مصلحة إظهار العمل على إخفائه لغرض صحيح، كأن يحصل الاقتداء به في الصدقات أو الزكوات، ويبادر الناس إلى التأسي والاقتداء به، فقد قال الله تعالى: ﴿ **إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾ (سورة البقرة ٢٧١).

عباد الله . . . اعلموا أن النبي ﷺ قد حذر من الرياء غاية التحذير، كما جاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«من سَمَّعَ سَمَّعَ الله به، ومن يرائي يرائي الله به»**(٢). قال الإمام الخطابي ـ رحمه الله ـ: «أي من عمل عملاً على غير إخلاص إنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جوزي على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه، فيبدوا عليه ما كان يبطنه ويسره من ذلك، وقد قال بعض المفسرين عند قوله تعالى: ﴿ **وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ** ﴾ (سورة الزمر:٤٧) . كانوا قد عملوا أعمالاً كانوا يرونها في الدنيا حسنات، بدت لهم يوم القيامة سيئات. قال بعض السلف: لايزال العبد بخير ما علم ما الذي يفسد عليه عمله فلا غنى للعبد عن معرفة ما أمرنا باتقائه من الرياء وغيره، لاسيما وقد وصف الرياء بالخفاء، ففي الحديث أنه أخفى من دبيب النمل، فما خفي لا يعرف إلا بشدة التفقد ونفاذ البصيرة بمعرفته حين يعرض فبالخوف

---

(١) رواه مسلم (١٩٠٥).

(٢) رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٥٣٠٢).

والحذر يتفقـد العبد الرياء وبمعرفته ببصـيرته حين يعرض له فيبتعـد العبد عن التصنع للمخلوق أو اكتـساب محمـدة عند الناس، أو محبة مدح الخلق أو مـعنى من المعاني سوى التقرب إلى الله، وليتذكـر وقوفه بين يدي الله يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ (سورة الطارق:٩). وليحذر المؤمن أن يتصف بصفـة من صفات أهل النفاق الذين ذكرهم الله عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (سورة النساء:١٤٢).

عِبَادَ اللَّهِ . . . قال الإمام سـفيان الثوري ـ رحمـه الله ـ عند قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (سورة الزمر:٤٧): ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء هذه آيتهم وهذه قصتـهم. وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: **«للمرائي ثلاثة علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا اثني عليه، وينقص إذا ذم به»**[1].

ومن آثار السلف في تجنب الرياء وأخذ الحيطة منه مـا ورد عن الأعمش ـ رحمه الله ـ قـال: «كـان عـبـد الرحـمن بن أبي ليلى يصلـي، فإذا دخـل الداخل نام على فراشه»[2]. ونظر رجاء بن حـيوة ـ رحمـه الله ـ إلى رجل ينعس بعد الصبح فـقال: انتبه، لا يظنون أن ذا عن سهر ـ أن بسبب قيام الليل والتعبد فيه . . »[3].

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن الرياء أمره عظيم وخطره جسيم، وإن من الرياء أن بعض الناس يتحدث عن أعماله الصالحة عند الآخرين، من صلاة وصدقة وصيام، وربما كم حجة حجـها، وكم عمرة اعـتمرها، وهو لن يسـأل عن ذلك! وربما ذكر مسـاعدته للناس بجـاهه أو ماله يـريد بذلك المنزلة عند الناس وأنه من المحـسنين، وهذا غلط فـاحش عظيم، وضرر عليه كبير، فما دام يعـمل لله فما الداعي للتحدث بأعماله عند من لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

---

(١) «الإحيـــاء» (٣/ ٢٩٦).
(٢) «نزهـة الفضـلاء» (١/ ٣٨٢).
(٣) «نزهـة الفضـلاء» (١/ ٤٤٦).

الذكر وفضائله

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرهُ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يَهده اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله تعالى ـ عن ذكر الله وفضائله جعلنا الله وإياكم من الذاكرين له في هذه الحياة الدنيا وبعثنا وإياكم من الذاكرين، إنه على كل شيء قدير.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (سورة العنكبوت:٤٥). يحتمل أنه لما أمر بالصلاة في هذه الآية ومدحها أخبر أن ذكره تعالى خارج الصلاة أكبر من الصلاة كما هو قول جمهور المفسرين، لكن الأول أولى لأن الصلاة أفضل من الذكر

خارجـها، ولأنها كمـا تقدم ـ بنفسهـا ـ من أكبر الذكر، وقـال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾ (سورة البقرة:١٥٢). أمر تعـالى في هذه الآية بذكره، ووعد عليه أفضل جزاء، وهو ذكره لمن ذكره كـما قال تعالى على لسان رسوله ﷺ: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم» وذكر الله تعالى أفضله ما تواطأ عليه القلب واللسان وهو الذي يثمر مـعرفة الله ومحبته، وكثرة ثوابه، والذكر هو رأس الشكر فلهذا أمر به خصوصًـا ثم من بعده أمر بالشكر عمومًا فقال: ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ أي: على ما أنعمت عليكم بهذه النعم ودفعت عنكم صنوف النقم، والشكر يكون بالقلب إقرارًا بالـنعم واعترافًا، وباللسان ذكـرًا وثناءً وبالجوارح طاعة لله وانقيادًا لأمـره، واجتنابًا لنهيه فالشكر فيه بقـاء النعمة الموجودة، وزيادة في النعم المفقودة وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة الجمعة:١٠). لما كان الانشـغال بالتـجارة مظنة الغفلة عن ذكر الله، أمر الله بالإكثار من ذكره ليخبر بهذا فقال: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً﴾ أى في حال قيـامكم وقعودكم وعلى جنوبكم ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فإن الإكثار من ذكر الله أكبر أسباب الفلاح.

عن معاذ بن جبـل رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما عمل آدمي عملاً قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله»[١]؛ فالقلب المعرض عن ذكر الله تعالى قلب ميت لا خير فيه، على حين أن القلب العامر بذكـر الله تعالى قلب حي من حيث أنه يؤدي المهمة التي خلق من أجلها.

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت»[٢]. فينبغي للمؤمن أن يستكثر من ذكر الله تعالى ما استطاع في

---

(١) رواه أحمد (٢٣٠٤٦)، «صحيح الجامع» (٥٦٤٤).

(٢) رواه البخاري (٥٩٢٨).

كل وقت وعلى كل حال، وكذلك كان الرسول ﷺ، وكذلك يكون المؤمنون، عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ كان يذكر الله على كل أحيانه[1]. وقال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (سورة آل عمران:١٩١). أي في جميع أحوالهم، وأحوال المؤمنين منحصرة في ثلاث: القيام والقعود والاضطجاع، فالله تعالى قد امتدح المؤمنين الذين يذكرونه بالتسبيح والتهليل والتحميد في جميع حالاتهم من قيام وقعود، اضطجاع، ولم يفرض الله على عباده هيئة خاصة لذكره بأنواع الأذكار ولا طهارة خاصة من وضوء وغسل، بل ندب إليه ورغب فيه في جميع الأحوال.

ومن نعم الله على عباده أن جعل آلة الذكر الذي هو اللسان عضوًا لا يعتريه الملل ولا يصيبه التعب كبقية الجوارح، فإن المرء تتعب يده بحمل شيء مهما كان خفيفًا وينقله من يد إلى أخرى وأما اللسان فليس كذلك، فلذلك أخبر الرسول ﷺ أن خير حالات المرء أن يكون لسانه رطبًا من ذكر الله وأن أفضل حالاته عند فراق الدنيا أن يفارقها ولسانه رطب من ذكر الله، ولاريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، وجلاؤه بالذكر، بأن يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء، فإذا ترك صَدِئ، فإذا ذكر جلاه، وصدأ القلب بأمرين: بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين: بالاستغفار والذكر، فمن كانت غفلته أغلب أوقاته كان الصدأ متراكمًا على قلبه وصدأه بحسب غفلته، وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صورة المعلومات على ما هي عليه، فيرى الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل، لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هي عليه فإن تراكم الصدأ عليه واسود وركبه الران فسد تصوره وإدراكه فلا يقبل حقًا ولا ينكر باطلاً، وهذا أعظم عقوبات القلب وأصل ذلك من الغفلة واتباع الهوى فإنهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (سورة الكهف:٢٨). فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر هل هو من أهل الذكر أم من الغافلين؟ وهل الحاكم عليه الهوى أم الوحي؟ فإن كان الحاكم عليه الهوى وهو من

---

(١) رواه مسلم (٥٥٨).

أهل الغفلة كان أمره فرطًا، ومعنى الفرط قد فسر بالتضييع، أي أمره الذي يجب أن يلزمه ويقوم به وبه رشده وفلاحه ضائع قد فرط عليه، وفسر بالإسراف أي: قد أفرط، وفسر بالإهلاك، وفسر بالخلاف للحق وكلها أقوال متقاربة، والمقصود أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ نهى عن طاعة من جَمَعَ هذه الصفات، فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه فإن وجده كذلك فليبعد عنه، وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله تعالى واتباع السنة وأمره غير مفرط عليه بل هو حازم في أمره، فليتمسك بغرزه، ولا فرق بين الحي والميت إلا بالذكر، فمثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت.

قال الشوكاني ـ رحمه الله ـ: وفي هذا التمثيل منقبة للذكر جليلة وفضيلة له نبيلة وأنه بما يقع منه من ذكر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في حياة ذاتية وروحية لما يغشاه من الأنوار، ويصل إليه من الأجور، كما أن التارك للذكر وإن كان في حياة ذاتية فليس لها اعتبار، بل هو شبيه بالأموات الذين لا يفيض عليهم بشيء مما يفيض على الأحياء المشغولين بالطاعة لله عزَّ وجلَّ، ومثل ما في هذا الحديث قوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ (سورة الأنعام:١٢٢). والمعنى تشبيه الكافر بالميت وتشبيه الهداية إلى الإسلام بالحياة[١].

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إمام الذاكرين وشفيع الأولين والآخرين، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

---

(١) تحفة الذاكرين.

ثبت في (صحيح البخاري) مـن حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :
«إن لله ملائكة يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم ـ عزَّ وجلَّ ـ وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا، والله ما رأوك، قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدًا، وأكثر لك تسبيحًا، قال: يقول: فما يسألوني؟، قال: يقولون: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها؟، قال: يقولون: لا، والله يا رب ما رأوها، قال: فيقول: كيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا، وأشد لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة، قال: يقول:فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يارب ما رأوها، قال: يقول: كيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا وأشد لها مخافة، فقال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم».

عِبَادَ اللَّهِ . . . في هذا الحديث العظيم بيان مـن الله يشهد فيه ملائكتـه أنه يغفر الذنوب لمن يذكره وكذلك المغفرة تشمل من جـاء لحاجة إلى هؤلاء الذاكرين الله كثيرًا فيا سعـادة من أكثر من ذكر الله تعالى ويا شقـاوة من لم يذكره عزَّ وجلَّ، واعلم أن الذكر ليس قاصرًا على ذكر اللسان فـقط، بل يعم الجوارح كلها، فذكر اللسان بالثناء وذكر العـينين بالبكاء، وذكر اليـدين بالعطاء، وذكر الأذنين بالإصـغاء، وذكـر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضاء.

عِبَادَ اللَّهِ . . . ويكفي في بيان جزاء التـقرب إلى الله تعالى والاشتغـال بذكره ما ثبت في الصحيحين فيـما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ : **«يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبـدي بي، وأنا مـعـه حين يذكـرني، إن ذكـرني في نفسـه ذكـرته في نفسي، وإن**

ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة».

قوله تعالى: **«إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي»** أي: بالثناء عليه والثواب، فإن ذكر العبد ربه بالثناء في نفسه، ذكره الله ـ عزَّ وجلَّ ـ مثنيًا عليه في نفسه الكريمة، وإن ذكره بأي طاعة أخرى ذكره الله بالثواب بحسب تلك الطاعة، وكذا إن ذكره في ملأ ذكره الله تعالى بما يمدح به ويعظم به شأنه ويرتفع به مكانة وذكره بالثواب. وذلك على مسمع من الملائكة.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: ذكر الله تعالى من مراتب القرب ثلاثاً: ونبه بها على ما دونها وما فوقها، فذكر تقرب العبد إليه بالشبر، وتقربه سبحانه إلى العبد ذراعًا، فإذا ذاق العبد حقيقة هذا التقرب، انتقل منه إلى تقرب الذراع، فيجد ذوق تقرب الرب إليه باعًا، فإذا ذاق حلاوة هذا القرب الثاني أسرع المشي حينئذ إلى ربه، فيذوق حلاوة إتيانه إليه هرولة، وههنا منتهى الحديث، منبهًا على أنه إذا هرول عبده إليه كان قرب حبيبه منه فوق هرولة العبد إليه، فإما أن يكون قد أمسك عن ذلك لعظيم شاهد الجزاء، أو لأنه يدخل في الجزاء الذى لم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر، أو إحالة له على المراتب المتقدمة، فكأنه قيل له: وقس على هذا، فعلى قدر ما تبذل منك متقربًا إلى ربك يتقرب إليك بأكثر منه، ثم قال: فما الظن بمن تقرب إليه بروحه وجميع إرادته وهمته وأقواله وأعماله؟!

وقال: فكما جاء لحبيبه بنفسه، فإنه أهل أن يجاد عليه، بأن يكون ربه سبحانه هو حظه ونصيبه عوضًا عن كل شيء، جزاء وفاقًا، فإن الجزاء من جنس العمل.

والله ـ عزَّ وجلَّ ـ يدنو ويقرب من خلقه كيف شاء، كما قال ذلك من قاله من السلف، وهذا كقربه إلى موسى لما كلمه من الشجرة.

عِبَادَ اللَّهِ . . . من الأذكار الواردة عن نبيكم محمد ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مئة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مئة حسنة، ومحيت عنه مئة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك»، و«من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر».

وقال ﷺ: «لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس».

وقال ﷺ: «لقيت ليلة أسري بي الخليل إبراهيم عليه السلام، فقال: أقريء أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان وأن غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر».

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مئة مرة: «ربِّ اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم».

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل»[1].

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قال: سبحان الله وبحمده، غُرست له نخلة في الجنة»[2].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن. «صحيح الجامع» (٥٦٤٤).

الرشـــوة

الخطبة الأولى:

إن الحمـد لله، نحمدُه ونستـعينُه ونستغـفرهُ، ونعوذُ باللهِ من شـرورِ أنفسنا ومن سَيئاتِ أعمالنا، مَن يَهـده اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب:٠ -٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله تعالى ـ عن حكم غـير شرعي في المعاملة ألا وهي الرشوة التي أصبحت بين المسلمين وكأنهـا من المباحات، وهي من المحرمات التي نص عليـها الشارع الحكيم وغلـظ في تحريمها. وهي دفع المال في مـقابل قـضاء مصلحة يجب عـلى المسئول عنها قضـاؤها. ويشتد التحـريم إذا كان الغرض من دفع هذا المال إبطال حق أو إحقـاق باطـل أو ظلمًا لأحـد.

وقد ذكر ابن عابدين ـ رحمه الله ـ في حـاشيته أن الرشوة أعم من أن تكون مالاً أو منفعة يُمكَّن منها أو يقضيها له. والمراد بالحاكم القاضي وبغيره كل من يرجى عنده قضـاء صلحة الراشي سواء من كـان من ولاة الدولة وموظفيـها أو القائمين بأعـمال خاصة كوكلاء التجار والشركات وأصحاب العقارات ونحوهم، والمراد بالحكم الراشي وحمل المرتشي على ما يريده الراشي لتـحقيـق رغبة الراشي ومقـصده سواء كان ذلك حقًا أو باطلاً ، والرشوة ـ يا عباد الله ـ من كبـائر الذنوب التي حرمها الله على عباده ولعن رسول الله ﷺ من فـعلها فـالواجب اجتنابهـا والحذر منها، وتحـذير الناس من تعاطيها لمـا فيها من الفساد العظيم والإثم الكبـير وهي من الإثم والعدوان الذين نهى الله سبحـانه وتعالى عن التعاون عـليهما في قوله عـزَّ من قائل: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (سورة المائدة: ٢).

وقد نهى الله عزَّ وجلَّ عن أكل أموال الناس بالباطل فـقال سبحانه: ﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٨٨).

والرشوة من أشـد أنواع أكل الأموال بالبـاطل لأنها دفع المال إلى الغـير لقـصد إحالته عن الحق. وقـد توعد الله الراشي والمرتشي باللعن على لسان نبيه مـحمد ﷺ ففي الحديث الحسن قال رسول الله ﷺ : «لعن الله الراشي والمرتشي»[١]، واللعن من الله هو الطرد والإبعاد من رحمته، نعوذ بالله من ذلك، واللعن لا يكون إلا في كبيرة كما أن الرشوة من أنواع السـحت المحرم بالقرآن والسنة فـقد ذم الله اليهـود وشنع عليهم لأكلهم السحت في قوله سبحانه ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ (سورة المائدة: ٤٢). كما قال تعالى عنهم: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة المائدة: ٦٢).

---

(١) رواه أحمد (٣٠٠٧)، والترمذي (١٣٣٧)، وابن ماجة (٢٣١٣)، وانظر: «الإرواء» (٢٦٢١).

وقد وردت أحاديث كثيرة في التحذير من هذا المحـرم وبيان عاقبة مرتكبيه، منها ما رواه ابن جرير عن ابن عـمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«كل لحم انبتـه السحت فالنار أولى به»**[1]، قيل: وما السحت؟، قال: **«الرشوة في الحكم»**[2]، وقال أبو محمد موفق الدين ابن قدامة ـ رحمه الله ـ في (المغني) قال الحسن وسعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ هو الرشوة، وقـال: وإذا قبل القاضي الـرشوة بلغت به الكفر لأنه مـستعد للحكم بغـير ما أنزل الله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (سورة المائدة: ٤٤).

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي المتقين، ورزاق المخلوقين أجمعين، وجاعل أكل الحلال سببًا لقبول دعاء الـداعين، وجاعل أكل الحـرام سببًا لمنع قـبول دعـاء الداعين، نحمـدك اللَّهم ونشكرك على جزيل عطاياك يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين. أما بعد:

عباد الله . . . روى مسلم في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا ،وإن الله أمـر المؤمنين بما أمـر بـه المرسلين، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ (سورة المؤمنون: ٥١). وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ (سورة البقرة: ١٧٢). ثم ذكر الرجل يطيل السـفـر اشعث اغبـر يمد يديه إلى السـمـاء: يارب يارب، ومطعـمـه حرام، ومشـربـه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام فانى يستجاب له»**[3]، فاتقوا الله ـ أيها المسلمون ـ واحذروا سخطه وتجنبوا أسبـاب غضبه؛ فإنه جلَّ وعلا غيور إذا انتهـكت محارمه وقد ورد في الحديث الصحيح: **«لا احد اغير من الله»**[4].

---

(١) رواه الترمذي (٦١٤)، «المشكاة» (٢٧٧٢).

(٢) موقوفًا على ابن مسعود رضي الله عنه عند ابن جرير (٩٣٥٣) بسند صحيح.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري (٤٦٣٧)، ومسلم (٢٧٦٠).

وجنبوا أنفسكم وأهليكم المال الحرام والأكـل الحرام نجاة بأنفسكم وأهليكم من النار التي جعلها الله أولى بكل لحم نبت من حرام، كما أن المأكل الحرام سبب لحجب الدعاء وعدم الإجابة.

عِبَادَ اللَّهِ . . . لا شك أن المعاصي إذا ظهرت تسبب فرقة المجتمع وانقطاع أواصر المودة بين أفراده وتسبب الشـحناء والعداوة وعدم التعاون على الخـير، ومن أقبح آثار الرشوة وغيرها من المعاصي في المجتمعات ظـهور الرذائل وانتشارها واختفاء الفضائل وظلم بعض أفراد المجـتمع فـيما بينهم للبـعض الآخر بسـبب التعدي على الحـقوق بالرشوة والسرقـة والخيانة والغش في المعاملات وشـهادة الزور، ونحو ذلك من أنواع الظلم والعدوان، وكل هذه من أقبح الجرائم.

ومن أسبـاب العقوبات العـامة كمـا قال النبي ﷺ : **«إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك ان يعمهم الله بعقابه»**[1] .

عِبَادَ اللَّهِ . . . هناك أمور هي جماع الخير كله:

واولها ـ الإخلاص لله وحـده في جميع القربات القـولية والعمليـة، والحذر من الشرك كله دقيقه وجليله، وهذا هو أوجب الواجـبات وأهم الأمور وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، ولا صـحة لأعمـال العبـاد وأقوالهم إلا بـعد صحـة هذا الأصل وسلامـته كما قـال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ (سورة الزمر: ٦٥).

والأمر الثاني ـ التفقـه في القرآن وسنة الرسول ﷺ والتمسك بهـما وسؤال أهل العلم عن كل ما أشكل عليكم في أمور دينكم، وهذا واجب على كل مسلم ليس له تركـه والإعراض عنه والسـير وراء رأيه وهواه بدون علم وبصـيرة، وهذا هو مـعنى

---

(١) رواه أحمد بسند صحيح عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والترمذي (٢١٦٩)، وانظر: «الصحيحة» (١٥٦٤).

شهادة أن محـمداً رسول الله؛ فإن هذه الشهادة توجب على العبـد الإيمان بأن محمداً ﷺ هو رسول الله حقًا، والتمسك بما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وألا يعبد الله سبحـانه إلا بما شرع على لسان رسوله ﷺ، كـما قال سبـحانه وتعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ (سورة آل عمران:٣١) الآية، وقال سبـحانه: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ (سورة الحشر:٧) الآية، وقال الرسول ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[1].

وكل من أعرض عن القرآن والسنة فهو متابـع لهواه عاص لمولاه مستحق للمقت والعقوبة قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾ (سورة القـصص: ٥٠). واتباع الهـوى والعيـاذ بالله يطمس نور القلب ويصد عن الحق كمـا قال تعالى: ﴿ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (سورة ص:٢٦). فـاحذروا ـ رحـمكم الله ـ اتبـاع الهوى والإعـراض عن الهـدى، وعليكم بالتمسك بالحق والدعوة إليه، والحذر مما خالفه لتفوزوا بخيري الدنيا والآخرة.

---

(١) متفق عليه.

الزكـــاة

الخطبة الأولى:

إن الحمـد لله، نحمدُه ونستـعينُه ونستغـفرهُ، ونعوذُ بالله من شـرورِ أنفسنا ومن سَيئات أعمالنا، مَن يَهـده اللهُ فلا مُضلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله تعالى ـ عن الزكاة التي هي ركن من أركان الإسلام وفـرض من فرائض الدين، والزكـاة هي النماء والزيادة، أي أنهـا تطهر المال وتزيده وتنميه، لا كما يفهمه بعض الناس من البخلاء والجهلة أنها تنقصه.

والأدلة على وجوب أداء الزكاة من كتاب الله عزَّ وجلَّ كـثيرة ومنها قوله تعالى:

﴿ طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ (١) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (سورة النمل:١-٣).

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ (سورة الحج: ٤١).

وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة التوبة: ٧١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (سورة التوبة: ١٨).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (سورة البقرة: ٢٧٧).

وقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (سورة البقرة: ١١٠).

وأما الأدلة من السنة فكثيرة جدًا ومنها ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله عليه الصلاة والسلام لما بعث معاذًا إلى اليمن قال: **«إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عزَّ وجلَّ، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم، وتوق كرائم أموالهم»** [(١)].

وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: **«بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»** [(٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **«أخبرني أبو سفيان رضي الله عنه - وذكر حديثه مع هرقل عظيم الروم - فقال له: بم يأمركم؟ فقال أبو سفيان: يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف»** [(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٦٨٢٤)، ومسلم (٢٧).

(٢) رواه البخاري، «الفتح ٣» (١٤٠١)، ومسلم (٥٦) واللفظ له.

(٣) رواه البخاري «الفتح/ ١» (٦)، ومسلم (١٧٧٣) واللفظ له.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة؛ فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»(١).

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أخبرني بعمل يدخلني الجنة؟ قال: «مَالَهُ، مَالَهُ، وقال النبي ﷺ أرب ماله، تعبد الله لا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيًا أتى النبي ﷺ فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: «تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان»، قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا، فلما ولى، قال النبي ﷺ: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»(٣).

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدون إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمةً للعالمين . . أما بعد:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر فاصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: «لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه؛ تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت»، ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل»، قال: ثم تلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾

---

(١) رواه البخاري «الفتح» واللفظ له، (١/ ٢٥) ، ومسلم (٢٢).
(٢) رواه البخاري، «الفتح/ ٣» (١٣٦٩).
(٣) رواه البخاري، «الفتح/ ٣» (١٣٩٧) واللفظ له، ومسلم (١٥).

فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة السجدة: ١٦-١٧). ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه؟»، قلت: بلى يا رسول الله: قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد»، ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟»، قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه قال: «كف عليك هذا»، فقلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟!، فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»[1].

وعن أبي أمامة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع، وقال: «اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم؛ تدخلوا جنة ربكم»[2].

عِبَادَ اللَّهِ . . . لقد قام الإجماع على فرضية الزكاة استدلالاً بالنصوص من الكتاب والسنة، وتجب في مال الصبي والمجنون واليتيم، ويشترط في وجوب إخراج الزكاة في المال أن يحول عليه الحول.

لحديث عائشة ﵂: أن النبي ﷺ قال: «لا زكاةَ في مال حتى يحول عليه الحول»[3].

وكذلك يشترط في المال المزكَّى أن يبلغ نصابًا سواء أكان المال من ماشية أو عروض تجارة، أو ذهب، أو فضة، أو غير ذلك من الأموال، أما زكاة الزروع فتكون في وقت الحصاد لقوله تعالى: ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ (سورة الأنعام: ١٤١). وأما الحلي وهو ما يلبس من الذهب والفضة ففي المسألة قولان لأهل العلم: قول بعدم وجوب تزكيتها، وقول بوجوب تزكيتها وهو الراجح الذي تطمئن إليه النفس، وهو رواية عن الإمام أحمد وهو مذهب الحنفية، وأفتى بذلك الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ

---

(١) رواه الترمذي، وعزاه أحمد شاكر في المسند للسنن الكبرى للنسائي (٥/ ١٣)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، وقال الألباني في «صحيح الجامع» (٣/ ٢٩، ٣٠): صحيح الإسناد.

(٢) رواه الترمذي (٦١٦)، واللفظ له وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم (١/ ٣٨٩٩)، وذكره الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٥٥٠) برقم (٨٦٧).

(٣) رواه ابن ماجه (١٧٨٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٧٤٩٧)

الألباني، والشيخ محمد الصالح العثيمين ـ رحمهم الله تعالى ـ، ومن يقول بوجوب زكاة الحلي يقول بذلك استدلالاً بالأدلة الخاصة من الكتاب والسنة. ومن ذلك: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: **أن امرأة أتت رسول الله ﷺ ومعها ابنة لها وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب، فقال لها: «أتعطين زكاة هذا؟»، قالت: لا، قال: «أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟»، قال: فخلعتهما فألقتهما إلى النبي ﷺ وقالت: هما لله عزَّ وجلَّ ولرسوله**[1].

وذهب إلى وجوب زكاة الحلي من الصحابة عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وابن عباس ﷺ، وهو قول سعيد بن جبير، وابن المسيب، وعطاء، وابن سيرين، وجابر بن زيد، ومجاهد، والزهري، وإليه ذهب الثوري.

والذين يستدلون بوجوب زكاة الحلي ـ وهو ما يلبس من الذهب والفضة ـ يقولون بأن ذلك أحوط وبعيد عن الشك والريبة لأن النبي ﷺ يقول في الحديث الصحيح: **«دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»**[2].

ونصاب الذهب الراجح فيه (٨٥ غرامًا)، فإذا وصل وزن الذهب حليًا أو غيره إلى ٨٥ غرامًا أو زاد عليه ففيه الزكاة، وأما زكاة الفضة (٥٩٥ غرامًا) إذا حال الحول يزكي بربع العشر، ومن له دين عند الناس فإنه يلزم صاحب المال أن يزكيه، وإذا أعطيت الزكاة لغير مستحق لها فالصحيح ـ والذي أفتى به ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ أنه لا يستلم الزكاة من لم يكن مستحقًا لها، وعليه أن يعيدها إلى صاحبها إذا استلمها وباستطاعته أن يدله على أهلها، وكذلك لا يجوز إسقاط الدين من الزكاة لأن هذا يعد تحيلاً للحصول على مال قد لا يعود لصاحبه بغير هذه الطريقة فيتحيل صاحب المال ويسقط ذلك من الزكاة فهذا لا يجوز، وهو كذلك قول الشيخ محمد الصالح العثيمين ـ رحمه الله ـ.

---

(١) رواه أحمد (٦٦٠٧)، وأبو داود (١٣٣٦)، وقال الألباني في «الإرواء» (٣/٢٩٦): إسناده إلى عمرو جيد، وصححه ابن القطان.

(٢) رواه أحمد (١٦٣٠)، والترمذي (٢٤٤٢)، وانظر: «صحيح الجامع» (٣٣٧٨).

الزكاة (٢)

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرهُ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سَيِّئات أعمالنا، مَن يَهده اللهُ فلا مُضلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه صلى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابِه، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠ - ٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله تعالى ـ عما تبقى من موضوع خطبة الزكاة قال الله تعالى في مصارف الزكاة: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة التوبة: ٦٠).

يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ ﴾. أي الزكوات الواجبة، بدليل أن الصدقة المستحبة لكل أحد لا يخص بها أحد دون أحد، إنما الصدقات لهؤلاء المذكورين دون من عداهم، لأنه حصرها فيهم، وهم ثمانية أصناف: **الأول والثاني ـ الفقراء**

والمساكين: وهم في هذا الموضع صنفان متـفاوتان، فالفقير أشـد حاجة من المسكين، لأن الله بدأ بهم، ولا يبدأ إلا بالأهم فالأهم، فَـفُسِّر الفقير بأنه الذي لا يجـد شيئًا، أو يجد بعض كفايته دون نصفها.

والمسكين هو الذي يجد نصفها فأكثر، ولا يجد تمام كفايته، لأنه لو وجدها لكان غنيًا، فيعطون من الزكاة ما يزول به فقرهم ومسكنتهم.

والثالث. العاملون عليها: أى على الزكاة، وهم كل من له عمل وشغل فيها، من حافـظ لها وجـاب لها من أهلهـا أو راع أو حامل لهـا، أو كاتب، أو نحـو ذلك، فيعطون لأجل عـمالتهم، وهي أجرة لأعمـالهم فيها، وعلى هؤلاء أن يتـقوا الله عزَّ وجلَّ في أموال اليـتامى لأنه قد توسع في هذا الباب في مـسألة ﴿ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ﴾. في المصالح الحزبية حتى حُرِمَ الكثيرون من اليتامى من حقهم. لأن الأموال تصل إلى هذا الحد وتجـمد باسم العـاملين عليهـا، وهم أكثر من اليـتامى ونذكـرهم بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (سورة النساء: ١٠). فليتقوا الله من يوم يحصل فيـه ما في الصدور ويبعثر ما في القبـور وأن اليتيم يوم القـيامة بين يدي الله يسأل حـقه، فمـا هو المخرج يا ترى يوم القيامة؟ والله المستعان.

والرابع. المؤلفة قلوبهم: والمؤلف قلبه هو السيد المطاع في قومه ممن يرجى إسلامه، أو يخشى شره أو يرجى بعطيته قوة إيمانه أو إسلام نظيره، أو جبايتها ممن لا يعطيها، فيعطى ما يحصل به التأليف والمصلحة.

وهذا أيضًا قد أخطأ الكثير فيـه؛ فتجد البعض يعطي المال، لا من أجل أن ينصر سنة النبي ﷺ ولكن من أجل أن ينصر حزبية أو يهدم سنة، أو يقف في وجه الحق، وهكذا إذا أعرض الناس عن العلم والتعلم وعن سنة رسولهم ﷺ .

والخامس. الرقاب: وهم المكاتبون الذيـن قد اشتروا أنـفسهم من سـاداتهم، فهم يسعون في تحصيل ما يفك رقابهم، فيعانون على ذلك من الزكاة، وفك الرقبة المسلمة التي في حبس الـكفار داخل في هذا، بل أولى، ويدخل في هذا أنه يجـوز أن يعتق الرقاب استقلالاً لدخوله في قوله تعالى: ﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾.

والسادس. الغارمون: وهم قسمان: **احدهما** ـ الغارمون لإصلاح ذات البين، وهو أن يكون بين طائفـتين من الناس شـر وفتنة، فيـتوسط الرجل للإصـلاح بينهم بما يبـذله لأحدهم أو لهـم كلهم، فجعل لـه نصيب من الزكـاة ليكون أنشط له وأقوى لعـزمه، فيعطى ولو كان غنيًا: **والثاني** ـ من غرم لنفسه، ثم أعسر؛ فإنه يعطى ما يوفي به دينه.

السابع. من مصارف الزكاة: هو الغازي في سبيل الله: وهـم الغزاة المتطوعة الذين لا ديوان لهم، فيـعطون من الزكاة، مـا يعينهم على غزوهـم، من ثمن سلاح أو دابة، أو نفقة له ولعياله ليتوفر على الجهاد، ويطمئن قلبه، وقال كثير من الفقهاء: إذا تفرغ القادر على الكسب لطلب العلم أعطي من الزكاة لأن العلم داخل في الجهاد في سبيل الله.

والثامن. ابن السبيل: وهو الغريب المنقطع في بلده، فيـعطى من الزكاة ما يوصله إلى بلده.

فهـؤلاء الأصنـاف الثمـانية، الذين تدفـع إليهم الزكـاة وحدهم، ﴿ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ﴾. فرضها وقررها تابعة لعلمه وحكمه، ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصـالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على من أرسله الله رحمة للعالمين، وإمامًا للمتقين. أما بعد:

اعلموا ـ رحـمكم الله ـ أن هـذه الأصنـاف الثمانيـة من مصـارف الزكـاة ترجـع إلى أمريـن:

احدهما ـ من يعطى لحاجته ونفعه، كالفقير والمسكين ونحوهما.

والثاني ـ من يعطى للحاجة إليه وانتفاع الإسلام به.

فأوجب الله هذه الحصة في أموال الأغنياء ولسد الحاجات الخاصة والعامة للإسلام والمسلمين، فلو أعطى الأغنياء زكاة أموالهم على الوجه الشرعي، لم يبق فقير من المسلمين ولحصل من الأموال ما يسد الثغور ويجاهد به الكفار وتحصل به جميع المصالح الدينية.

عباد الله . . . مما اختلف فيه: الزكاة في عروض التجارة، وهو المال المعد للتجارة وسمي بذلك، لأنه لا يستقر، يعرض ثم يزول، فإن المتجر لا يريد هذه السلعة وإنما يريد ربحها، لهذا أوجبنا زكاتها في قيمتها لا في عينها.

العروض: كل ما أعد للتجارة من أي نوع، ومن أي صنف كان، وهو أعم أموال الزكاة وأشملها إذ أنه يدخل في العقارات وفي الأقمشة وفي الأواني وفي الحيوان وفي كل شيء.

■ وفي المسألة قولان مشهوران:

القول الأول ـ يجب الزكاة في عروض التجارة إذا بلغت نصابًا، وهذا مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد وإليه ذهب جماهير العلماء قديمًا وحديثًا[١].

القول الثاني ـ لا زكاة فيها وهو مذهب مالك وداود الظاهري، لكن الذي يفهم من كلام المالكية وجوب الزكاة فيها لعام واحد وحجتهما قوله ﷺ: **«ليس في الخيل والدقيق زكاة، إلاَّ زكاة الفطر في الدقيق»**[٢].

---

(١) راجع «المغني» لابن قدامة المقدسي ـ رحمه الله ـ.

(٢) رواه مسلم (١٦٣٣)، وأبو داود (١٣٥٩) واللفظ له.

والراجح وجوب الزكاة فيها - اي عروض التجارة - والدليل على ذلك: دخولها في عموم قول الله تعالى: ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (سورة الذاريات:١٩). وقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: **«اعلمهم ان الله افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم»**[(١)] ، فقال: **«فى اموالهم»**، ولاشك أن عروض التجارة مال، فإن قال قائل: إن الرسول ﷺ قال: **«ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة»**[(٢)] .

قلنا: نعم قال ذلك، ولكنه لم يقل ليس في العروض التي لا تراد لعينها إنما تراد لقيمتها ليس فيها زكاة.

وقول الرسول ﷺ : **«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»**[(٣)] ، ولو سألنا التاجر ماذا يريد بهذه الأموال، لقال: أريد الذهب والفضة، أريد النقدين.

ونكاد - يا عباد الله - نجزم أن زكاة التجار المسلمين لا تخرج على الوجه المطلوب ولو كانت تخرج كذلك لما كان في العالم الإسلامى فقير، فعسى الله أن يأتي بالفتح ويعود المجتمع المسلم إلى حيز الوجود، فَتُؤَدَّى الزكاة كما فرضها الله في المحتاجين إليها، وعسى أن يكون ذلك قريبًا، وما ذلك على الله بعزيز.

عِبَادَ اللَّهِ . . . بقي أن نتطرق لذكر شيء من فوائد الزكاة فمن ذلك أنها أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام، وأنها تطهير للمال من حقوق الغير فيه، وهي برهان صدق الإيمان، ووقاية للنفس من شحها، وبها تسد حاجة المعوزين ومواساة للفقراء

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري (١٣٧١)، ومسلم (١٦٣١).

(٣) متفق عليه.

والمحتاجين من المسلمين. كما أنها سبب لبركة المال ونمائه، وخيرها وبرها راجع إلى المتصدق نفسه أولاً وأداؤها دلالة على شكر نعمة المال، والمال مال الله والعبد وكيل عليه يصرفه حيث أمر سيده ومالكه الحقيقي. ومن فوائدها تقوية العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأمة كلها، وأداؤها يعين على حل معضلة الكفر كالدعوة إلى النصرانية وغيرها من الديانات المحرفة التي أعجزت العالم المعاصر، وهي ـ أي الزكاة ـ سبب في إحلال التراحم بدلاً من التحاسد والتباغض. وبالزكاة تدفع النقم وتستجلب النعم، وتكليف الفقير بإخراج زكاة الفطر مع وجود قوت يومه تربية له على خُلق العطاء حتى يستشعر عز العطاء بدلاً من ذل الأخذ.

والفلاح مضمون ـ بإذن الله ـ لمن زكى نفسه وطهرها بالتقوى والعبادة.

اللَّهم شفع فينا نبيك محمداً ﷺ، اللهم اجمع اشتاتنا، ووحدنا على العروة الوثقى وكلمة التقوى، لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه.

سبعة يظلهم الله في ظله يوم القيامة

الخطبة الأولى:

الحمد لله الجواد، اللطيف بالعباد، الذي من اعتز به ساد، الملك الذي تفرد بالخلق والإيجاد، وتوحد في تدبير أمور العباد، أحمده وأشكره وقد وعد بالمزيد للشاكر، وأشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا..

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله تعالى ـ عن سبعة يظلهم الله في ظله يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»** [(١)] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم(٢/ ١٤٣).

كرم الله واسع وفضله عظيم، والآخرة ﴿ لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة القصص: ٨٣).

ورسول الله ﷺ يبشر سبعة من الناس بالاستظلال في ظل العرش يوم القيامة، والشمس تلفح جلود الآخرين ويلجمهم العرق، ولا يدرون ما الله صانع بهم عند الحساب، ولا أين يساقون بعد؟ إلى الجنة أم إلى النار؟ إلا السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وهم:

أولاً: الإمام العادل: الذي لا يحكم إلا بالحق، ولا يظلم أحداً لأحد، ولو كان من أعز الخلق عليه وأحبهم إليه، يرى القوي ضعيفًا حتى يأخذ منه الحق لغيره، والضعيف قويًا حتى يأخذ حقه من ظالمه كائنًا من كان، لا يفرق بين قريب وبعيد وسيد ومسود في معاملتهم بالحسنى، والرفق بهم، والإحسان إليهم.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (سورة الحديد: ٢٥).

قال ابن القيم: «أنزل الله كتابه وأنزل الميزان ـ وهو العدل ـ ليقوم الناس بالقسط»[١].

«ومن أعظم القسط التوحيد وهو رأس العدل، فالتوحيد أعدل العدل، والشرك أظلم الظلم»[٢].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (سورة النساء: ٥٨).

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٣٣٦).

(٢) «الجواب الكافي» بتصرف (ص١٩٠).

في هذه الآية بيان أن على الإمام العادل أن يعتبر رعيته كأبنائه فيما لهم من العطف والحنان، والتربية الصالحة، فيعلم جاهلهم ويواسي فقيرهم، ويربي صغيرهم، ويداوي مريضهم، ويكرم حاضرهم، ويحفظ غائبهم في أهله وماله.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عزَّ وجلَّ وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»**[1].

وقال رسول الله ﷺ: **«ألا أخبركم بخيار أمرائكم وشرارهم، خيارهم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتدعون لهم ويدعون لكم، وشرار أمرائكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم»**[2].

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في إحدى خطبه المنبرية في أول الخلافة: **«أيها الناس .. إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه، والقوي ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله تعالى، لا يدع أحد منكم الجهاد، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله»**[3].

ثانيًا. شاب نشأ في عبادة الله: واستعمل جسمه وروحه وماله وما أنعم الله به عليه في مرضاته، استحق على ذلك من الله خير الجزاء، وكان محبوبًا في أهله، وقومه وعشيرته، لأنه يدعو إلى الله بقوله وفعله وإن عرضت له المعصية وزينها له الشيطان لم يمنعه منها إلا دينه وخوف الله، بر بوالديه، يرحم الصغير ويحترم الكبير، وسيلة

---

(١) رواه مسلم وأحمد والنسائي.

(٢) صحيح رواه الترمذي عن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٥٩٦).

(٣) أخرجها ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/ ٣٠٥-٣٠٦) وقال: إسناده صحيح.

قوية لأمن المجتمع، لا يسرق ولا يزني ولا يشرب الخمر، ولا يتعاطى المخدرات، ينشر الفضيلة، وينهى عن الرذيلة، والتاريخ أصدق شاهد بفضل الشباب الناشئين في طاعة الله، والله تعالى يقول في أصحاب الكهف: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (سورة الكهف: ١٣).

فتية آمنوا على الوهلة بربهم، آمنوا من غير مهلة، لما أتتهم دواعي الوصلة قاموا لله، وما استقروا حتى وصلوا إلى الله... متع نهار عرفانهم واستضاءت شموسهم بزيادة اليقين، وتمت سكينة قلوبهم، قعدت عنهم الشهوات فصح قيامهم بالليل، ينكشف العجب في شأن القلوب الشابة المؤمنة، فهؤلاء الفتية الذين يعتزلون قومهم، ويهجرون ديارهم، ويفارقون أهلهم، ويتجردون من زينة الأرض، ومتاع الدنيا، هؤلاء الذين يأوون إلى الكهف الضيق الخشن المظلم، هؤلاء يستروحون رحمة الله ظليلة فسيحة ممتدة، ولفظة «ينشر»، تلقى السعة والبحبوحة والانفساح، فإذا الكهف فضاء فسيح رحيب وسيع، تنتشر فيه الرحمة، وتتسع خيوطها، وتمتد ظلالها، وتشملهم بالرفق واللين والرخاء.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضاه، أحمده تعالى وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أرجو بها النجاة يوم نلقاه، يوم يبعث ما في القبور، ويحصل ما في الصدور، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم تسليمًا كثيرًا: أما بعد:

عباد الله ... هنيئًا لشاب تقي تعلق قلبه بالمساجد ومجالس الخير وعمل الصالحات، واغتنم شبابه قبل هرمه، وصحته قبل سقمه، وغناه قبل فقره، وفراغه قبل شغله، وحياته قبل موته. ومن علم أن الشباب ضيف لا يعود وفرحة إذا مرت لا رجوع لها شغله بطاعة الله، واستعان به على الصالح لدينه ودنياه، ومن أتبع نفسه هواها، وقاده الشيطان بزمام الشباب إلى الذنوب والمعاصي ندم حين يشيخ ولات ساعة مندم.

وأكرم الناس نفسًا، وأنداهم كفًا، وأطيبهم قلبًا، وأرقهم عاطفةً، وأصدقهم عزمًا هو الشاب المؤمن التقي، يحليه إيمانه بمكارم الأخلاق، ويبعده دينه عن طيش الصغر، وإصرار الكبر، وجدير بشاب هذا شأنه أن يظله الله بظل عرشه.

وقال رسول الله ﷺ : **«لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به»**[(١)] .

الثالث ـ ممن يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ـ رجل قلبه معلق بالمساجد: وإذا تعلق قلب المرء بالمساجد وعمارتها بذكر الله فيها وكثرة التردد إليها للصلاة والاعتكاف كان من أهل قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (سورة النور: ٣٥: ٣٦).

قال رسول الله ﷺ : **«من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له نزلاً من الجنة كلما غدا وراح»**[(٢)] .

وقال رسول الله ﷺ : **«ثلاثة كلهم ضامن على الله: رجل خرج غازيًا في سبيل الله فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة، أو يرده بما نال من أجر، ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله»**[(٣)] .

---

(١) حسن: رواه الترمذي عن ابن مسعود، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع»، رقم (٧٢٩٩).

(٢) رواه مسلم، وأحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

(٣) صحيح: رواه أبو داود، وابن حبان في صحيحه، وصححه الحاكم، والألباني في «صحيح الجامع»، رقم (٣٠٤٨).

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن المؤمنين بالله واليـوم الآخر إذا أعطوا المساجـد ما تسـتحق من العناية بها، وعمروها وتعلقت بها قلوبهم فـإنما ذلك لفضلها، وعظيم شأنها عند الله وعند المسلمين الذين مـا كانت لهم من مـعاهد ولا مـدارس ولا أندية إلا المسـاجد، وفيهـا يقومون واقفين بين يدي الله مـذعنين له بالعبودية كل يوم خـمس مرات، وقد ألصق القوي منهم كتفه بالضعيف واحتك جسمه بجسمه قيامًا وركوعًا وسجودًا.

ومن آثار السلف في تعلق قلوبهم بالمساجد قال حـاتم الأصم ـ وقد لقب بلقمان هذه الأمة ـ قـال ـ رحمـه الله ـ: «فاتتني الصـلاة في الجماعـة، فعزانـي أبو اسحق البخاري وحـده، ولو مات لي ولد لعزاني أكثـر من عشرة آلاف، لأن مصـيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا»[1].

والإمام المزني شيخ الشافعية: كان ـ رحـمه الله ـ إذا فاتته صلاة الجماعة، صلى تلك الصلاة خمسًا وعشرين مرة[2].

والإمام القدوة أبو الحارث عامر بن عبـد الله بن الزبير: قال عنه مصعب: «سمع عامـر المؤذن، وهـو يجـود بنفسـه، فـقال: خذوا بيـدي، فقيـل: إنك عليل، قال: اسمع داعي الله فلا أجيبه! فأخذوا بيده فدخل مع الإمام في المغرب، فركع ركعـة ثم مات»[3].

---

(١) «الإحيـاء» (١/ ١٧٧).
(٢) «السـير» (١٢/ ٤٩٢-٤٩٧).
(٣) «السـير» (٥/ ٢٢٠).

سبعة يظلهم الله في ظله يوم القيامة (٢)

الخطبة الأولى:

الحمد لله الجواد، اللطيف بالعباد، الذي من اعتز به ساد، الملك الذي تفرد بالخلق والإيجاد، وتوحد في تدبير أمور العباد، أحمده وأشكره وقد وعد بالمزيد للشاكر، وأشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً. .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠ - ٧١)

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله تعالى ـ مازال عن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

والرابع منهم ـ رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه: جمعهم الحب في الله، ولاشك أن الحب في الله والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان، وبه تقع الألفة، ويحصل الاتحاد المأمور به في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويشعر المجرم بكراهة الناس له وبغضهم لما هو عليه من معصية الله، فيقلع ويتوب، قال ﷺ : **«إن من عباد الله اناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله»، قالوا: يا رسول الله فتخبرنا من هم؟ قال: «هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا اموال**

يتعاطونها، فو الله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور، ولا يخافون إذا خاف الناس، وقرأ هذه الآية: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1] (سورة يونس: ٦٢).

ولقد امتن الله على نبيه ﷺ بالألفة والحب بين أصحابه قال تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة الأنفال: ٦٣).

وقال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣).

وقال ﷺ: **«من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان»**[2].

خامسًا - ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين: يخاف الله سرًا وعلنًا فيترك الحرام، وهو قادرٌ عليه ومشتاق إليه، تهيأت له أسباب المعصية، ونفسه تواقة، وجسمه صحيح، وجيبه ملآن، ولا رقيب ولا شيء غير الله، الذي لا تخفى عليه خافية، تتعرض له ذات المنصب الرفيع، والبيت الواسع، والوجه الجميل، والثوب الأنيق، وتدعوه إلى نفسها وتهم به ويهم بها، فيترك هذا كله ويقول: إني أخاف الله رب العالمين، وبذلك ينتصر على النفس والهوى والشيطان، وينال الدرجات والمنازل الساميات، ويقول الله في مثل هذا: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ (سورة المعارج: ٢٩-٣١).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (سورة يوسف: ٢٣).

---

(١) رواه أبو داود، وانظر: «المشكاة» (٣/ ١٣٩٦)، برقم (٥٠١٢ - ٥٠١٠٣).

(٢) صحيح. رواه أبو داود، والضياء في «المختارة»، عن أبي أمامة، وصححه الألباني في «الصحيحة»، رقم (٣٨٠).

وعن عمر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر، فمالوا إلى غار في الجبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها:

فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدي، وإنه نأى بي الشجر فما أتيتُ حتى امسيت فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رأسيهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغَوْن عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر؛ فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء.

فقال الثاني: اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، فطلبت إليها نفسها فأبت حتى ألمت بها حاجة وطلبت مائة دينار فسعيت حتى جمعت مائة دينار فلقيتها بها، فلما قعدت بين رجليها، قالت: يا عبد الله، إتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فقمت عنها؛ اللهم فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها ففرج لهم...» الحديث.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحابته أجمعين. أما بعد:

عباد الله . . . السادس ـ ممن يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ـ رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه: وإنفاق المال في سبيل الله والمتصدق به على المستحقين من أفضل ما يتقرب به العبد إلي ربه سراً كان ذلك أو جهراً.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (سورة سبأ: ٣٩).

وقال تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (سورة الحديد: ١١، ١٢).

هتاف موح مؤثر آمر، وهو يقول للعباد الفقراء المحاويج: «من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا»؟ ومجرد تصور المسلم أنه هو الفقير الضئيل يقرض ربه، كفيل بأن يطير به إلى البذل طيرانًا! إن الناس ليتسابقون عادة إلى إقراض الثري المليء منهم - وهم كلهم فقراء - لأن السداد مضمون، ولهم الاعتزاز بأن أقرضوا ذلك الثري المليء! فكيف إذا كانوا يقرضون الغني الحميد؟!

ولا يكلهم سبحانه إلى هذا الشعور وحده، ولكن يعدهم على القرض الحسن، الخالص له، المجدد من كل تلف إلى سواه يعدهم عليه الضعف في المقدار، والأجر الكريم بعد ذلك من عند الله.

ثم يعرض لهم صفحة مضيئة من ذلك الأجر الكريم، في مشهد طريف لطيف من مشاهد اليوم الذي يكون فيه ذلك الأجر العظيم.

وأما ما ورد في السنة من الأدلة على الصدقة وعظم أجرها فمن ذلك حديث أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: **«صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفيء غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر»**[1].

وقال رسول الله ﷺ: **«ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشام منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»**[2]. فإن أراد المتصدق فتح أبواب الخير للغير وتشجيع المشروعات الخيرية وتجهيز الغزاة والإنفاق على الجهاد أعلن بصدقته وأبداها فيقتدي به الناس ويعملون مثله، والدال على الخير كفاعله، وإن أراد إخفاء صدقته والبعد عن الرياء والسمعة أسر صدقته وأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.

---

(١) حسن. رواه الطبراني في «الكبير»، وحسنه الألباني فى «صحيح الجامع»، رقم (٣٦٩١).
(٢) رواه البخاري، ومسلم (١٣/ ٤٧٤).

سابعاً - رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه: وأصدق البكاء ما كان في الخفية إذا ذكر المرء تقصيره في طاعة الله، وارتكابه لشيء من معصية الله، فاتق الله - يا عبد الله - ولا تخشع بالبكاء إلا إذا خشع قلبك فإن الله يسأل من أظهر البكاء من إمام ومأموم وهو غير صادق ومتأثر من قلبه، ومن الناس من لا يلين قلبه ولا تبكي عينه، يطربُ لأصوات المظلومين وأنات المنكوبين، قد نزع الله من قلبه الرحمة، وجرده من الخوف والرجاء، فهو لا يطمع إلا بالدنيا واكتسابها، ويأمن من الآخرة وعذابها، فاللهم ارزقنا خشيتك ووفقنا للجمع بين رجاء رحمتك وخوف عذابك واجعلنا ممن تقول فيهم: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (سورة المائدة: ٨٣).

وقال رسول الله ﷺ: «**عينان لا تمسهما النار أبداً: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**»[1].

ومن آثار السلف ما قاله ابن المبارك مبينًا حالهم وما كانوا عليه من شدة الخوف من الله جلَّ وعلا:

إذا ما الليل أظلم كابدوه	**فيسفر عنهم وهمُ ركوع**
أطار الخوف نومهم فقاموا	**وأهل الأمن في الدنيا هجوع**
لهم تحت الظلام وهم سجود	**أنين منه تنفرج الضلوعُ**
وخرس بالنهار لطول صمت	**عليهم من سكينهم خشوع**[2]

---

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده»، و«الضياء» عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»، رقم (٥٨٩٤)، و«الصحيحة»، رقم (٢٣١٣).

(٢) «التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي» ص(٤٩٣).

الظلم

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله تعالى ـ عن الظلم، أجارنا الله وإياكم منه.

قال تعالى: ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٨).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (سورة فصلت:٤٦).

وقال تعالى: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (سورة غافر:١٨).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ (سورة الحج:٧١).

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دمائهم واستحلوا محارمهم»**[1].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٨).

اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن الله قد حرم الظلم وأمر برد المظالم، فالأمر بذلك يقتضي الوجوب، والظلم هو النقص قال الله تعالى: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾ (سورة الكهف:٣٣). يعني: لم تنقص منه شيئًا، والنقص إما أن يكون بالتجرؤ على ما لا يجوز للإنسان ، وإما بالتفريط فيما يجب عليه، وبذلك يدور الظلم على هذين الأمرين إما ترك واجب أو فعل محرم.

والظلم نوعان: ظلم يتعلق بحقوق الله عزَّ وجلَّ وظلم يتعلق بحقوق العباد، وأعظمها المتعلق بحقوق الله عزَّ وجلَّ وهو الإشراك به. فإن النبي ﷺ سئل: أي الذنب أعظم؟ فقال: **«أن تجعل لله ندًا وهو خلقك»**[1].

ويليه الظلم في الكبائر، ثم الظلم في الصغائر.

أما في حقوق العباد فالظلم يدور على ثلاثة أشياء، بينها النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع فقال: **«إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»**[2]. والظلم في النفس هو الظلم في الدماء، يكون بأن يتعدي الإنسان على حق غيره بسفك الدماء أو الجروح أو ما أشبه ذلك، والظلم في الأموال بأن يتعدى الإنسان ويظلم غيره في الأموال إما بعدم بذل الواجب وإما بإتيان محرم، وإما بفعل شيء محرم في مال غيره، وأما الظلم في الأعراض فيشمل الاعتداء على الغير بالزنا واللواط والقذف وما أشبه ذلك.

وكل الظلم بأنواعه محرم، ولن يجد الظالم من ينصره أمام الله تعالى، قال عزَّ وجلَّ: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (سورة غافر:١٨). أي أنه يوم القيامة لا يجد الظالم حميمًا أي صديقًا ينجيه من عذاب الله، ولا يجد شفيعًا يشفع له فيطاع، لأنه منبوذ بظلمه وغشمه وعدوانه، وقال تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري (٤٠٧١).

أنصَار﴾ (سورة البقرة: ٢٧٠). يعنى لا يجدون أنصارًا ينصـرونهم ويخرجونهم من عذاب الله سبحانه وتعالى في ذلك اليوم.

وفي حديث جابر بن عـبد الله ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**اتقوا الظلم**»، اتقوا: يعني احذروا، والظلم هو كما سبق أن بينا يكون في حق الله ويكون في حق العباد، فقوله ﷺ: «**إتقوا الظلم**» أي: لا تظلموا أحدًا، لا أنفسكم ولا غيركم، «**فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**» ويوم القيامة ليس هناك نور إلا من أنار الله تعالى له، وأما من لم يجعل الله له نورًا فما له نور.

الإنسان إن كـان مسلمًا فله نور بقـدر إسلامه، ولكن إن كان ظالمًا فـقد من هذا النور بمقـدار ما حـصل من الظلم، لقـوله ﷺ : «**اتقـوا الظلم فـإن الظلم ظلمـات يوم القيامة**»[1].

ومن الظلم: مطل الغني، يعني أن لا يوفي الإنسان مـا عليه وهو غني به، لقوله ﷺ : «**مطل الغني ظلم**»[2]. وما أكـثر الذين يماطلون فـي حقوق الناس، يأتـي إليه صاحب الحق فيقول: يا فـلان أعطني حقي فيقول: غدًا، فيأتيه من غـد فيقول: بعد غد . . وهكذا، فإن هذا الظلم يكون ظلمات يوم القيامة على صاحبه.

«**واتقوا الشح**»: الشح: الحرص على المال، «**فإنه اهلك من كان قبلكم**» لأن الحرص على المال ـ نسأل الله السلامة ـ يوجب للإنسان أن يكسب المال من أي وجه كان، من حلال أو حرام، بل قال النبي ﷺ : «**حملهم**» أي حمل من كان قبلنا «**على ان سفكوا دمـائهم واسـتحلوا محـارمـهم**» يسـفك الشحـيح الدماء إذا لم يتـوصل إلى طمعـه إلا بالدمـاء، كمـا هو الواقع عند أهـل الشح، يقطعـون الطريق على المسلمين ويقـتلون الرجل ويأخذون متـاعه ويأخذون بعيره، وكذلك أيضـاً يعتدون على الناس في داخل

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

بيوتهم ويهتكون حـجب بيوتهم، فيأخذون المال بالقوة والغلبـة، فحذر النبي ﷺ من أمرين: من الظلم ومن الشح، فالظلم هو الاعتداء على الغـير والشح هو الطمع فيما عند الغير، فكل ذلك حرام، ولهـذا قال تعالى في كتابه: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة الحشر:٩). فدلت الآية على أن من لم يوق شح نفسـه فلا فلاح له، المفلح من وقاه الله شح نفسه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لتؤدن الحقـوق إلى أهلها يوم القـيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»**[1].

في هذا الحـديث أقسم النبي ﷺ وهـو الصادق المُصَـدَّق بغيـر قسم، أقـسم أن الحقـوق ستـؤدى أهلها يوم القـيامـة، ولا يضيع لأحـد حق، الحق الذي لك إن لم تستـوفه في الدنيـا استوفـيته في الآخـرة، حتى إنه يقـتص للشاة الجلحـاء من الشاة القرناء، «الجلحاء»: التي ليس لها قرن، و«القرناء»: التي لها قرن، والغالب أن التي لها قـرن إذا ناطحت الجلحاء التي ليس لها قـرن تؤذيها أكثـر، فإذا كان يوم القيـامة قضى الله بين هاتين الشاتين واقتص للشاة الجـلحاء من الشاة القرناء، هذا وهن بهائم لا يعقلن ولا يفهمن.

لكن الله عزَّ وجلَّ حكم عدل، أراد أن يُري عـباده كمال عدله حـتى في البهائم العجم، فكيف ببني آدم؟!.

وفي هذا الحديث دليل على أن البهائم تحشر يوم القيامة، وكذلك تحشر الدواب، وكل ما فيـه روح يحشر يوم القيامـة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ (سورة الأنعام:٣٨). «أمم كثيرة، أمة الذر، أمة الطيور، أمة السباع، أمة الحيات . . وهكذا» إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء».

---

(١) رواه مسلم.

وكل شيء مكتوب حتى أعمال البهائم والحشرات مكتوبة في اللوح المحفوظ: ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (سورة الأنعام:٣٨). ففي يوم القيامة يقتص للمظلوم من الظالم ويؤخذ من حسنات الظالم فتضاف إلى حسنات المظلوم إلا إذا نفذت حسناته فيؤخذ من سيئات المظلوم فتطرح عليه.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على خاتم النبيين، وإمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين، أما بعد:

قال النبي ﷺ لصحابته ذات يوم ـ والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ـ: **«من تعدون المفلس فيكم؟»، قالوا: المفلس فينا من لا درهم عنده ولا متاع، قال: «المفلس من يأتي يوم القيامة بحسنات مثل الجبال، فيأتي وقد ضرب هذا، وشتم هذا، وأخذ مال هذا، وسفك دم هذا، فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن بقي من حسناته شيء وإلا أُخذ من سيئاتهم فَطُرحت عليه، ثم طُرح في النار»**[1].

لابد أن يقتص للمظلوم من الظالم، ولكن إذا أخذ المظلوم بحقه في الدنيا، فدعا على الظالم بقدر مظلمته واستجاب الله دعاءه فيه فقد اقتص لنفسه قبل أن يموت، لأن النبي ﷺ قال لمعاذ: **«واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»**[2]. فإذا دعا المظلوم على ظالمه في الدنيا واستجيب لدعائه فقد اقتص منه في الدنيا، أما إذا سكت فلم يدع عليه ولم يعف عنه، فإنه يقتص له منه يوم القيامة.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته»**، ثم قرأ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[3] (سورة هود:١٠٢).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) متفق عليه.

عِبَادَ اللَّهِ . . . في قول النبي ﷺ : «إن الله ليملي للظالم؛ فإذا أخذه لم يفلته» يملي له يعني: يمهل له حتى يتمادى في ظلمه ـ والعياذ بالله ـ فلا يعجل له العقوبة، وهذا من البلاء، نسأل الله أن يعيذنا وإياكم.

فمن الاستدراج أن يملي للإنسان في ظلمه فلا يعاقب له سريعًا حتى يتكدس على الإنسان المظالم، فإذا أخذه الله لم يفلته، أخذه أخذ عزيز مقتدر، ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (سورة هود:١٠٢).

فعلى الإنسان الظالم أن لا يغتر بنفسه ولا بإمهال الله له، فإن ذلك مصيبة فوق مصيبته، لأن الإنسان إذا عوقب بالظلم عاجلاً فربما يتذكر ويتعظ ويدع الظلم، لكن إذا أملي له واكتسب آثامًا أو ازداد ظلمًا ازدادت عقوبته ـ والعياذ بالله ـ فيؤخذ على غرة، حتى إذا أخذه الله لم يفلته.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من كانت عنده مظلمة لأخيه، من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»[1].

في الدنيا يمكن أن يتحلل الإنسان من المظالم التي عليه بأدائها إلى أهلها، أو استحلالهم منها، لكن في الآخرة ليس هناك شيء إلا الأعمال الصالحة، فإذا كان يوم القيامة اقتص من الظالم للمظلوم من حسناته، يؤخذ من حسناته التي هي رأس ماله في ذلك اليوم، فإن بقي منه شيء وإلا أخذ من سيئات المظلوم وحملت على الظالم ـ والعياذ بالله ـ فازداد بذلك سيئات إلي سيئاته، وظاهر هذا الحديث أنه يجب على الإنسان أن يتحلل من ظلم أخيه حتى في العرض، سواء علم أم لم يعلم، وذلك أن

---

(١) رواه البخاري.

المظالم إما أن تكون بالنفس أو بالمال أو بالعرض، لقول النبي ﷺ : «إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم»(١) .

فإن كانت بالنفس مثل أن يكون قد جنى عليه. أو ضربه حتى جرحه، أو قطع عضوًا من أعضائه، أو قتل له قتيلاً، فإنه يتحلل منه بأن يمكن صاحب الحق من القصاص، أو من بذل الذمة، إذا لم يكن القصاص أو اختيرت الدية.

أما إن كانت في المال فإنه يعطيه ماله، إذا كان عنده مال لأحد فالواجب أن يعطيه صاحبه؛ فإن غاب عنه ولم يعرف مكانه وأيس منه فإنه يتصدق به عنه، والله سبحانه يعلم ويؤدي إلى صاحب الحق حقه، وإن كان قد مات ـ أي صاحب الحق ـ، فإنه يوصله إلى ورثته، لأن المال بعد الموت ينتقل إلى الورثة، فلابد أن يسلمه للورثة فإن لم يعلمهم بأن جهلهم ولم يدر عنهم تصدق به عنهم، والله تعالى يعلمهم ويعطيهم حقهم.

أما إن كانت في العرض مثل أن يكون قد سب شخصًا في مجالس أو اغتابه، فلابد أن يتحلل منه إذا كان قد علم بأنه سبه، فيذهب إليه، ويقول أنا فعلت كذا وفعلت كذا، وأنا جئتك معتذرًا، فإن عذره فهذا من نعمة الله على الجميع، لأن الله يقول: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الشورى: ٤٠). وإن لم يعف فليعطه مالاً، يشبعه من المال حتى يحلله، فإن أبى فإن الله تعالى إذا علم أن توبة الظالم توبة حقيقية فإنه سبحانه وتعالى يرضي المظلوم يوم القيامة.

وقال بعض العلماء في مسألة العرض: إذا كان المظلوم لم يعلم فلا حاجة أن يعلمه، مثل أن يكون قد سبه في مجلس من المجالس وتاب فإنه لا حاجة أن يعلمه، ولكن يستغفر له ويدعو له، ويثني عليه بالخير في المجالس التي كان يسبه فيها، وبذلك يتحلل منه.

والمهم أن الأمر خطير وحقوق الناس لابد أن تعطى لهم، إما في الدنيا وإما في الآخرة.

---

(١) رواه البخاري.

خطبة عيد الفطر المبارك

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله وكرمه تتنزل الرحمات، أحمده سبحانه شرع لنا الأعياد، وأفاض لنا السرور، ونور قلوب المؤمنين بنور التقوى والحبور، وأشكره على آلائه ونعمه وتوفيقه ومنه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى والصفات العلى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة الشورى:١١)، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، صاحب المقام المحمود، واللواء المعقود، والحوض المورود.

اللهم صل على عبدك ورسولك وخليلك محمد ما تعاقب الليل والنهار، وعلى آله وصحبه المقربين الأخيار وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فاتقوا الله ـ عباد الله ـ، واشكروه على نعمه التي لا تحصى وآلائه التي تترى، ألا إن يومكم هذا يوم شريف، فضله الله وشرفه وجعله عيدًا سعيدًا لأهل طاعته، يفيض عليهم فيه من جوده وكرمه، فاشكروه على إكمال عدة الصيام، واذكروه وكبروه على ما هداكم وحباكم من نعمة الإسلام، واعبدوه حق عبادته، واتقوه حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، أفردوه وحده بالعبادة، فإنه خلقكم لها كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (سورة الذاريات:٥٦).

فيجب علينا غاية الذل والخضوع، وكمال المحبة والإنابة والإقبال عليه، والإعراض عن كل ما سواه وإخلاص العمل لوجه الله الكريم، ولا يستهوينكم الشيطان بصرف شيء من العبادة لغير الله كالدعاء والنذر والاستعانة والاستغاثة والخوف والرجاء والرغبة والرهبة وغير ذلك من أنواع العبادة، فإنه سبحانه المستحق

للعبادة وحده، وهو العـالم بالظواهر ومكنون الضمائر، يعلم حاجة عـباده إليه، وقد أمرهم أن يرفعوا حوائجهم إليـه ووعدهم الاستجابة وهو القادر على كل شيء ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (سورة يس:٨٢)، وقال سبحانه: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ⑬ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ (سورة فاطر:١٣-١٤).

فتدبروا ـ عباد الله ـ كتاب ربكم تفلحوا، وتفـهموا سنة نبيكم تهتدوا، وحافظوا على الصلاة، فـإنها عماد الدين وهي الصلة بين العـبد وربه، من حفظها فـقد حفظ دينـه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع.

أدوا زكاة أمـوالكم طيبة بهـا نفوسكم، وصومـوا شهركم، وحـجوا بيت ربكم وعليكم ببر الوالدين، فـإنه أعظم الحقوق بعـد حق الله وحق رسوله، وعليكم بصلة الأرحام، والإحسان إلى الفـقراء والأيتام، وتدرعوا بالصبر علـى أقدار الله، واجتنبوا الربا فإنه مـن الموبقات وصاحـبه مـحارب لله ولرسوله، واحـذروا من بخس المكاييل والموازين والمقـايـيس، والغش والخـداع في المعـامـلات، ووقـروا الـيـمين بالله في الخصومات، فـقد قال ﷺ : **«من اقتطع مال امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة»**، فقال له رجل: وإن كان شيئًـا يسيرًا يا رسول الله؟ قال: **«وإن كان قضيبًا من أراك»**[1].

واحذروا الإفك والبهتان والغيبة والنميمة وشهادة الزور، وإياكم والكبر والازدراء والفخر والخيلاء وعليكم بالتواضع وخفض الجناح، والتواصل والتراحم.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان رقم (١٣٧) والنسائي في كتاب آداب القضاة برقم (٥٣٢٤).

عِبَادَ اللهِ . . . اتقوا الله في دينكم، واعملوا على نصرته ورفع رايته، والذود عن حياضه، فإن الله تكفل بالنصر لمن نصر دينه: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (سورة الحج: ٤٠).

اتقوا الله يا ولاة أمور المسلمين بالعمل على تطبيق شرع الله على عباد الله فهو الذي يكفل لهم السعادة ويحقق لهم الأمن والسيادة.

اتقوا الله أيها العلماء والدعاة في دعوة الناس إلى دين الله وتبصيرهم بحقيقته وترغيبهم فيه، وحثهم على التمسك به، وشرح محاسنه ومزاياه والالتزام بما ورد في الكتاب والسنة، وما جاء عن سلف هذه الأمة من التعليم والتوجيه، وتجنبوا النقل من مصادر لا علاقة لها في ديننا مما لا يخدم مصلحة الإسلام والمسلمين ومما هو بعيد عن واقع مجتمعاتنا الإسلامية.

اتقوا الله يا حملة الأقلام ويا أرباب الفكر ورجال الصحافة والإعلام فيما تقولون وتنشرون، راقبوا الله في ذلك، وتذكروا أنكم مسئولون عنه يوم القيامة، فلا تقدموا للأمة إلا ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، بما يتفق مع فطرتهم السليمة وعقيدتهم الصحيحة.

أيها المسلمون . . . احذروا أن تكونوا من الذين نهى الله نبيه عنهم وعن طاعتهم وعاشرتهم ممن وصفهم سبحانه بقوله: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (سورة الكهف:٢٨).

عِبَادَ اللهِ . . . تثبتوا في الأخبار واحذروا اتباع ذوي الأهواء فقد قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (سورة الحجرات:٦). ولقد صح عن نبيكم ﷺ أنه قال: «كفى بالمرء كذباً ان يحدث بكل ما سمع»[1].

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب رقم (٤٩٧٢) وأحمد في مسنده (٥/ ٤٠١)، «الصحيحة» (٢٠٢٥).

لأن كل ما يسمعه المرء يختلط فيه الصدق بالكذب والحق بالباطل، فيحدث ذلك بلبلة وإشاعة للشر والفساد والبغضاء والنزاع.

عِبَادَ اللَّهِ . . . اعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا وكونوا كما كان عليه سلف هذه الأمة من الوحدة والتضامن واجتماع الكلمة، فإن دين الإسلام دين ألفة واعتصام ووحدة ووئام، وإن مما يؤسف له ما نرى من تفرق ونزاع بين بعض المسلمين فنشأ في كثير من بلاد الإسلام أحزاب متعددة، وأصبحت الموالاة والمعاداة لدى البعض من أجل هذا الحزب أو ذاك، دون النظر إلى مصلحة الإسلام والمسلمين: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (سورة المؤمنون: ٥٣).

ولقد حذر القرآن الكريم من التفرق والاختلاف والنزاع، حيث يقول جلَّ شأنه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة الأنفال: ٤٦).

لقد نسى هؤلاء أو تناسوا أن الموالاة والمعاداة يجب أن لا تكون إلا لله ولدين الله، فعلى المسلم أن يتقي الله، وأن تكون موالاته ومعاداته في الله ومن أجل دين الله.

وحري بالمسلمين جميعًا أن يتحدوا من أجل خدمة الإسلام وإعلاء كلمة الله وأن يحذروا التفرق والاختلاف، وأن يكونوا كما وصفهم خالقهم بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (سورة الحجرات: ١٠).

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات التي أمر بها الإسلام وأوجبها الله تعالى على العباد، حماية للدين والأخلاق ودرءًا للفساد والأضرار عن العباد والبلاد، فعلى كل مسلم القيام به في حدود قدرته واستطاعته وفق شرع الله وهدي نبيه ﷺ، وقد جعل الإسلام إنكار المنكر على مراتب ثلاث فقال ﷺ: **«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»**[(١)].

---

(١) رواه مسلم في كتاب «الإيمان»، رقم (٤٩).

فالتغيير باليد مسئولية ولي الأمر أو من يقوم مقامه ممن كلف بذلك، والتغيير باللسان للعالم المؤهل بعلمه، المعروف بحلمه وحكمته، والتغيير بالقلب لمن ليس له التغيير باليد أو باللسان، فالمسلم مأمور بإنكار المنكر وتغييره في حدود قدرته واستطاعته دون تقصير وإخلال أو زيادة وتعدٍ، فكما أن المرء يأثم بالتقصير في إنكار المنكر فإنه قد يلحقه الإثم أيضًا بتعديه في الإنكار وتجاوزه ما لم يأذن به الشرع كأن ينكر ما لم ينكره ظنًا منه أن هذا الأمر منكر لجهله، أو ينكر باليد وهو ممن ليس له ذلك، أو يكون أسلوبه في إنكاره باللسان بغلظة وفظاظة بما قد يورث العداوة ويمنع من قبول الحق.

وإن من التعدي في الإنكار للمنكر أن يصل إلى حد البحث عن العورات وتتبع الزلات والتجسس؛ فإن ذلك مما نهى عنه الإسلام وحذر منه، يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ (سورة الحجرات: ١٢).
ويقول ﷺ : «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا»[(١)].

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واحذروا مخالفة أوامر ربكم، واحرصوا على الالتزام بهدي المصطفى ﷺ في دعوته، والتزموا الحكمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن ذلك أدعى للقبول، وأحرى للاستجابة وتحقيق الهدف المأمول.

وإنه ـ يا عباد الله ـ يجب على من أُمر بمعروف أو نُهي عن منكر أن يتقبل ذلك بصدر منشرح، ولا يأنف من قبول الحق ممن جاء به، لأنه يرشده إلى ما فيه صلاحه ورشده، وإن عدم قبول الحق من الكِبْرِ الذي نهى الله عنه ورسوله ﷺ، وقد ذم سبحانه المعرضين عن قبول الحق، فقال: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ (سورة المدثر: ٤٩-٥١).

---

(١) رواه البخاري في «كتاب الأدب» (٦٠٦٦) ومسلم في «كتاب البر والصلة» رقم (٢٥٦٣).

أيها المسلمون . . . إن المتأمل لواقع المسلمين اليوم يجد أنهم في بعض بلاد المسلمين وغيرها يعانون من الظلم والاضطهاد والبطش والاستبداد، سلبت حقوقهم، واغتصبت أراضيهم، وقليل من المسلمين يحاول الوقوف معهم ومساندتهم، فأين كثير من أهل الإسلام من إخوانهم أولئك؟

إن مسئولية الدول والجماعات والأفراد مسئولية عظمى في الوقوف مع إخوانهم، ومناصرتهم، وإنقاذ منكوبيهم، والعمل على استرجاع حقوقهم، وإصلاح ذات بينهم، عملاً بقوله ﷺ : **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم: مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**[١] .

عباد الله . . . إن دين الإسلام قد أكمله الله للأمة، وأتم به النعمة، فتمسكوا به، واحذروا من التفريط فيه أو الإفراط، ومن الغلو والجفاء، فهو الدين الكامل الشامل لكل ما تحتاجه البشرية في إصلاح أحوالها، وهو الذي تحصل به سعادة الدنيا والآخرة لمن تمسك به وسار على نهجه فما تم عدل ولا تكامل أمن ولا سعدت أمة إلا بتطبيقه والتحاكم إليه وإقامة حدوده ونشر تعاليمه، والكل منا يعلم ما حصل في بلاد المسلمين من التفكك بين الشعوب وقادتها، وعدم الأمن واضطراب الأحوال، بسبب الانحراف عن تعاليم الإسلام، وعدم تطبيق شريعة الله على عباد الله، فساءت بذلك أحوالهم، وكثر الاختلاف والنزاع فيما بينهم، وهذا مصداق ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **«وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»**، واعلموا ـ يا عباد الله ـ أنه بتطبيق شريعة الله وتنفيذ أحكامها وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعم العدل في ربوع البلاد، والأمن في أرجائها، ورغد العيش في أنحائها، والتآلف بين أفرادها ومسئوليها.

---

(١) رواه البخاري في «كتاب الأدب» (١٠/٤٣٨)، ومسلم في «كتاب البر والصلة» رقم (٢٥٨٦).

أيها المؤمنون . . استقيموا على طاعة مولاكم، ولا تعرضوا عن إلهكم بعد إقبالكم عليه في الشهر الكريم، شهر الصيام والقيام، فالإله هو الرب المعبود في رمضان وجميع الأزمان، فاستقيموا إليه واستغفروه لعلكم ترحمون، وتذكروا عباد الله بهذا الاجتماع اجتماعكم يوم العرض الأكبر على الله: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ (سورة الحاقة:١٨). في ذلك الموقف حين ينقسم الناس إلى فريقين: فريق في الجنة وفريق في السعير: ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ (سورة الواقعة:٨٨-٩٦).

الخطبة الثانية:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان.

أما بعد . . فيا أيها الناس اتقوا الله حق تقاته، واعبدوه حق عبادته، واعلموا أن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . عليكم بالتخلق بأخلاق القرآن، والتأدب بآداب سيد الأنام، حسنوا أخلاقكم مع إخوانكم المؤمنين، مع أقاربكم، وجيرانكم. فما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، حسنوا أخلاقكم مع أهليكم وأزواجكم، فقد قال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا، وخياركم خياركم لنسائهم»[1].

---

(١) رواه الترمذي في «كتاب الرضاع» رقم(١١٦٢)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٢٥٠)، وانظر: «الصحيحة» (٢٨٤)، و«صحيح الجامع» (١٢٣٢).

أيتها المرأة المسلمة . . . اتقِ الله، وحافظي على ما أوجب الله عليك في دينك وأمانتك وما استرعاك الله عليه، مري أبناءك بالصلاة، وعوديهم على الطاعات، وعلى الصدق والأمانة ومكارم الأخلاق، وحذريهم من الكذب والغيبة والنميمة وبذاءة اللسان، حافظي على كرامتك وعرضك، لا تزاحمي الرجال في الأسواق والمتاجر والتجمعات.

أيها المؤمنون والمؤمنات . . . إن الله أوجب على الأمة الإسلامية التعاون على البر والتقوى، والتناصح فيما بينها، والنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ، ولأئمة المسلمين وعامتهم.

عباد الله . . . اشكروا الله على ما حباكم من نعمة الأمن والاستقرار، وعلى ما هداكم وَمَنَّ عليكم من نعمة دين الإسلام، وتذكروا ببهجتكم وسروركم في هذا اليوم المبارك المعوزين والمضطهدين في بعض الأقطار من إخوانكم المسلمين، الذين تعلو وجوههم الكآبة والحزن، وترجف قلوبهم من الخوف وقلة الأمن، بمطاردة أعدائهم أعداء الإسلام، بالقنابل المحرقة والأسلحة الفتاكة، وبالاضطهاد في دينهم وحريتهم وكرامتهم، يغتصبون بلادهم وأوطانهم ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (سورة البروج:٨). وهم مع ذلك صابرون مناضلون في بسالة وتضحية، فهذا شهيد وذاك جريح وآخر أسير، فكم أيموا النساء، ويتموا الأطفال، وشتتوا الأسر، وفرقوا بين الأمهات وأطفالهن، فتذكروا إخوانكم في تلك البقاع، واشكروا الله على أمنكم واستقراركم.

وإن من شكر النعم القيام بأمر الله، والإحسان إلى أولئك المجاهدين والمضطهدين وإسعافهم بما تجود به نفوسكم من أموالكم، ومما رزقكم الله؛ شكراً لله على نعمه، وإعانةً لإخوانكم، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، والراحمون يرحمهم

الرحمن، وإن الصدقة تدفع البلاء، وتزيد في المال؛ ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (سورة التغابن: ١٧).

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن نبيكم ﷺ قد ندبكم لصيام ستة أيام من شوال، ففي صحيح مسلم عن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان ثم تبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر»، بادروا إلى فعل الطاعات، وتسابقوا إلى الخيرات.

اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، وانصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان، الذين يجاهدون لتكون كلمة الله هي العليا يا رب العالمين. اللهم انصر المجاهدين في فلسطين وفي جميع أقطار المسلمين وفي كل موطن يضطهد فيه عبادك المؤمنون. اللهم قوي عزائمهم، سدد سهامهم وآراءهم، واجمع كلمتهم على الحق والهدى. اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، وألف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم، ووفق ولاة أمورهم للعمل بكتابك وسنة نبيك.

اللهم ادفع عنا وعن جميع المسلمين كل ذي شر وفساد ومكر وعناد، اللهم من أراد ببلاد المسلمين سوء فأشغله بنفسه، ورد كيده في نحره، واجعل تدبيره تدميره وعمله وبالاً عليه، اللهم ادفع عنا الغلاء والوباء والربا والزنا، والزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن بلدنا هذا وعن سائر بلاد المسلمين يا رب العالمين، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

خطبة عيد الأضحى

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون. . . ما أحوج الأمة في أيام محنها وشدائدها، وأيام ضعفها وتيهها إلى دروس من تاريخها تتأملها، وإلى وقفات عند مناسباتها، تستلهم منها العبر، ويتجدد فيها العزم على الجهاد والحق ويصحح فيها التوجه على محاربة كل بغي وفساد.

ما أحوجها إلى دروس تستعيد فيها كرامتها، وترد على من يريد القضاء على كيانها.

وإن في حجة نبيكم محمد ﷺ الوداعية التوديعية لعبرًا ومواعظ، وإن في خطبها لدروسًا جوامع.

فلقد خطب ﷺ خطبًا في موقف عرفة، ويوم الحج الأكبر وأيام التشريق أرسى فيها قواعد الإسلام وهدم مبادئ الجاهلية، وعظم حرمات المسلمين، خطب الناس وودعهم، بعد أن استقر التشريع وكمل الدين وتمت النعمة، ورضي الله هذا الإسلام دينًا للإنسانية كلها لا يقبل من أحد دينًا سواه ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ (سورة المائدة: ٣). وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (سورة ال عمران: ٨٥).

ألقى نبيكم محمد ﷺ في هذا المقام العظيم كلمات جامعة موجزة، تحكي المبادئ الكبرى لهذا الدين.

وأنبياء الله حين يبلغون رسالات الله ليسوا تجار كلام، ولا عارضي أساليب. فكلماتهم قوالب حق وأوعية معانٍ، وشفاء لما في الصدور ودواء لما في القلوب.

في حجة الوداع ثبت النبي ﷺ في نفوس المسلمين أصول الديانة، وقواعد الشريعة، ونبه بالقضايا الكبرى على الجزئيات الصغرى، ولقد كانت عباراته توديعية بألفاظها ومعانيها وشمولها وإيجازها، استشهد الناس فيها على البلاغ.

كان ﷺ من خلال تبليغه كلمات ربه يمتلئ حبًا ونصحًا وإخلاصًا ورأفة: ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة الشعراء: ٣).

لقد عانى وكابد من أجل إخراجهم من الظلمات إلى النور، حتى صنع منهم بإذن ربه أمة مجيدة، ذات أهداف واضحة، ومبادئ سامية، هداهم من ضلال، وجمعهم بعد فرقة، وعلمهم بعد جهل.

وإن أهم شيء أكد عليه - في النهي من أمر الجاهلية - الشرك بالله: فلقد جاء بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) شعار الإسلام وعلم الملة، كلمة تخلع بها جميع الآلهة الباطلة، ويثبت بها استحقاق الله وحده للعبادة، فالله هو الخالق وما سواه مخلوق، وهو الرزاق وما سواه مرزوق، وهو القاهر وما سواه مقهور، هذا هو دليل التوحيد

وطريقه: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (سورة الروم: ٤٠).

والأموات قد أفضوا إلى ما قدموا، قال تعالى: ﴿ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا ﴾ (سورة الفرقان: ٣).

وقال تعالى: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ (سورة فاطر: ١٤).

عباد الله . . . ثبت من حديث جابر في مسلم أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع: «**إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا، الا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ربيعة بن الحارث، كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصتم به، كتاب الله وانتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟»، قالوا: نشهد انك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد،** ثلاث مرات[1].

معاشر المسلمين . . . حفظ النفوس وصيانة الدماء قضية خطيرة يثيرها خطاب الرسول ﷺ إلي الأمة في كلماته التوديعية التأصيلية، ذلكم أن حكم القصاص في النفس والجراحات كان من حكمه التشريعية زجر المجرمين عن العدوان، وقد عجزت

---

(١) رواه مسلم (١٩/١٩) باب حجة النبي ﷺ . (٢٩٤١-١/١٤٧، جـ٧-٨، ٢٠٢٧/٣١٦٢) دار المعرفة بيروت.

الأمم المعاصرة بتقدمها وتقنية وسائلها أن توقف سيل الجرائم وإزهاق النفوس، وزاد سوءها وانكشفت سوأتها حين ألغت عقوبة الاقتصاص من المجرمين، وما زاد المجرمين ذلك إلا عتوا واستكباراً في الأض ومكر السيء، ولكنه في شرع محمد ﷺ محسوم بالقصاص العادل ﴿ولكم في القصاص حياة﴾.

إن في القصاص حياة حين يكف من يهم بالجريمة عن الإجرام، وفي القصاص حياة حين نشفي صدور أولياء القتيل من الثأر الذي لم يكن يقف عند حد لا في القديم ولا في الحديث، ثأر مثير للأحقاد العائلية والعصبيات القبلية، يتوارثه الأجيال جيلاً بعد جيل، لا تكف معه الدماء عن المسيل، ويأتي حسم عملي ومباشرة تطبيقية من محمد ﷺ في هذا الموقف العظيم في إلغاء حكم جاهلي في مسألة الثأر، فاستمع إليه وهو يقول ﷺ: «**ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ربيعة بن الحارث، كان مسترضعًا في بني سعد فقتلته هذيل**»[1].

أيها الأخوة . . . إن في القصاص والحدود وأحكام الجنايات في الشريعة حياة ورحمة، حياة أعم وأشمل، حياة تشمل المجتمع كله، رحمة واسعة غير مقصورة على شفقة ورقة تنبت في النفس نحو مستضعف أو أرملة أو طفل، ولكنها رحمة عامة للقوي والضعيف والقريب والبعيد.

---

(١) رواه مسلم (١٢١٨) واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأبو داود من حديث جابر في صفة حجة النبي ﷺ، وأحمد (٣/ ٣١٣)، وانظر: «المشكاة» (٢٥٥٥)، و«الإرواء»(٥/ ٢٧٨)

الخطبة الثانية:

الحمـد لله الذي أوجد الكائنات بقدرته فـأتقن ما صنع، الله أكبر شـرع الشرائع فأحكم ما شرع، الله أكبر لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع.

الحمد لله أهل الحمد ومستحقـه، والصلاة والسلام على نبينا محمد مصطفاه من رسله ومجتبـاه من خلقه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبـعهم بإحسان إلى يوم الدين . . أما بعـد:

فاتقوا الله ـ عبـاد الله ـ واعلموا أن قضية المرأة قضيـة كل عصر وكل جيل وكل أمة، يأتي الخطاب النبوي في هذا الحشد الهائـل ممن عاصر الجاهلية ليضع الناس على الحق والطريق المستقيم.

إن مواريث العرب والجاهلية قبل الإسلام احتقرت المرأة وازدرتها، بل لعلها رأت أنها شر لابد منه، وفي أتم التقدم المعاصر أَسَفَّتْ بها في شهواتها إلى مدى منحط.

وإذا كـانت مـواريث الجـاهليـة قـد جـعلت المرأة فـي قـفص الاتهـام ومظاهر الاستصـغار، فإن مسلك التـقدم المعاصر قـد جعلها مصـيدة لكل الآثام، ولكن هدي محمد ﷺ أعطى كل ذي حق حقه، وحفظ لكل نصيبه: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ (سورة النساء: ٣٢) في مسلك وسط، ومنهج عدل، فالنساء شقائق الرجال.

وقال تعـالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (سورة البقرة: ٢٢٨).

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ (سورة آل عمران: ١٩٥).

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة النحل: ٩٧).

وفي التوجيه النبوي: «فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف»[١].

إن إصلاح عوج المرأة راجع إلى زوجها، ليمنع العوج والنشوز، وليعيد الاستقرار إلى جوانب البيت في معالجة داخلية.

وثمة وقفة نبوية - أيها الأخوة - في هذا المشهد التوديعي العظيم إنها قضية وحدة لأمة وقضية الخلاف المذموم.

يوقف الرسول ﷺ فيها أمته على أمر حاسم وموقف جازم: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله»[٢].

«لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[٣].

«ألا إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم»[٤].

إنه تحذير مبكر من الرؤوف الرحيم بالمؤمنين من فناء ذريع، إذا هي استسلمت للخلاف، واسترسلت في الغفلة عن سنن الله، والجهل بما يدبره الشيطان وإخوان الشيطان من مؤامرات.

وإذا كان الإسلام في العهد النبوي قد دفن النعرات الجاهلية، والعصبيات الدموية، والشيطان قد يئس أن يعبد في ذلك العهد، فإننا نخشى تجدد آماله في هذه العصور المتأخرة.

---

(١) رواه مسلم من حديث جابر ﷺ السابق.
(٢) رواه مسلم من حديث جابر ﷺ السابق.
(٣) متفق عليه من حديث جرير ﷺ.
(٤) رواه مسلم، والترمذي واللفظ له.

تجـدد آماله في الفـرقة والتـمزيق، فـالعـالم الإسلامي اليـوم تتوزعـه عشـرات القوميات، وتمشي جماهيره تحت عشرات الرايات، وهي قوميات ذات توجهات مقيتة ما جلبت لأهلها إلا الذل والصغار، والفرقة والتمزق.

أمة الإسلام ما أحوج الأمـة إلى مثل هذه الدروس النبوية، أما تتكرر الروح التي سادت حـجة الوداع لكي تتشبع هـذه الكثرة العددية للمسلـمين اليوم بكثافة نوعـية، وطاقات روحـية؟ أمـا يحج المسلمون ليـشهـدوا منافع لهم تمحو فـرقتـهم، وتسوي صفوفهم، وترد مهابتهم.

إن الحج العظيم في معناه الكبيـر يكون فيه الشيطان وأعوانه أصغر وأحقـر فيغيظ أعداء الله ويرجعون خاسئين، ناكصين على أعقابهم مذمومين مدحورين، يغيظ الكفار حين يرون جموع هذه الأمة، وقد استسلمت لربها وأطاعت نبيها واجتمعت كلمتها.

فيـا أيها الناس اعبـدوا ربكم كما أوصى نبـيكم، وأقيمـوا خمسكم، وصـوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ولاة أمركم؛ تدخلوا جنة ربكم.

في ذكر شيء من الفتن (١)

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اعلموا ـ عباد الله ـ أن المسلم يفتن في هذه الدنيا بأنواع من الفتن، يفتن في السراء ويفتن في الضراء، هل يشكر بالأولى وهل يصبر بالثانية؟ يفتن بالغنى والفقر، يفتن بالصحة والمرض، يفتن بالأولاد والعقم!

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾ (سورة العنكبوت:١-٢). قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: فالناس إذا أرسل إليهم الرسل بين أمرين إما أن يقول أحدهم: آمنا، وإما ألا يقول: آمنًا، بل يستمر على عمل السيئات، فمن قال: آمنا امتحنه الرب عزَّ وجلَّ وابتلاه وألبسه الابتلاء والاختبار ليبين الصادق من الكاذب.

وعندما سئل الشافعي ـ رحمه الله ـ فقيل له: يا أبا عبد الله أيهما أفضل للرجل أن يمكن أم يبتلى؟ قال: «لا يمكن حتى يبتلى».

عِبَادَاللَّهِ . . . إن المسلم في هذه الدنيا لابد له من فتنة يبتليه الله بها.

فمنها ما هو كبير ومنها ما هو صغير، ومنها ما يتفجر من داخل الأمة ويثور بين صفوفها بسبب الأهواء التى تؤول بها إلى الفرقة والخصام، ومنها ما يغشاها من خارجها بسبب عدو يستبيح بيضتها ويستذلها، ولعظم هذا الأمر وشدة خطورته فقد أكثر الرسول ﷺ من الكلام فيه، وأطال الحديث عنه، وحذر أمته أشد التحذير.

ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح المرء مؤمنًا ويمسي كافراً، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافراً، يبيع أحدكم دينه بعرض قليل من الدنيا»**[١].

فأخبرنا النبي ﷺ عن هذه الفتن وفصلها تفصيلاً دقيقًا، وبين عليه الصلاة والسلام المخرج منها، وأرشد إلى عدم الوقوع فيها عند حلولها وكثرتها، وابتلاء الخلق بها، كما بين الأسباب الداعية إلي الخوض فيها لاجتنابها فمن هذه الأسباب: قلة العلم وكثرة الجهل، وترك الإسلام وارتكاب الذنوب والمعاصي وانتهاك الحرمات.

فعن عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: **«إن بين يدي الساعة أياماً ينزل فيها الجهل، ويرفع العلم، ويكثر الهرج، والهرج: القتل»**[٢].

وتبلغ الفتن مداها حينما يتمنى المسلم الموت على الحياة المليئة بالبلاء، ففي ذلك يخبر الرسول ﷺ في الحديث الذي يرويه عنه أبو هريرة رضي الله عنه بقوله: **«لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني كنت مكانه»**[٣].

---

(١) رواه مسلم والترمذي وأحمد.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخارى ومسلم.

وذلك أن الناس في هذه الحالة تسلب عقولهم وتستحكم فيهم الفتن، ويختلط الصالح بالفاسد حتى لا يدري القاتل في أي شيء قتل، ولا يدري المقتول على أي شيء قتل.

كما ورد في ذلك حديثٌ عنه ﷺ عند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيم قَتَل، ولا المقتول فيم قُتِل»**.

والفتن ـ يا عباد الله ـ نوعان: إما أن تكون شبهات أو تكون شهوات، فالشبهات تأتي عن طريق الاعتقاد والعبادات التي تورث الحيرة والاضطراب، ثم تؤول بصاحبها إلي البدع في الدين والتي تقوده إلى سوء الخاتمة والعياذ بالله.

أما الشهوات فتأتي عن طريق المال والشهرة والجسد وغيرها من الأمور المحسوسة التي يتوصل إليها عن طريق غير شرعي، فالشهوة فتنة وأشد منها ما توجبه تلك الشهوة، أعاذنا الله وإياكم من ورود الشبهات والشهوات.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

عباد الله . . . يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة فإنها إما أن توجب ألمًا وعقوبة، وإما أن تقطع لذة أكمل منها، وإما أن تضيع وقتًا إضاعته حسرة وندامة، وإما أن تثلم عرضًا توفيره أنفع للعبد من ثلمه، وإما أن تذهب مالاً بقاؤه خير له من ذهابه، وإما أن تضع قدرًا أو جاهًا قيامه خير من وضعه، وإما أن تسلب نعمة بقاؤها ألذ وأطيب من قضاء الشهوة، وإما أن تطرق لوضيع إليك طريقًا لم يكن يجدها قبل ذلك، وإما أن تجلب همًا وغمًا وحزنًا وخوفًا لا يقارب لذة الشهوة، وإما أن تنسي علمًا ذكره ألذ من نيل الشهوة، وإما أن

تشمت عدواً أو تحزن وليًا، وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة، وإما أن تحدث عيبًا يبقي صفة لا تزول... فإن الأعمال تورث الصفات والأخلاق»(١).

عِبَادَ اللَّهِ ... ولما كانت الفتن ترجع كلها إلى فتنة الشبهات المعارضة للعقيدة والشهوات المعارضة للإرادة، فالناس في ذلك قسمان:

القسم الأول: هو من كان إيمانه يثبت عند ورود الشبهات ولا يتزلزل ويدفعها بما معه من الحق، وعند ورود الشوات الموجبة والداعية إلي المعاصي والذنوب أو الصارفة عما أمر الله به ورسوله يعمل بمقتضى الإيمان ويجاهد شهوته، فدل ذلك على صدق إيمانه وصحته.

والقسم الثاني: هو من كانت الشبهات تؤثر في قلبه شكًا وريبة وعند اعتراض الشهوات تصرفه إلى المعاصي أو تصرفه عن الواجبات، فدل ذلك على ضعف إيمانه، والناس في هذا المقام درجات لا يحصيها إلا الله فمستقل ومستكثر، نسأل الله السلامة وحسن الختام.

ويفتن المسلم ويمتحن بالمال، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ (سورة التوبة: ٧٥-٧٦).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة التغابن: ١٥). نعم يفتن الإنسان بماله فيقول كما قال قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ (سورة القصص: ٧٨).

فبالغ به الشح مبلغه حتى بخل بالزكاة وآخر باذل للزكاة كريم في الصدقات مقتد بعثمان رضي الله عنه الذي قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: «ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم»(٢).

---

(١) (الفوائد) لابن القيم.

(٢) رواه الترمذي وأحمد (٣/٢٠٩) رقم (٢٩٢٠)، وانظر: «المشكاة» (٦٠٦٥).

ويفتن المسلم بالجاه فـربما طلبه ولو ضـر بدينه، والله يقول: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (سورة الكهف: ٢٨).

وعن خطورة الفتنتين السابقتين، قال ﷺ: **«ما ذئبان جائعان ارسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»**[١].

والمعنى أن حرص المرء على المال والشرف أشد فـساداً للدين من الذئبين الجائعين إذا أرسلا في غنم.

ويفتن المسلم ويمتـحن بالزوجة والأولاد، قـال تعالى: ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ (سورة التغابن: ١٤).

وقال ﷺ: **«الولد مجبنة مبخلة محزنة»**[٢].

إي وربي يمتـحن المسلم بـزوجه وأولاده هـل يأمـرهم بطاعـة الله؟ هل يسـعى لوقايـتهم من النار؟ هل يأمـرهم بالصلاة في أوقـاتها ويهـيئ لهم الجلساء الـصالحين ويكون عوناً لهم في البيت على طاعة الله ويخـرج من بيته آلات اللهو التي تصد عن ذكر الله وعن الصلاة والتي تسعى جادة لإزالة الحياء من قلوب شباب وفتيات الإسلام حتى تغرس الرذيلة بدل الفضيلة.

وصدق رسول الله ﷺ: **«إذا لم تستح فاصنع ما شئت»**[٣].

وقال رسول الله ﷺ: **«والحياء شعبة من الإيمان»**[٤].

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٩٨)، «صحيح الجامع» (٥٦٢٠)

(٢) «صحيح الجامع» (٢/ ١٢٠٢) رقم (١٧٦٠).

(٣) رواه البخاري.

(٤) متفق عليه.

في ذكر شيء من الفتن (٢)

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن ذكر شيء من الفتن نكمل ما تبقى لنا من ذلك الموضوع، نسأل الله جل وعلا أن يجنبنا وإياكم الفتن ما ظهر منها وما بطن إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

عباد الله . . . يمتحن المسلم في هذه الدنيا بزوجه وبناته هل يلزمهن باللباس الشرعي أو يتركهن سدى؟ وقد يقدر لرجل أن يتزوج بامرأة لا تصلي أو يقدر لامرأة أن تتزوج برجل لا يصلي ومن لا يصلي يكفر، فقد صح عن الرسول ﷺ أنه قال: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»[1]. ولاشك أن الرجل أو المرأة

---

(١) «صحيح الجامع» (٢/ ٧٦٠) برقم (٤١٤٣)، و«المشكاة» (٥٧٤).

في هذه الحالة في امتحان صعب، يقول الرجل: كيف أفارق زوجتي ولي منها أولاد؟ وتقول الزوجة: كيف أفارق زوجي ولي منه أولاد؟ وفي هذا الأمر تتصارع العاطفة والدين، وقد أفتى العلماء بأنه لا يجوز للمرأة المسلمة أن تبقى مع رجل لا يصلي، ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، ولك أختي المسلمة أسوة وقدوة بأم حبيبة ﵂، فإنها لما هاجرت إلى الحبشة وتنصر زوجها هناك خيرها بين أن تتنصر أو الطلاق، فاختارت الحفاظ على دينها والطلاق، فتزوجها بعد ذلك رسول الله ﷺ فكانت من أمهات المؤمنين.

ويفتن المسلم ويمتحن من قبل الطغاة، وكلما قوي إيمانه اشتد عذابه، قال الله تعالى: ﴿ **قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾ (سورة البروج: ٤-٨).

وممن عذب وامتحن وفتن فصبر بلال ﵁، وكان أبو جهل يبطحه على وجهه في الشمس ويضع الرحى عليه حتى تصهره الشمس ويقول: اكفر برب محمد، فيقول: أحد أحد، قال مجاهد: أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر وخباب وصهيب وبلال وسمية وعمار، فأما بلال فهانت عليه نفسه في الله عزَّ وجلَّ وهان على قومه فأخذوه فكتفوه ثم جعلوا في عنقه حبلاً من ليف فدفعوه إلى صبيانهم فجعلوا يلعبون به بين أخشبي مكة. فإذا ملوا تركوه.

ولقد امتحن خباب ﵁ امتحانًا شديدًا فصبر، قال الشعبي: إن خبابًا صبر ولم يعط الكفار ما سألوا، فجعلوا يلصقون ظهره بالرضف حتى ذهب لحم متنه.

وكانت مولاته تأخذ الحديد المحماة فتضعها علي رأسه، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: **«اللهم انصر خبابًا»**، فاشتكت مولاته أم أنمار رأسها فكانت تعوي مثل الكلاب، فقيل لها اكتوي، فكان خباب يأخذ الحديدة المحماة فيكوي بها رأسها.

قال الشعبي: سأل عمر بن الخطاب خبابًا ﵁ عما لقي من المشركين فقال: يا أمير المؤمنين، انظر إلى ظهري، فنظر فقال: ما رأيت كاليوم ظهر رجل.

أما عمار بن ياسر رضي الله عنه فأخذه المشركون فعذبوه فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه، فلما أتى رسول الله ﷺ قال: **«ما وراءك»، قال: شر يا رسول الله، ما تُركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، قال: «كيف تجد قلبك؟»، قال: مطمئنًا بالإيمان، قال: «فإن عادوا لك فعد لهم»** [١].

ومر رسول الله ﷺ بعمار وأمه وأبيه وهم يعذبون بالأبطح في رمضاء مكة، فقال: **«صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة»** [٢].

عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: أكان المشركون يبلغون من المسلمين في العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ فقال: نعم والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوي جالسًا من شدة الضر الذي به حتى إنه ليعطيهم ما سألوه من الفتنة وحتى يقولوا له: اللات والعزى إلهك من دون الله فيقول: نعم، وحتى إن الجعل ليمر بهم فيقولون له: هذا الجعل إلهك من دون الله فيقول: نعم افتداء لما يبلغون من جهده.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي يبتلي عباده ويمحصهم بحسب صلتهم به وقربهم إليه، الحمد لله الذي وصف عباده الصابرين بالصدق فقال: ﴿ الٓمٓ ① أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ② وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (سورة العنكبوت:١-٣). وأصلي وأسلم على نبي الأمة محمد بن عبد الله سيد الصابرين وإمام الشاكرين وعلى آله وصحابته أجمعين. أما بعد:

---

(١) رواه الحاكم (٣/ ٣٥٧)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) رواه الطبراني والحاكم وصححه ووافقه الذهبي والألباني.

عِبَادَ اللهِ . . . ومن الفتن ما يحصل في القبر، فعن عائشة ﵂ قالت: دخلت عليَّ عجوزان من عجز يهود المدينة، فقالتا: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم. فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا، ودخل عليَّ رسول الله ﷺ فقلت له: **يا رسول الله، إن عجوزين من عجز يهود دخلتا عليَّ، فزعمتا: أن أهل القبور يعذبون في قبورهم، فقال: «صدقتا، إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم كلها»، فما رأيته بعد صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر**[١].

ولعظم هذا الأمر فقد كان الرسول ﷺ يعلمه لأصحابه، وخطب فيهم مرة به ففي صحيح البخاري عن أسماء بنت أبي بكر الصديق ﵄ قالت: قام رسول الله ﷺ خطيبًا فذكر فتنة القبر التي يفتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة. رواه البخاري والنسائي وزاد النسائي: حالت بيني وبين أن أفهم كلام رسول الله ﷺ فلما سكنت ضجتهم قلت لرجل قريب مني: أي بارك الله لك ماذا قال رسول الله ﷺ آخر قوله، قال: **«قد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور قريباً من فتنة الدجال»**.

ولما كانت فتنة القبر وعذابه من الأهوال العظام والكربات الشداد وجب الاستعاذة منها كما كان يفعل نبينا ﷺ، ويأمر أصحابه بذلك بعد التشهد أن يقولوا: **«اللهم إنيّ أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيخ الدجال»**[٢].

والموت أعظم واعظ والقبر أول منازل الآخرة ويكون المرء فيه في حياة برزخية، قال القرطبي في وصف الموت: «اعلم أن الموت هو الخطب الأفظع والأمر الأشنع والكأس التي طعمها أكره وأشبع وأنه الأهدم للذات، والأقطع للراحات، والأجلب للكريهات، وقد من الله على قوم بأن عصمهم من فتنة القبر ومنهم الشهيد، والذي مات مرابطًا، والذي يموت يوم الجمعة، والذي يموت بداء البطن»، ووردت بذلك الأحاديث الصحاح والحسان.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري، ومسلم عن أبي هريرة ﵁.

نسأل الله أن يعصمنا من فتنة القبر ومن كل فتنة.

عن شداد بن سعد عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**»[1]. عن فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ قال: «**كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطًا في سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر**»[2]. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر**»[3]. وعن عبد الله بن يسار قال: كنت جالسًا وسليمان بن صرد وخالد بن عرفطة، فذكروا أن رجلاً توفي، مات ببطنه فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهدا جنازته، فقال أحدهما للآخر: ألم يقل رسول الله ﷺ: «**من يقتله بطنه فلن يعذب في قبره**»، فقال الآخر: بلى، وفي رواية: «**صدقت**»[4].

عِبَادَ اللَّهِ . . . بقي أن نعلم بالذي يعصمنا من الفتن بحول الله وقوته وهي كالآتي:

أولاً ـ تقوية الإيمان في النفوس والعمل على زيادته. **ثانيًا** ـ التسلح بالعلم النافع وكثرة الذكر والمداومة عليه. **ثالثًا** ـ المبادرة إلى الأعمال الصالحة. **رابعًا** ـ معرفة سبيل المؤمنين واتباعه ومعرفة سبيل المجرمين واجتنابه. **خامسًا** ـ الاعتصام بالكتاب والسنة. **سادسًا** ـ الإخلاص في ذلك. **سابعًا** ـ التعاون على البر والتقوى. **ثامنًا** ـ نبذ الفرقة والاختلاف. **تاسعًا** ـ شكر النعم بالقول والفعل والتعوذ من الفتن. **عاشرًا** ـ محاربة الأهواء والبدع واتقاء الشبهات. **الحادي عشر** ـ مدافعة الشهوات والحذر الشديد منها والبعد عن مواطنها. **الثاني عشر** ـ مصاحبة الأخيار وترك الأشرار.

---

(١) رواه النسائي، وقال الألباني: إسناده صحيح.

(٢) رواه الترمذي، وأبو داود، وصححه الألباني.

(٣) رواه أحمد، والترمذي، وقال الألباني: حسن أو صحيح.

(٤) رواه النسائي، والترمذي، وصححه الألباني.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اتقوا الله تعالى بفعل أوامره واجتناب نواهيه، واعلموا أن مما أمر الله تعالى به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٤). وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اكتسبت هذه الأمة الخيرية، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ (سورة آل عمران: ١١٠). والحاجة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرورية وباقية ما بقيت الحاجة إلى الحياة نفسها وأمنها وعافيتها وبتركه تفشو المنكرات وتتكدر الحياة وتحل العقوبات.

إخواني . . . إن للمسلم حقوقًا على أخيه المسلم، منها: أن يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (سورة التوبة: ٧١). وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه..**»[١].

ومعنى «**لا يسلمه**» أي لا يتركه واقعًا في الإثم ويتخلى عنه، ويقول: ما لي وله فهذه الكلمة غريبة، ودخيلة على المجتمع المسلم يردها هذا الحديث، فحق الموالاة والأخوة والنصرة يوجب على المسلم أن ينصح لأخيه ويتدخل فيما يعينه وينفعه فيقوم عوجه، فذلك أرقى درجات الإيمان.

عباد الله . . . إن أجر الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عظيم وهو من المجاهدين، فعن عليٍّ رضي الله عنه قال: «**للجهاد اربع شعب: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن، وشنآن الفاسقين**».

فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافقين، ومن صدق في المواطن قضى الذي عليه وأحرز دينه ومن شنأ الفاسقين غضب لله، ومن غضب لله يغضب الله له، والناس في هذه الحياة أصناف، فمنهم صنف ضال لا خير فيه وهو شر على غيره، ومنهم صنف صالح في ذاته لكن لا خير فيه لغيره، ومنهم صنف صالح في ذاته وفيه خير وإصلاح لغيره، ومنهم صنف سلبي لا خير فيه ولا شر منه.

ولاشك أن أكمل الناس نفسًا وأرفعهم درجةً هو الذي صلح في ذاته، ثم امتد بالإصلاح إلى الآخرين، وهؤلاء هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، المتبرعون بفعل الخير المتطوعون لإنقاذ الناس، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة فصلت: ٣٣).

---

(١) رواه البخاري (٢٢٦٢). ومسلم (٤٦٧٧).

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن عاقبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حميدة؛ فإذا أمر بالمعروف ونهي عن المنكر صلحت الأحوال وكثرت البركات وأصبح المجتمع مجتمعًا خيرًا متآلفًا مطمئنًا يهابه الأعداء، وأصبحت المعاصي مستغربة فيه، وإذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فشت المعاصي والمنكرات حتى يألفها الناس، ينشأ عليها الصغير ويهرم عليها الكبير.

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن بعض الناس ـ هداهم الله ـ شبوا وشاخوا وليس لهم سهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا تثبيط من الشيطان، والنبي ﷺ مَثَّل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم بالجسد الواحد، فعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ : **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل: الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**[١] .

عِبَادَ اللَّهِ . . . فلنتساءل هل أسدى الواحد منا نصيحة لذلك العضو من جسد الأمة الذي سول له الشيطان فافتتح محلاً لبيع ما حرم الله؟ والنبي ﷺ قال: **«الدين النصيحة»**[٢]. هل بين الواحد منا لأولئك أن عملهم هذا محرم وهو إعانة على الإثم والعدوان؟ هل بين لهم أنه أيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به؟ هل بين له أنه يطعم أولاده الحرام ابتداء من اللبن؟ هل بين له أنه لا ينفق من ماله الذي اكتسبه من الحرام فيبارك له فيه، وأنه إن تصدق لم يقبل منه وأنه إن خلفه كان زاده إلي النار عياذًا بالله؟

إن البعض لم يطرق باب النصيحة، بل إنه بدأ يلوم ويتكلم في أعراض أولئك الناس وهو لم يناصحهم وقد يقول البعض: إني أخشى عدم استجابتهم فيقال له: ما عليك إلا النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهداية القلوب بيد علام

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه مسلم (٥٥)، وأخرجه (٤٩٤٤).

الغيوب، وإذا علم الله صدق النية أعان، ولو لم يكن من النصيحة إلا إقامة الحجة ليهلك من هلك عن بينة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (سورة الأعراف: ١٦٤).

عِبَادَ اللَّهِ . . . وكل مسلم يحب لإخوانه المسلمين العز والسعادة والطمأنينة فعليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، لأن القيام به سبب لذلك، وعاقبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وخيمة.

فإذا سكت الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر، وتركوا أهل المعاصي يسرحون ويمرحون ويعلنون معاصيهم على مشهد من الملأ بحجة أنهم يتصرفون في نصيبهم من سفينة الحياة وهم أحرار فإن العقوبة تعم الصالح والطالح، وقد ضرب النبي ﷺ مثلاً بليغًا، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا»**[1].

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى اله وصحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

عِبَادَ اللَّهِ . . . قسَّم النبي ﷺ المجتمع بالنسبة للمحافظة على هذه الحدود إلى طبقتين:

الأولى ـ طبقة المحافظين عليها والقائمين على حراستها وهم الطبقة العليا الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.

---

(١) رواه البخاري.

الثانية ـ طبقة المنتهكين لها الواقعين فيها وهم الطبقة السفلى أهل المنكر والمعاصي، ثم وضح النبي ﷺ أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حياة المجتمع، فذكر أن الطبقة السفلى شرعت في ارتكاب جريمة إبادة عامة بغباوة وحسن نية، وذلك بأن الطبقة السفلى صعب عليها أن تتسبب في مضايقة العليا بمرورها بها صاعدة نازلة كلما أرادات الماء، فهداها تفكيرها الأخرق إلى أن تخرق مكانها في أسفل السفينة لتستقي منه ولا تؤذي جيرانها، وإن أصغر خرق هنا يساوي أوسع قبر لهذا المجتمع كله، وإن السكوت على هذه الجريمة النكراء جريمة أخرى أشد نكرًا وأعظم خطرًا، وبناءً على هذا يجب على المسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لتنهدم أركان الفساد وتسعد الأمة وتسلم من غضب الله.

عِبَادَاللَّهِ . . . إن بعض الناس يترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بسبب تخويف الشيطان له مما سيحصل له ممن يأمرهم، والله تعالى نبه على ذلك وحذر منه، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٧٥).

ومن ثم ليعلم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أنه قائم بما أرسل به الرسل كما قال تعالى في وصف خاتمهم وسيدهم محمد ﷺ : ﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ (سورة الأعراف: ١٥٧)، وعليه أن يقرأ سيرة الرسل عليهم الصلاة والسلام ليعرف ما أصابهم وهم أكرم الخلق على الله ليهون في نفسه ما يلاقي، ولقد لاقى الرسل والأنبياء من أقوامهم أشد الأذى وأعظمه حتى بلغ ذلك حد القتل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (سورة آل عمران: ٢١). فأول الرسل نوح عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلي عبادة الله ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، فكان أشرافهم يسخرون منه ولكنه صامد في دعوته: ﴿ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا

تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (سورة هود:٣٨-٣٩)، حتى قالوا متحدِّين له: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة هود:٣٢).

وقالوا مُهَدِّدين له: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ (سورة الشعراء:١١٦). أي من المقتولين رجمًا بالحجارة.

وإبراهيم ـ خليل الرحمن وإمام الحنفاء ـ لبث في قومه ما شاء الله يدعوهم إلى عبادة الله ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ (سورة العنكبوت:٢٤)، فما ثنى ذلك من عزمه ولا أوهنه عن دعوته، بل مضى في سبيل دعوته إلى ربه بعزم وثبات وأزال منكرهم بيده، حيث عمد إلى أصنامهم فكسرها حتى جعلها جذاذًا إلا كبيرًا لهم لعلهم إليه يرجعون.

فلما رجعوا إلى أصنامهم وعلموا أن الذي كسرها إبراهيم طلبوا أن يؤتى به ليؤدبوه على أعين الناس فيشهد الناس ما يقول فلم يضعف عن قول كلمة الحق بل قال لهم موبخًا: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (سورة الأنبياء:٦٦-٦٧). فلما سمعوا جوابه ازدادوا غيظًا وعزموا على تنفيذ ما هددوه، ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (سورة الأنبياء:٦٨). فأضرموا نارًا عظيمة وألقوا إبراهيم فيها وهي أشد ما تكون اتقادًا، ولكن الله تعالى ينصر أولياءه فقال للنار: كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم، فكانت بردًا لا حر فيه وسلامًا لا أذى فيه.

وموسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قصَّ الله تعالى علينا خبره وما حصل له مع فرعون المتكبر الجبار، وصبر موسى على ما لاقاه من فرعون وقومه حتى كانت العاقبة له وكانت نتيجة فرعون وقومه ما ذكر الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ (٢٤) كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (سورة الدخان:٢٤-٢٨).

وعيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أوذي من جانب قومه فكذبوه ورموا أمه بالبغاء وعزموا على قتله واجتمعوا عليه، فألقى الله شبهه على رجل فقتلوا ذلك الرجل وصلبوه، وقالوا: ﴿ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ (سورة النساء:١٥٧). فقال تعالى مكذبًا لهم: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (سورة النساء:١٥٧-١٥٨).

وهذا خاتم الرسل وأفضلهم محمد ﷺ لم يسلم من الأذى في سبيل دعوته إلى الله وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فناله من الأذى القولي والفعلي ما لا يصبر عليه إلا من كان مثله ولم يثنه ذلك عن دعوته إلى الله، دعاهم إلى عبادة إله واحد أحد فرد صمد، ﴿ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ (سورة ص:٤-٥)، وكانوا إذا رأوا النبي ﷺ اتخذوه هزوا وقالوا ساخرين به: ﴿ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً (٤١) إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ (سورة الفرقان:٤١-٤٢)، ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ (سورة الحجر:٦)، ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا ﴾ (سورة الفرقان:٨). فآذوا النبي ﷺ بكل ألقاب السوء والسخرية، ولم يقتصروا على ذلك فحسب بل آذوه بالأذى الفعلي فكان أبو لهب وهو عمه وجاره يرمي بالقذر على باب النبي ﷺ فيخرج النبي ﷺ فيزيله، ويقول: **«يا بني عبد مناف أي جوار هذا؟!!»**.

ومما أوذي به النبي ﷺ وضع الجزور على ظهره وبين كتفيه ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءت ابنته فاطمة رضي الله عنها تسعى حتى ألقته عنه فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قال: **«اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، ثم سمى فلانًا وفلانًا»**[1]. ولما اشتد الأذى من قومه خرج إلى الطائف رجاء أن يؤووه ويمنعوه من قومه فلقي منهم أشد ما يلقى من أذى وأغروا به سفهاءهم يرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبيه فخرج منها مغمومًا على وجهه.

---

(١) رواه البخاري (٥٢٠)، ومسلم (١٧٩٤).

القلوب وأمراضها

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وعلمنا القرآن خير الكلام، وجعله نورًا وحياةً للقلوب وشفاءً لما في الصدور، أحمده تعالى على جزيل إنعامه، وأشكره على جزيل إحسانه، وله الحمد على أسمائه الحسنى وصفاته العليا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

اما بعد ... فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اعلموا ـ أيها الأحباب ـ أن من أهم ما ينبغي أن تبذل له الأوقات وتنفق له الجهود والمجهودات هو علاج القلوب والسعي لصحتها وسلامتها من الأمراض والآفات وسائر الذنوب، وذلك لما للقلب من مكانة في الإسلام عظيمة ومنزلة عالية رفيعة فهو محل نظر الرب ومستودع التوحيد والإيمان والإخلاص.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إنَّ الله لا ينظر إلى صُورِكم وأموالِكم، ولكن ينظرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم» (رواه مسلم).

وقال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: الأعمال تتفاضل عند الله بتفاضل ما في القلوب لا بكثرتها وصورها، بل بقوة الداعي، وصدق الفاعل، وإخلاصه وإيثاره الله على نفسه».

وقال شيخ الإسلام: والقلب هو الأصل كما قال أبو هريرة: «القلب ملك الأعضاء والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده».

وكما في حديث النعمان بن بشير المتفق عليه أن النبي ﷺ قال: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»[1] (متفق عليه).

فصلاحه وفساده يستلزم صلاح الجسد وفساده فيكون هذا مما أبداه لا مما أخفاه (يعني: أن صلاح القلب يستلزم قيام الجوارح بطاعة الله).

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ: «وخص القلب بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية، وبفساده تفسد، وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب والحث على صلاحه والإشارة إلى أن لطيب الكسب أثرًا فيه والمراد المتعلق به من الفهم الذي ركب فيه».

واعلموا ـ رحمكم الله ـ أن القلوب ثلاثة: قلب سليم، وقلب ميت، وقلب مريض.

■ **والقلب السليم:** هو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (سورة الشعراء: ٨٧-٨٩).

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: أي: سالم من الدنس والشرك. وقال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ: القلب السليم هو الذي سلم أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى إرادة ومحبة وتوكلاً وإنابة وإخباتًا وخشيةً ورجاءً، وخلص عمله لله، فإن أحب أحب في الله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطى أعطى لله، وإن منع منع لله، ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم

لكل من عدا رسول الله ﷺ، والقلب السليم أيضًا هو الذي سلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرئاسة، فسلم من كل آفة تبعده من الله، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله، فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا، وفي جنة البرزخ، وفي جنة يوم المعاد. ولا تتم له سلامته مطلقًا حتى يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى يناقض التجرد والإخلاص.

واعلموا أيها الإخوان أن لسلامة القلب وصحته آثارًا حميدة وفوائد جليلة ومنها:

راحة البال وطمأنينة النفس واجتماع القلب: قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الزمر: ٢٩).

قال ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ: وقد جعل الحياة الطيبة لأهل معرفته ومحبته فقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة النحل:٩٧). ونظير هذا قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ (سورة النحل: ٣٠). ففاز المتقون المحسنون بنعيم الدنيا والآخرة وحصلوا على الحياة الطيبة في الدارين؛ فإن طيب النفس وسرور القلب وفرحه ولذته وابتهاجه وطمأنينته وانشراحه ونوره وسعته وعافيته حاصل بترك الشهوات المحرمة والشبهات الباطلة ـ الذي هو أساس سلامة القلب ـ وهو النعيم على الحقيقة ولا نسبة لنعيم البدن إليه.

الخطبة الثانية:

الحمد لله جاعل القلوب ملوك الأعضاء إن صلحت صلحت الأعضاء، وإن هي فسدت فسدت الأعضاء، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره ونسأله أن يجعل قلوبنا منقادة لمراضيه جل وعلا، وأصلي وأسلم على محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، أما بعد:

اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن صاحب القلب السليم في نعيم مقيم في العاجل والآجل، ولقد كان يقول القائل من سلف هذه الأمة ممن ذاق بعض هذه اللذة: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن عليه لجالدونا عليه بالسيوف.

ولا تظن أن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ (سورة الانفطار:١٣-١٤). مختص بيوم المعاد فقط، بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلاثة وهؤلاء في جحيم في دورهم الثلاثة. وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من برد القلب وسلامة الصدر ومعرفة الرب تبارك وتعالى والعمل على موافقته وهل العيش في الحقيقة إلا عيش القلب السليم؟!

ومن فوائد سلامة القلب وصحته استنارته وانشراحه: قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (سورة النور: ٣٥) .

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: قال أُبي بن كعب: مثل نوره في قلب المسلم، وهذا هو النور الذي أودعه الله في قلب عبده من معرفته ومحبته والإيمان به وذكره، وهو نوره الذي أنزله إليهم فأحياهم به وجعلهم يمشون به بين الناس وأصله في قلوبهم.

وإذا استنار القلب أقبلت وفود الخيرات إليه من كل ناحية، كما أنه إذا أظلم أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان، فما شئت من بدع وضلالة واتباع هوى واجتناب هدى وإعراض عن أسباب السعادة واشتغال بأسباب الشقاوة، فإن ذلك إنما يكشفه له النور الذي في القلب، فإذا نفذ ذلك النور بقي صاحبه كالأعمى الذي يجوس في حنادس الظلام.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «وأصل صلاح القلب حياته واستنارته»، قال الله تعالى: ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن

مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ (سورة الأنعام: ١٢٢). وفي الدعاء المأثور: «**اجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا**».

ومن فوائد سلامة القلب وصحته التفريق بين الحق والباطل ورؤية الآيات والاتعاظ بالأحداث، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة الحديد: ٢٨).

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ عند قوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾ يعني: علمًا وهدى تفرقون به بين الحق والباطل.

وقال جمال الدين القاسمي ـ رحمه الله ـ: «والنور هو ما يبصر من عمى الجهالة والضلالة ويكشف الحق لقاصده».

وقد جرت سنة الله تعالى بأن لا يتعظ بالعلم ولا يتأثر به تأثرًا يبعث على العمل إلا أصحاب العقول السليمة من الشوائب والقلوب السليمة من المعايب.

عِبَادَ اللَّهِ . . . اعلموا أن لسلامة القلب علامات ودلالات تبين مدى صحته وسلامته وعافيته بحسب تحققها فيه ومنها: الاستسلام التام لله والانقياد لأمره وحكمه والتحكيم لرسوله ﷺ في كل شيء، مع الرضا بذلك وانشراح الصدر وانتفاء الضيق والحرج. ومن علامات صحة القلب: إتقان العمل مع الشعور بالتقصير واستعظام الذنوب والخوف من زيغ القلوب ومن الوقوف بين يدي علام الغيوب، وقد وصف الله المؤمنين بما يدل على ذلك فقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (سورة السجدة: ١٦). وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ (سورة المؤمنون: ٥٧-٦١).

القلوب وأمراضها (٢)

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وعلمنا القرآن خير الكلام، وجعله نورًا وحياةً للقلوب وشفاءً لما في الصدور، أحمده تعالى على جزيل إنعامه، وأشكره على جزيل إحسانه، وله الحمد على أسمائه الحسنى وصفاته العليا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ **أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: «لا، يا بنت أبي بكر - أو لا، يا بنت الصديق - ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق، وهو يخاف أن لا يقبل منه»**[١].

(١) رواه أحمد في «المسند»، وصححه الألباني.

قال البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه: باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر، قال إبراهيم التيمي: ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذِّبًا، وقال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل.

وعن أنس رضي الله عنه قال: **«إنكم لتعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر، إن كنا لنعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات»**[1].

ومن علامات صحة القلب: اطمئنان القلب والخشوع عند قراءة القرآن والتأثر به والتخلق بأخلاقه، قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ (سورة الرعد:٢٨).

قال الشوكاني ـ رحمة الله ـ: قوله ﴿ **وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم** ﴾ أي: تسكن وتستأنس بذكر الله سبحانه بألسنتهم: كتلاوة القرآن والتسبيح والتحميد والتكبير والتوحيد أو بسماع ذلك من غيرهم.

ومن علامات صحة القلب: الصبر على الضراء والشكر على السراء، وذلك لأن صاحب القلب السليم يعلم أن اختيار الله له خير من اختياره لنفسه.

قال ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ: ومن علامات صحته أيضًا أن يرتحل عن الدنيا حتى ينزل بالآخرة ويحل فيها حتى يبقى كأنه من أهلها وأبنائها، جاء إلى هذه الدار غريبًا يأخذ منها حاجته ويعود إلى وطنه، كما قال ﷺ لعبد الله بن عمر: **«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»**[2].

ومن علامات صحة القلب: أن لا يفتر عن ذكر ربه ولا يأنس بغيره إلا بمن يدله عليه ويذكر به ويذاكره بهذا الأمر.

---

(١) رواه البخاري، «فتح الباري» (١١/٣٢٩).

(٢) رواه البخاري.

ومن علامات صحته: أنه إذا دخل في الصلاة ذهب عنه همه وغمه في الدنيا واشتد عليه خروجه منها ووجد فيها راحته ونعيمه وقرة عينه وسرور قلبه.

ومن علامات صحته: أن يكون همه واحدًا وأن يكون في الله.

ومن علامات صحته: أن يكون أشح بوقته أن يذهب ضائعًا من أشد الناس شحًا بماله.

ومنها: أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أعظم منه بالعمل، فيحرص على الإخلاص فيه والنصيحة والمتابعة والإحسان، ويشهد مع ذلك منة الله عليه فيه، وتقصيره في حق الله.

وبالجملة: فالقلب الصحيح هو الذي همه كله في الله، وحبه كله له وقصده له وبدنه وأعماله له ونومه له، ويقظته له وحديثه والحديث عنه أشهى إليه من كل حديث، وأفكاره تحوم على مراضيه ومحابه.

■ **والقلب الثاني - هو القلب الميت:** وهو الذي لا حياة به، فهو لا يعرف ربه ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته ولو كان فيها سخط ربه وغضبه فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظِّه رضي ربه أم سخط، فهو متعبد لغير الله حبًا وخوفًا ورجاءً وسخطًا وتعظيمًا وذلاً، إن أحب أحبَّ لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وإن منع منع لهواه، فهواه آثر عنده وأحب إليه من رضا مولاه.

فالهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سائقه، والغفلة مركبه، لا يستجيب للناصح، ويتبع كل شيطان مريد، الدنيا تسخطه وترضيه والهوى يصمه عما سوى الباطل ويعميه، قال أحد الصالحين: يا عجبًا من الناس يبكون على من مات جسده ولا يبكون على من مات قلبه وهو أشد.

فمخالطة صاحب هذا القلب سقم، ومعاشرته سم ومجالسته هلاك.

■ **والقلب الثالث ـ هو القلب المريض:** وهو قلب له حياة وبه علة، فله مادتان: تمده هذه مرة وهذه أخرى، وهو لما غلب منهما، ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له والتوكل عليه ما هو مادة حياته، وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها والعجب وحب العلو والفساد في الأرض بالرياسة ما هو مادة هلاكه وعطبه.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه والتابعين، من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن مرض القلب: ومرض القلب نوع فساد يحصل له، يفسد به تصوره وإرادته، فتصوره يفسد بالشبهات التي تعرض له حتى لا يرى الحق أو يراه على خلاف ما هو عليه.

وتفسد إرادته بحيث يبغض الحق النافع ويحب الباطل الضار، فلهذا يفسر المرض تارة بالشك والريب كما فسر مجاهد وقتادة قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ (سورة البقرة: ١٠) أي: شك، وتارة يفسر بشهوة الزنا كما فسر به قوله تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ (سورة الاحزاب: ٣٢) أي: مرض الشهوة.

ومن علامات مرض القلب: أن يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لأجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى، وإيثار ذلك على كل شهوة.

ومنها: أيضًا أن مريض القلب لا تؤلمه جراحات القبائح ولا يوجعه جهله بالحق وعقائده، فإن القلب إذا كان فيه حياة تألم بورود القبيح عليه، وتألم بجهله بالحق بحسب حياته.

وقد يمرض القلب ويشتد مرضه ولا يشعر به صاحبه لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها بل قد يموت وصاحبه لا يشعر بموته، وقد يشعر بمرضه ولكن يشتد عليه تحمل مرارة الدواء والصبر عليها فيؤثر بقاء ألمه على مشقة الدواء، فإن دواءه في مخالفة الهوى وذلك أصعب شيء على النفس وليس له أنفع منه.

عبد الله . . . اعلم أن القلب بأصل فطرته قابل للهدي، وبما وضع فيه من الشهوة والهوى مائل عن ذلك، والتطارد فيه بين جندي الملائكة والشياطين دائم إلى أن ينفتح لأحدهما فيتمكن ويستوطن، ويكون اجتياز الثاني اختلاسًا كما قال تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ (سورة الناس: ٣). وهو الذي إذا ذكر الله تعالى خنس وإذا وقعت الغفلة انبسط، ولا يطرد جند الشياطين من القلب إلا إذا ذكر الله تعالى، فإنه لا قرار له مع الذكر.

واعلموا - يا عباد الله - أن أكثر القلوب قد فتحها جنود الشياطين وتملكتها فامتلأت بالوساوس الداعية إلى إيثار العاجلة وإطراح الآخرة، ومبدأ استيلائها اتباع الشهوات والهوى.

ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخلية القلب عن قوت الشيطان - وهو الهوى والشهوات - وعمارته بذكر الله تعالى.

قال جابر بن عبيدة العدوي: «شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال: إنما مثل ذلك البيت الذي يمر به اللصوص فإن كان فيه شيء عالجوه وإلا مضوا وتركوه»، يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (سورة الإسراء: ٦٥).

إذا أردت - يا عبد الله - شفاء قلبك وعافيتك فعليك بصدق اللجوء والإكثار من النوافل وسكب الدموع والصلاة بالليل والناس هجوع، وداو قلبك أيضًا بملازمة الأذكار، وصحبة الأخيار؛ فإنهم خير معين بعد الله على شفاء القلب السليم،

وسلوك الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (سورة الكهف: ٢٨).

واحرس قلبك ـ أخي المسلم ـ من أن يتسلل إليه الشيطان بشبهة خبيثة أو شهوة محرمة أو آفة مفسدة واحذر الغفلة والغافلين، فإن الغفلة مضادة للعلم منافية له، وقد ذم الله سبحانه أهلها ونهى عن الكون منهم وعن طاعتهم والقبول منهم، قال تعالى: ﴿ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (سورة الأعراف: ٢٠٥). وقال تعالى: ﴿ وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (سورة الكهف: ٢٨).

وسئل بعض العلماء عن عشق الصور فقال: «قلوب غفلت عن ذكر الله فابتلاها الله بعبودية غيره»، فالقلب الغافل مأوى الشيطان فإنه وسواس خناس، قد التقم قلب الغافل يقرأ عليه أنواع الوساوس والخيالات الباطلة، فإذا تذكر العبد وذكر الله انضم الشيطان وخنس وتضاءل لذكر الله فهو دائمًا بين الوسوسة والخنس، دائمًا ـ أيضًا ـ يترقب غفلة العبد فيبذر في قلبه الأماني والشهوات والخيالات الباطلة فيثمر كل حنظل وكل شوك وكل بلاء.

ولايزال يمده بسقيه حتى يغطي القلب ويعميه.

الكبر وأضراره

الخطبة الأولى:

الحمد لله الكبير المتعال، أحمده سبحانه له العزة الكاملة، والجبروت والكبرياء والجلال، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له عنت الوجوه، وخضع له كل شيء، ﴿ إن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً ﴾ (سورة مريم:٩٣). وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أول مصدق ومنقاد، لما أنزل الله عليه، ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة الحجر:٨٨). صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، الذين هم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، وعلى كل من اقتفى آثارهم واتصف بصفاتهم إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيراً.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب:٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن الكبر وأضراره، قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة القصص:٨٣)، في هذه الآية أخبر الله سبحانه وتعالى: أن الدار الآخرة التي أخبر بها في كتبه وأخبرت بها رسله، التي جمعت كل نعيم، واندفع عنها كل مكدر ومنغص.

﴿ نَجْعَلُهَا ﴾ دارًا وقرارًا، ﴿ لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أي: ليس لهم إرادة، فكيف العمل للعلو في الأرض على عباد الله والتكبر عليهم وعلى الحق، ﴿ وَلا فَسَادًا ﴾ وهذا شامل لجميع المعاصي، فإذا كانوا لا إرادة لهم في العلو في الأرض، ولا الفساد لزم من ذلك أن تكون إرادتهم مصروفة إلى الله، وقصدهم الدار الآخرة، وحالهم التواضع لعباد الله، والانقياد للحق والعمل الصالح، وهؤلاء هم المتقون الذين لهم العاقبة الحسنى، ولهذا قال: ﴿ وَالْعَاقِبَةُ ﴾، أي: حالة الفلاح والنجاح، التي تستقر وتستثمر، لمن اتقى الله، وغيرهم وإن حصل له بعض الظهور والراحة؛ فإنه لا يطول وقته، ويزول عن قريب، وعلم من هذا الحصر في الآية الكريمة أن الذين يريدون العلو في الأرض أو الفساد ليس لهم في الدار الآخرة نصيب ولا لهم منها حظ.

وفي وصية لقمان لابنه كما جاء في سورة لقمان: ﴿ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (سورة لقمان:١٨-١٩)، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ (سورة لقمان:١٨) . أي: لا تمله وتعبس بوجهك للناس، تكبرًا عليهم وتعاظمًا. ﴿ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا ﴾، أي: بطرًا، فخور بالنعم، ناسيًا المنعم، معجبًا بنفسك ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾، في نفسه وهيئته وتعاظمه ﴿ فَخُورٍ ﴾ بقوله: ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ أي: امش متواضعًا مستكينًا، لا مشي البطر والتكبر ولا مشي التماوت، ﴿ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾ أدبًا مع الناس ومع الله، ﴿ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ أي: أفظعها وأبشعها، وقال تعالى: في سورة الإسراء: ﴿ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴾ (سورة الإسراء:٣٧) أي: لا تمش كبرًا وتيهًا وبطرًا، متكبرًا على الحق ومتعاظمًا في تكبرك على الخالق، إنك في فعلك ذلك ﴿ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴾ بل تكون حقيرًا عند الله ومحتقرًا عند الخلق، مبغوضًا ممقوتًا محتقرًا قد اكتسبت شر الأخلاق، واكتسبت بأرذلها من غير إدراك لبعض ما تروم.

والكبر ـ يا عباد الله ـ هو الحالة التي يختص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره. وأعظم من ذلك أن يتكبر على ربه بأن يمتنع من قبول الحق والإذعان له بالتوحيد والطاعة، وقد قال رسول الله ﷺ قال الله عزَّ وجلَّ: «العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني فيهما عذبته»[1].

هذا من الأحاديث القدسية التي تتعلق بصفات الله عزَّ وجلَّ تمر كما جاءت عن النبي ﷺ ولا يتعرض لمعناها بتحريف أو تكييف، وإنما يقال: هكذا قال الله تعالى فيما رواه النبي ﷺ عنه، فمن نازع الله في عزته وأراد أن يتخذ سلطانًا كسلطان الله، أو نازع الله في كبريائه وتكبر على عباد الله، فإن الله يعذبه، يعذبه على ما صنع ونازع الله تعالى فيما يختص به، وقال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه، يختال في مشيته، إذ خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»[2].

هذا الرجل المذكور في هذا الحديث عنده من الخيلاء والكبرياء والغطرسة ما عنده إذ خسف الله به الأرض وانهارت به الأرض وانغمس فيها ودفن، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة؛ لأنه ـ والعياذ بالله ـ لما صار عنده هذا الكبرياء وهذا التيه وهذا الإعجاب خسف به، وهذا نظير قارون وهذا نظير قارون فإن قارون خرج على قومه في زينته: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ (سورة القصص: ٧٩-٨١).

وقوله: «يتجلجل في الأرض» يحتمل أنه يتجلجل وهو حي حياة دنيوية، فيبقى هكذا معذبًا إلى يوم القيامة معذبًا وهو في جوف الأرض وهو حي، فيتعذب كما يتعذب الأحياء، ويحتمل أنه لما اندفن مات، كما هي سنة الله عزَّ وجلَّ مات ولكن

(١) رواه مسلم.
(٢) متفق عليه.

مع ذلك يتجلجل في الأرض وهو ميت، فيكون تجلجله هذا تجلجلاً برزخيًا لا تعلم كيفيته - والله أعلم - المهم أن هذا جزاؤه - والعياذ بالله - وفي هذا وما قبله وما يأتي بعده دليلٌ على تحريم الكبر وتحريم الإعجاب بالنفس، وأن الإنسان يجب أن يعرف قدر نفسه وينزلها منازلها.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا فقال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق وغمط الناس»** [1].

الظاهر فى معنى هذا الحديث هو ما اختاره القاضي عياض وغيره من المحققين أنه لا يدخل الجنة دون مجازاة إن جازاه، وقيل: هذا جزاؤه لو جازاه وقد يتكرم بأنه لا يجازيه بل لابد أن يدخل كل الموحدين الجنة إما أولاً وإما ثانيًا بعد تعذيب أصحاب الكبائر الذين ماتوا مصرين عليها، وقيل: لا يدخلها مع المتقين أول وهلة، وقال الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي في شرح هذا الحديث في (بهجة قلوب الأبرار): قد أخبر الله تعالى أن النار مثوى المتكبرين، وفي هذا الحديث: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»** فدل على أن الكبر موجب لدخول النار ومانع من دخول الجنة، وبهذا التفسير الجامع الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم يتضح هذا المعنى غاية الاتضاح، فإنه جعل الكبر نوعين:

كبر النوع الأول على الحق: وهو رده وعدم قبوله، فكل من رد الحق فإنه مستكبر عنه بحسب ما رد من الحق، وذلك أنه فرض على العباد أن يخضعوا للحق الذي أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه، فالمتكبرون على الانقياد للرسل بالكلية كفار مخلدون في النار فإنه جاءهم الحق على أيدي الرسل مؤيدًا بالآيات والبراهين فقام

---

(١) رواه مسلم.

الكبر في قلوبهم مانعًا فردوه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ (سورة غافر: ٥٦).

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي جعل العـزة لمن أطاعه والذلة لمن عصاه، نحمده سـبحانه وتعالى حمدًا يليق بجلاله وعظمته. أما بعد:

عباد الله . . . أمـا المتكبـرون عن الانقـيـاد لبـعض الحق الذي يخـالف رأيهم وهواهم، فهم وإن لم يكونوا كفارًا فإن معهم من موجـبات العقاب بحسب ما معهم من الكبر، وما تأثـروا به من الامتناع عن قبول الحق الذي تبين لهم بعـد مجئ الشرع به، ولهذا أجمع العـلماء أن من استبانت له سنة رسـول الله ﷺ لم يحل له أن يعدل عنها لقول أحد كائنًا من الناس من كان، فيـجب على كل مسلم أن يعزم عزمًا جازمًا على تقديم قول الله وقول رسوله ﷺ على قول كل أحد وأن يكون أصله الذي يرجع إليه، وأساسه الذي يبني عـليه: الاهتداء بهدي النبي ﷺ والاجتهاد في مـعرفة مراده واتباعه في ذلك ظاهرًا وباطناً.

وأما الكبر على الخلق وهو النوع الثاني: فهو غمطهم واحتقارهم، وذلك ناشئ عن عجب الإنسان بنفسه وتعاظمه عليهم، فالعجب بالنفس يحمل على التكبر على الخلق واحتقارهم والاستهزاء بهم وتنقـيصهم بقوله وفعله، وقال رسول الله ﷺ: **«إن الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا»**[(١)]. وخشي أن يكون هذا من الكبر الذي جاء فيه الوعـيد، بين له النـبي ﷺ أن هذا ليس من الكبـر، إذا كان صـاحبـه منقـادًا للحق متواضعـًا للخلق، وأنه من الجمال الذي يحبـه الله فإنه تعالى جميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله يحب الجمال الظاهري والجمال الباطني، فالجمال الظاهر كالنظافة في

---

(١) رواه مسلم (١٣١)، وأخرجه أبو داود (٤٠٩١)، والترمذي (١٩٩٩).

الجسد والملبس والمسكن وتوابع ذلك، والجمال الباطن التجمل بمعالي الأخلاق ومحاسنها، ولهذا كان من دعاء النبي ﷺ : **«اللهم اهدني لأحسن الأعمال والأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيء الأعمال والأخلاق، لا يصرف عني سيئها إلا أنت»**[(١)] .

عِبَادَ اللَّهِ . . . المتكبر على خطر عظيم، لأن التكبر يورث الموبقات ويورد صاحبه الهلكات، فالكبر كثيرًا ما يوقع صاحبه في العصيان والإصرار عليه، ويحول بينه وبين التوبة والاستغفار، وربما أوصله الكبر إلى الكفر والطغيان، ألم يكن الكبر سبب معصية إبليس؟ حين أمره ربه بالسجود، فاستكبر وكان من الكافرين، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (سورة البقرة: ٣٤).

لقد أمر الله سبحانه وتعالى إبليس بالسجود لآدم قبل أن يوجد في الدنيا سيئة فأعجب إبليس بعنصره الذي هو النار ومنعه إعجابه بنفسه وكبره من السجود فحقت عليه لعنة الله تترى إلى يوم القيامة.

فاتقوا الله ـ يا قوم ـ واحذروا أن تعجبوا بطيب عنصر أو عراقة أصل، أو بعلم أو عقل، أو سمع أو بصر، أو قوة أو مال أو جمال، فإبليس لعنه الله ذو علم ومعرفة، ولما أعجب بنفسه واستكبر وأصبح قائد من تبعه إلى النار ـ ولا غرو والله ـ فما خالط الإعجاب نفسًا عالمةً إلا وأضاع علمها وحال بينها وبين فهم الحق ومعالم الهدى، يقول سبحانه: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (سورة الأعراف: ١٤٦). وكفى من أعجبوا وتكبروا إثمًا وشرًا أن إمامهم وقائدهم في ذلك إبليس ـ لعنه الله ـ وفرعون وقارون وأمثالهم، وأن مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قوم حري أن يحشر معهم وحري أن يعذب بمثل ما عذبوا به، نعم والله حري بذلك.

---

(١) مختصر مسلم (١٧٨٠)، وانظر: «صحيح الجامع» (٢/ ٩٨٤) برقم (٥٦٢٨)، و«الإرواء» (٨٩١).

احذروا ـ أيها المسلمون ـ الإعـجاب والتكبر فإنه لوخيم العاقـبة شديد النكاية، ما دب في مجتمع إلا وأضـاعه، ولا في قوة إلا وحالفها الذل والفـشل، حتى ولو كانت مسلمة مـصلية مزكيـة صائمة فأصـحاب رسول الله ﷺ لما أعجبـوا بكثرتهم يوم حنين ابتلوا بالهزيمة والـفشل، ولم تنفعـهم كثرتهم، يقـول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ (سورة التوبة: ٢٥).

عِبَادَ اللَّهِ . . . اجتنبوا التعاظم والكبر والإعجاب؛ إن ذلكم ليس لمخلوق ضعيف مفتقر إلي غيره في جميع أحواله، إنما هو لمن فطر السموات والأرض، وجميع الخلق مفتـقرون إليه سبحانه، واحـذروا ـ يا عباد الله ـ أن تردوا حقًا أو أن تغـمطوا مسلمًا فتقعـوا في الكبر، واحذروا أن تنظروا إلى أنفسكم نظرة إكبـار وتعاظم وكمال، وإلى غيركم نظرة ازدراء واحتقار، يقول ﷺ: **«إن الله اوحى إلي ان تواضعوا؛ حتى لا يبغي احد على احد»**[(١)]، ويقول: **«ما تواضع احد لله إلا رفعه»**[(٢)]. ومن طلب العزة ـ يا عباد الله ـ فليطلبهـا من الله بالاجتهـاد في طاعتـه والابتـعاد عن معصـيته؛ فـقد قال عـمر بن الخطاب رضي الله عنه: **«نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، إن ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله»**.

عن ابن عبـاس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: **«ما من آدمي إلا في راسه حَكَمَةٌ ـ أي لجام ـ بيـد ملك؛ فإذا تواضع قـيل للملك: ارفع حَكَمَتَـه وإذا تكبـر قـيل للملك: ضع حَكَمَتَه»**[(٣)]. أما الخاضعون لجلال الله تعالى المتـواضعون لعباده فإن الله يرفع أقدارهم بين الناس، ويعلي مكانتهم بين العباد، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه»**[(٤)].

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٨).

(٣) رواه الطبـراني والبـزار بنحـوه من حـديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسنادهمـا حـسن، الحـاكم (٢/ ٢٩١)، «الصحيحة» (٥٣٨).

(٤) رواه مسلم، والترمذي.

واعلموا - يا عباد الله - أن الكبر عقوبته في الدنيا شديدة وجزاؤه في الآخرة عظيم، فأما في الدنيا فيطبع الله على قلب المتكبر فلا يصل إليه الخير، ولا يسمع الحق ولا يهتدي بدلائل الهدى ولا يقبل النصح والإرشاد، قال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (سورة غافر:٣٥). ويذله الله تعالى ويهينه لأنه طلب العز بغير الحق والرفعة بغير الطاعة، وفاته أن العز والذل بين الله تعالى يعز من يشاء ويذل من يشاء.

وأما عقوبة المتكبر في الآخرة فهي أكبر وأدوم وأشد وأبقى مما في الدنيا حيث يحشر في صورة مهينة ذليلة يحشر في صورة الذر يطؤه الناس، إذلالاً له جزاء تكبره في الدنيا على عباد الله وترفعه عليهم، قال ﷺ: **«يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطؤهم الناس»**[(١)].

عِبَادَ اللَّهِ . . . إذا جاء المتكبر إلى المحشر لقي ربه وهو عليه غضبان، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول ﷺ يقول: **«من تعظم في نفسه أو اختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان»**[(٢)].

عِبَادَ اللَّهِ . . . من أراد البراءة من الكبر ينبغي أن يخضع لحكم الشرع سواء كان له أو عليه، ويستسلم في خصوماته ومعاملاته لأحكام الإسلام عن رضًى وطواعية وقبول، وينبغي أن يحترم الناس ويُنزلهم منازلهم ولا يحتقرهم ولا يزدريهم.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤١٦)، وقال: حديث حسن، «صحيح الجامع» (٨٠٤٠).
(٢) رواه أحمد (٣٥٨١)، «صحيح الجامع» (٥٧١١).

مكائد الشيطان ومصائده

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، خلق أبانا آدم من طين، وجعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وأكرمه على خلقه أجمعين، أمر ملائكته الكرام بالسجود له إظهارًا لفضله وإشهارًا لأمره، فحسده على ذلك إبليس اللعين، فأبى أن يكون مع الساجدين، فطرده الله من رحمته وأسكن آدم وزوجته جنة النعيم، فبقيا فيها حتى أغواهما إبليس فعصيا رب العالمين: ﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (سورة الأعراف: ٢٤).

أحمده سبحانه وهو للحمد أهل، وأشكره على ما أولى من النعم العظيمة والآلاء الجسيمة، وأسأله أن يجعلنا من عباده المتقين، الذين لا خوف عليهم وهم يحزنون، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن اقتفى أثرهم واهتدى بهداهم إلي يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا . . أما بعد:

عباد الله . . . لقد قص الله تعالى علينا قصة خلق أبينا آدم عليه السلام وتكريم الله له وحسد إبليس وطرده من رحمة الله، وعداوته لآدم وذريته في مواضع من كتابه الكريم فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (سورة الأعراف: ١١). فلقد أبى إبليس أن يسجد لآدم وكان من الكافرين، وقد حمله الحسد والكبر على معصية الله ورفض أمر جبار السموات والأرض فكان مصيره الطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى: ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ (سورة الأعراف: ١٣).

أهبط الله تعالى إبليس ـ لعنه الله ـ، وأسكن آدم وزوجته الجنة ينعمان بما فيها من النعيم والخير العظيم، ولكنه سبحانه وتعالى نهاهما عن الأكل من شجرة مخصوصة في الجنة ابتلاء لهما وامتحانًا قال تعالى: ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة الأعراف:١٩). فصار عدو الله إبليس يحاول جهده أن يغريهما بالأكل من الشجرة، فجاءهما من باب الخوف على زوال ما هما فيه من النعمة، والرغبة في الخلود، صار يقسم لهما إنه لهما ناصح ولا يريد لهما إلا الخير، ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ⦗٢٠⦘ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (سورة الأعراف: ٢٠-٢١). فصدق الأبوان إبليس، ﴿ فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ (سورة طه:١٢١). عصيا أمر الله تعالى وأطاعا الشيطان فناداهما ربهما ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (سورة الأعراف:٢٢). فاعترف الأبوان بخطئهما ولم يصرا على معصيتهما كما أصر إبليس على معصيته، وتابا إلى الله تعالى فتاب عليهما وعفا عنهما وأهبطهما إلى الأرض كما أهبط إبليس من قبل، ولكنه أهبطهما مغفورًا لهما وأهبط إبليس ملعونًا مطرودًا من رحمة الله.

ولقد أقسم عدو الله إبليس أن يضل الناس وأن يخرجهم من رحمة الله إلى غضبه وسخطه، ومن جنته إلى ناره: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ⦗٨٢⦘ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (سورة ص:٨٢-٨٣).

وأخبر الله تعالى عن إبليس أنه قال: ﴿ وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ (سورة النساء:١١٩).

ولقد بين الله تعالى عداوة الشيطان لنا وأمرنا باتخاذه عدوا لأنه يدعو حزبه ليكونوا من أهل النار وبئس المصير، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (سورة فاطر:٦).

فـلا يكفي أن نؤمن بعـداوة الشـيطان لنا إيمانًا نظريًـا، ولكن علينا أن نتـبع هذا الإيمان النظري بخطوة عملية وهـي اتخاذه عدوا، وذلك بعدم طاعته في أمـره ونهيه، فهو إنما يأمـر بالشر وينهى عن الخير، ويسعى جـاهدًا لإضلال من يستطيع من الناس حتى يكونوا معه في العذاب الشديد عياذًا بالله من ذلك.

فالشيطان ـ يا عباد الله ـ عدو لنا ظاهر العداوة كما كان عدوا لأبوينا ويريد إخراجنا من رحمة الله تعالى وإدخالنا في ناره وعذابه، ويحاول ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

ولقد جاء التعقيب القرآني علـى قصة آدم وإبليس في سورة الأعراف محذرًا بني آدم من طاعة الشـيطان، يقول الله تبـارك وتعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة الأعراف:٢٧). فينادي الله تـعالى الناس مذكرًا لهم بـأنهم بنوا آدم الذي أخرجه إبليس من الجنة ومحـذرًا من أن يطيعوا الشيطان فيفتنهم كما أخرج أبويهم من الجنة، كما يوحي هذا التعقيب على القصة بأن الناس بنو آدم، وأن آدم عصى ربه ثم تاب إلى ربـه فتاب عليه، فـمن عصى ربه من ذرية آدم فليتب كما تاب آدم حتى يتوب الله عليه، وعليه ألا يصـر على معصيته كما أصر إبليس فكان مصيره الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى.

ولقد حـمل الشيطان على عاتقـه مهمة إضـلال البشر وإخـراجهم من النور إلي الظلمات كما قال تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (سورة البقرة: ٢٥٧).

وقال تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ (سورة طه: ١٢٣-١٢٦).

والشيطان حـريص جد الحرص على إخراج الناس من الإيمان إلى الكفـر فإن لم يسـتطع عمل على إخـراجـهم من الاتباع إلى الابتـداع؛ فإن لـم يستطع عـمل على إخراجهم من الطاعة إلى العصـيان، وقد لا يطيعه كثير من الناس في الكفـر، فيعمد عدو الله إلى إبعادهم عن الهداية قدر مـا يستطيع وهو ذو أسلوب في الكيد عجيب، فإنه يأتي إلي كل إنسان من الباب الذي يتوقع أنه يستطيع إضلاله منه.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمد الشاكرين، وأصلي وأسلم على إمـام المتقين، سيدنا محمد وعلى اله وصحابته أجمعين أما بعد:

إذا كان عند الإنسان تقصيرٌ أو فتورٌ أخذه الشيطان من هذا الجانب فيثبطه ويقعده ويضربه بالكسل والتواني، وييـسر له فعل المعاصي، ويهون عنده عواقـبها، ويفتح له باب الرجـاء ويورد على ذهنه بعض مـا ورد في سعـة رحـمة الله تعـالى وأن الناس خطاءون ومذنبـون ونحو ذلك من مثل قـول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة المزمل: ٢٠).

وقول الرسول ﷺ: «إن لله مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة، واخر تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة»[١].

حتى ربما ترك هذا الإنسان المأمور به جـميعه وارتكب كثيرًا من المعاصـي معتمدًا على سعة رحمة الله تعالى ناسيًا أن الله تعالى كما أنه غفر رحيم فإنه شديد العقاب، قال سبحانه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة المائدة:٩٨).

وقال سبحانه: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ (سورة الحجر:٤٩-٥٠). وقد تكون بداية الشيطان معه بسـيطة بحيث يأمره ويزين له فعل معـصية بسـيطة ثم يجره بعـدها إلى فعل مـا هو أكبر منهـا وهكذا حتى يوقـعه في

---

(١) رواه مسلم (٢٧٥٣)، وأحمد (١٠٨١٢)

الموبقات، وانظروا ـ عباد الله ـ إلى بداية كثير من المدمنين للمخدرات مثلاً كيف كانت؟ لقد زَيَّنَ لهم الشيطان مصاحبة الأشرار فلما صاحبوهم صاروا يدخنون مثلهم، ثم لم يزل ينتقل بهم من مرحلة إلى مرحلة حتى أوقعهم فيما أوقعهم فيه، وانظروا أيضًا إلى الذين ابتلوا بفعل الفواحش كيف كانت بدايتهم؟! لقد زيَّن الشيطان لهم إطلاق النظر فيما حرم الله من النظر إلى النساء الأجنبيات، والنظر إلى الصور الخليعة، سواء في المجلات الماجنة أو في الأفلام الساقطة، ثم لم يزل ينقلهم من طَورٍ إلى طَورٍ حتى وقعوا في الفساد وصاروا لا يصبرون عنه، وما كان الواحد منهم في بداية أمره يظن وهو يطلق بصره أن يصل إلى ما وصل إليه لكنه كيد الشيطان ومكره.

يحدث هذا إذا عرف الشيطان أن عند الناس تقصيرًا وفتورًا عن فعل الطاعات، وميلاً إلى فعل المعاصي، أما إذا وجد عنده حذرًا وتشميرًا ونهضة وحبًا للطاعات وكرهًا ومقتًا للمعاصي، وأيس أن يأخذه من الباب الأول فإنه يأمره بالاجتهاد الزائد ويسول له ويزين عنده أمورًا من التشدد كثيرة، وينفث في روعه أن هذا العمل الذي أنت فيه لا يكفيك، وهمتك فوق هذا، وينبغي لك أن تزيد على العاملين، وألا ترقد إذا رقدوا، وألا تفطر إذا أفطروا، وإذا توضئوا هم للصلاة فاغتسل لها أنت، ونحو ذلك من الإفراط والتعدي فيحمله على الغلو والمجاوزة وتعدي الصراط المستقيم، كما يحمل الأول على التقصير دون الصراط المستقيم، وألا يقربه.

ومقصود الشيطان من الرجلين واحد، وهو إخراجهما عن الصراط المستقيم، فهذا بأن لا يقربه ولا يدنو منه، وذلك بالتقصير في عمل الطاعات والإكثار من فعل المعاصي، وهذا بأن يتجاوزه ويتعداه بالغلو الذي لم ينزل الله به سلطانًا، والذي يدفعه إلى أن يتهم المسلمين ويكفرهم أو يفسقهم وبسيئ الظن بهم حتى لقد ذكر الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ أن بعض العباد الذين نقص حظهم من العلم امتنع أن يأكل شيئًا مما يحمل إليه من بلاد المسلمين وكان يتقوت بما يحمل إليه من بلاد النصارى، فأوقعه الجهل المفرط والغلو الزائد في إساءة الظن بالمسلمين وإحسان الظن بالنصارى.

وما أحسن ما قـال شيخ الإسلام أبو إسماعيل الهـروي ـ رحمه الله ـ في تعظيم الأمر والنهي قال ـ رحمه الله ـ: «هو ألا يعارضا ـ أي الأمر والنهي ـ بترخيص جاف ولا يعرضا لتشديد غال ولا يحملا على علة توهن الانقياد».

وذلك لأن الجافي يفرط في الأمر بألا يفعله كـما ينبغي، وفي النهي بأن يرتكبه، والغالي يتشدد في الأمر والنهي فوق ما ينبغي، وقد يكفر من يخالفهما، والسنة وسط بين الإفراط والتفريط.

ومع شدة عـداوة الشيطـان للإنسان وحرصـه على إغوائـه وإضلاله، إلا أن الله تعالـى لم يجعل له سلطانًا على عـباد الله المتـقين المخلصين المؤمنين قال الله تـعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَـوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَـا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَـوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ (سورة النحل: ٩٩-١٠٠).

ولكن لشدة كيـد الشيطان ومكره فإنه يوقع حتى المؤمن التقي في مـعصية، ومن رحمة الله تـعالى أن فتح للعاصي باب التـوبة، يتوب العاصي من الذنب فـيتوب الله عليه، بل قد تكون هذه المعصية خيرًا له حيث يظهر من التوبة والندم والذل والافتقار والانكسار وصـدق اللجوء إلى الله ودوام التضـرع والدعاء والإكثار من الحـسنات ما تكون تلك السيئـة به سبب رحمته حـتي يقول إبليس: يا ليتني تركتـه ولم أوقعه في المعـصية، وهذا مـعنى قول بـعض السلف: إن العبـد ليعـمل الذنب يدخل به الجنة ويعمل الحـسنة ويدخل بهـا النار، قالوا: كيف؟ قـال: يعمل الذنب فـلا يزال نصب عينيه خائفًا منه مـشفقًا وجلا باكيًا نادمًا مستحـييًا من ربه تعالى، فيكون ذلك الذنب سبب سعادة العبد وفلاحه حـتى يكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة، ويفعل الحسنة فلا يزال يمن بهـا على ربه ويتكبر بها ويرى نفسه ويعجب بهـا ويقول: فعلت وفعلت، فيورثه ذلك من العجب ما يكون سبب هلاكه، وهذا من كيد الشيطان الذي يفسـد به على الإنسان عـمله الصالح، كـما أنه قـد يفسده عليـه بالرياء، وإرادة ثناء الناس ومدحهم، فالشيطان عدو للإنسان يسعى جـهده لإخراجه عن الصراط المستقيم إلى السبل الـضالة، ولا يألو جهـدًا في سبيـل تحقيق هذه الغـاية، حتى إنه ليـعرض للإنسان وهو في سكرات الموت عَلَّهُ ينال منه شيئًا ولو يسيرًا.

مرض بلا مضض

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، أحمده سبحانه وأشكره لا إله غيره، ولا نعبد إلا إياه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أكرمه ربه فاجتباه وأحبه فضعف عليه الوجع وابتلاه، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠ - ٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عِبَادَ اللهِ . . . لقد خلق الله الحياة على طريقة اختلطت فيها اللذائذ بالآلام والمحاب بالمكاره، فهيهات أن ترى لذة لا يشوبها ألم، وصحة لا يكدرها سقم، أو سرور لا ينقصه حزن، أو راحة لا يخالطها تعب، أو اجتماعًا لا يعقبه افتراق، أو أمان لا يلحقه خوف، إن هذا ينافي طبيعة الحياة ودور الإنسان فيها، قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: صِف لنا الدنيا، فقال: **«ماذا أصف لك من دار: أولها بكاء، وأوسطها عناء، وآخرها فناء؟»**.

ومن البلايا ما يصاب به العبد من أمـراض، وفي عالمنا اليوم انتشر العلم وفشت الأمراض أمراض لم نعهدها، وبلايا لم نعرفهـا، استحدثت آلات وتقنية، واستجدت أمراض مستـعصية، لم يكن هذا الأمر سهـواً والقدر عبثًا بل إنها سنن ربانـية أكدتها نصوص القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ (سورة الشورى: ٣٠).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قـال: قال رسول الله ﷺ: **«لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشت فيهم الأمراض والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم»**[(١)].

هذا المرض الذي يهـابه الإنسان ويفـزع من وقوعـه ويدفع الغالي والنفـيس ألا يحل بداره.

المرض كلمة مـرعبـة وحالة مفـزعة، تستتبـعها الأحـزان والهمـوم، والأكدار والغموم، والعـبد لا يتمنى البلاء ولا يتعـرض له بل يسأل الله العافية كـما قال النبي ﷺ: **«سلوا الله العافية فإن أحداً لم يعطَ بعد اليقين خيراً من العافية»**[(٢)].

ولو تأمل المسلم النصوص الشرعية والمراتـب العالية السنية لو تأمل ما في المرض من حكم وأسرار وثمـرات من الخير غزار لمن ابتـلى بالمرض فصبر ورضي واسـتسلم للقضاء والقدر لعلم أن المرض بلاء ومحنة في طيـه جزاء ومنحة، المرض سبب تكفير الذنوب والسيئات فعن ابن مـسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها»**[(٣)].

---

(١) رواه ابن مـاجـه كتـاب «الفتن» حـديث (٤٠١٩)، وفي «مـسند الروياني» (١/٢٤٧) والحـاكم في «المستـدرك» (٤/ ٥٤٠)، حديث (٨٦٢٣/٣٣١)، وقـال هذا حديث صـحيح الإسناد ولم يخـرجاه ووافقه الذهبي وفي «السلسلة الصحيحة» (١٠٦).

(٢) «صحيح الجامع» (٦٣٢).

(٣) متفق عليـه.

ودخل المصطفى ﷺ على أم السائب أو أم المسيب، فقال: **«مالك يا أم السائب أو أم المسيب تزفزفين؟»، قالت: الحمى لا بارك الله فيها، فقال: «لا تسبي الحمى؛ فإنها تذهب خطايا ابن آدم كما يذهب الكير خبث الحديد»** [١].

وقال ﷺ: «ما يزال البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة» [٢].

قال قيس بن حماد: ساعات الوجع يذهبن ساعات الخطايا، وبالمرض تكتب الحسنات وترفع الدرجات، طرق رسول الله ﷺ وجع فجعل يشتكي ويتقلب على فراشه فقالت عائشة رضي الله عنها: ولو صنع هذا بعضنا لوجدت عليه، فقال النبي ﷺ: **«إن الصالحين يشدد عليهم، وإنه لا يصيب مؤمناً نكبة من شوكة فما فوق ذلك إلا حطت عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة»** [٣].

والمرض سبيل دخول الجنة قال ﷺ: **«يقول الله سبحانه: ابن آدم إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى لم أرض لك ثواباً دون الجنة»** [٤].

المرض سبب النجاة من النار فقد عاد النبي ﷺ مريضًا فقال: **«ابشر فإن الله يقول هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار في الآخرة»** [٥].

من تأمل هذه الأحاديث زالت همومه وانقشعت غمومه وامتلأ قلبه رضا بما قدر الله، وهذا أعلى من مقام الصبر، عبد الله إن ابتلاءك بالمرض نعمة فلا تجزع ومنحة فلا تقلق، فما أخذ منك إلا ليعوضك خيراً وما ابتلاك إلا ليطهرك ويرفع درجتك فسلم له تسلم.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب «البر والصلة» (٣/ ٥٧٥).
(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٨)، صحيح ابن ماجه (٣٢٤٩).
(٣) رواه أحمد، وابن حبان، وفي «صحيح الجامع» (١٦٦٠).
(٤) رواه ابن ماجه في كتاب «الجنائز» (٥٥-١٥٩٧)، صحيح ابن ماجه (١٢٨٨).
(٥) رواه الترمذي (٢٠٨٨)، وابن ماجه (٣٤٧٠)، «الصحيحة» (٥٥٧).

إن الصحة تدعو أحيانًا إلى الشر والبطر والإعجاب بالنفس لما يتمتع به المرء من نشاط وقوة وهدأة بال فإذا قيده المرض أحيانًا وتجاذبته الآلام أوقاتًا انكسرت نفسه وتقارب نفسه وفرق قلبه ولان حسه وتطهر من أدران الزهو والكبر.

فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقد عبده بأنواع من أدوية المصائب تكون حمية له من هذه الأدواء وحفظًا لصحة عبوديته، فسبحان من يرحم ببلائه، ويبتلي بنعمائه، فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاءات لطغوا وبغوا وعتوا، ورب محسود على رخاء هو شقاؤه، ومرحوم من سقم هو شفاؤه، ومغبوط بنعمة هي بلاؤه.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: إن الله سبحانه لا يقضي لعبده المؤمن قضاءً إلا كان خيرًا له ساءه ذلك القضاء أو سره، فقضاؤه لعبده المؤمن عطاء وإن كان في صورة المنع، ونعمة وإن كان في صورة محنة، وبلاؤه عافية وإن كان في صورة بلية، ولكن لجهل العبد وظلمه لا يعد العطاء والنعمة والعافية إلا ما التذ به في العاجل، ولو رزق من المعرفة حظًا وافرًا لعد المنع نعمة، والبلاء رحمة، وتلذذ بالبلاء أكثر من لذته بالعافية، وتلذذ بالفقر أكثر من لذته بالغنى، والعبد لجهله وظلمه يتهم ربه بابتلاءه ولا يعلم إحسانه إليه بابتلاءه وامتحانه، ومن رحمته أن نغص عليهم في الدنيا وكدرها لئلا يسكنوا إليها ولا يطمئنوا إليها، ويرغبوا في النعيم المقيم في داره وجواره فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان فمنعهم ليعطيهم وابتلاهم ليعافيهم وأماتهم ليحييهم، ولهذا كان الأنبياء والصالحون يفرحون إذا نزل بهم البلاء كما يفرح أحدنا بالرخاء.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وإخوانه. أما بعد:

عباد الله . . . كان الأنبياء والصالحون يفرحون إذا نزل بهم البلاء كما يفرح أحدنا بالرخاء حيث قال ﷺ : **«إن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء»**[1] .

لأنهم يعلمون أن عظم الجزاء مع عظم البلاء، ولأنهم يعلمون أن الله إذا أحب عبدًا ابتلاه، ولهذا كان أشد الناس بلاءً أحبهم إليه سبحانه، ولما سئل المصطفى ﷺ : أي الناس أشد بلاءً؟ قال: **«الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة»**[2] .

ولهذا كان النبي ﷺ من أشد الناس بلاءً، ولما أصابته الحمى قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: كنت أجد حرها بين يدي فوق اللحاف، فقال: يا رسول الله، ما أشدها عليك قال: **«إنا كذلك يُضاعف لنا البلاء، ويُضاعف لنا الأجر»**[3] .

وابن مسعود رضي الله عنه يمس النبي ﷺ بيده فيتعجب من شدة الحمى عليه قائلاً: إنك لتوعك وعكًا شديدًا، فيخبره النبي ﷺ بأن الحمى تشتد عليه كما تشتد على رجلين ثم يخبره أن له الأجر مرتين[4] .

ونبي الله أيوب عليه السلام بقي أسير مرضه ثمانية عشر عامًا كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ[5] .

---

(١) أجزاء من أحاديث رواها البخاري، ومسلم في كتاب «الطب والبر والصلة».

(٢) رواه الترمذي، وابن ماجه، حسن صحيح (٥٧/٦٠٢٤).

(٣) رواه أحمد (١١٨٣٧)، وابن ماجه (٤٠٢٤)، «الصحيحة» (١٤٤).

(٤) رواه البخاري(٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١).

(٥) جزء من حديث رواه البزار في «كشف الأستار» (٣/١٠٧) (٢٣٥٧)، والحاكم (١/٥٨١)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

أخي المريض . . . كشف الله عنك كل ألم وضر وإذا ابتليت بمرض عارض فاحمد الله تعالى أنك لم تصب بمرض أشد منه أو بمرض مزمن، وإذا أصبت بداء شديد فاحمد الله تعالى أنك لم تصب بأكثر من داء، ولو شاء لأصابك، وإذا أصبت بأمراض فاحمد الله واشكره أنه أبقى عليك عقلك ولو شاء لسلبك إياه.

ويطفي المريض المبتلى مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب، انظر يمنة فلا ترى إلا محنة ثم اعطف يسره فهل ترى إلا حسرة، ولو فتشت العالم لم تر فيهم إلا مبتلى بفوات محبوب أو حصول مكروه.

أخي المريض . . . اختار الله لك المرض ورضيه لك، والله أعلم بمصلحتك من نفسك، وحق الله عليك في هذه البلوى هو الصبر فهو عبودية الضراء، والجزع لا يفيدك بل يزيد عليك آلامك ويضاعف المصيبة وأحزانك، وسوف تنسى أخي المريض كل ما كنت تعانيه من آلام وأسقام إذا دخلت دار السلام حيث ينادي مناد: «**إن لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابداً، وإن لكم ان تحيوا فلا تموتو ابداً، وإن لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابداً، وإن لكم ان تنعموا فلا تباسو ابداً**»، وذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الأعراف: ٤٣).

ما أعظم الأجر لو قدر الله المرض على عبد وهو مقيم على عبادة وحسن طاعة ولو قدم إليه المرض وهو من أهل القرآن المحافظين على فضائل الأعمال القائمين في جوف الليل الصائمين بالنهار، هذا حتى لو أقعده المرض كتب الله له ما كان يعمل حين كان صحيحًا فأي فضل هذا؟! أخرج البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مرض العبد أو سافر، كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً**»[1].

---

(١) رواه البخاري، «كتاب الجهاد والسير» (٧٧٤-١١٧٨)، وفي مسند أحمد (٤/ ٣١٠) (١٩٧٠١).

قال أحد السلف: أبت جمهور الناس إذا طرقهم المرض اشتغلوا تارة بالجزع والشكوى وتارة بالتداوي إلى أن يشتد عليهم فيشغلهم اشتداده عن الالتفاف إلى الصالح من وصية أو فعل خير أو تأهب للموت، فكم ممن له ذنوب لا يتوب منها أو عنده ودائع لا يردها، أو عليه دين أو زكاة أو في ذمته ظلامة لا يؤديها، وإنما حزنه على فراق الدنيا إذ لا هم له سواها؟!

أخي المريض . . . إنك أحوج ما تكون إلى رحمة ربك وعفوه فَلِمَ تهجر القرآن، ولم تغفل عن ذكر الله والدعاء، لم ترفع الشكوى إلى الخلق وتنسى الإله الحق،لم تتهاون بالصلاة بحجة المرض؟! صل الصلاة لوقتها قائمًا فإن لم تستطع فجالسًا فإن لم تستطع فعلى جنبك متوجهًا إلى القبلة، فإن لم تتمكن فصل حيث كان اتجاهك ولا إعادة، فإن لم تستطع فصل مستلقيًا رجلاك إلى القبلة، فإن شق فعل كل صلاة في وقتها فللمريض الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء جمع تقديم أو تأخير حسبما يتيسر ، أما الصبح فلا جمع بينها وبين صلاة بعدها أو قبلها.

سُئل رسول الله ﷺ : أنتداوى؟ قال: **«نعم يا عباد الله تداووا»**[1] .

وأخرج مسلم قال ﷺ : **«لكل داء دواء، فإذا أصيب دواءٌ الداَّءَ برأ بإذن الله تعالى»**[2] .

والدعاء من أنفع الأدوية، فعن عثمان بن أبي العاص أنه أتى رسول الله ﷺ قال عثمان: وبي وجع، قال: فقال لي رسول الله ﷺ : **«ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم الله - ثلاثًا -، وقل - سبع مرات -: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»**[3] .

---

(١) رواه أبو داود في «كتاب الطب» (٢٨٥٥)، وفي مسند أحمد (٦/ ١٨٤٨١)، وانظر: «صحيح الجامع» (٧٩٣٤).

(٢) رواه مسلم «كتاب السلام» (٣٩)، باب ٢، حديث (٦٩-٤-٢٢٠٤).

(٣) رواه مسلم «كتاب السلام» (٢٤-٢-٢٢٠٢)، وأبو داود «كتاب الطب» (٣٨٩١)، والحاكم (١/ ٣٤٣) وقال: صحيح.

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه أو كانت به قرحة أو جرح قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا - أي وضع سبابته بالأرض ثم رفعها - قائلاً: **«بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، ليشفى به سقيمُنا بإذن ربنا»**[١].

أخي المسلم . . . إن للمريض حقوقًا: فعيادته سنة، والدعاء له هدي رسول الأمة لأن الله يقول كما في الحديث القدسي: **«ياابن آدم مرضت فلم تعدني قال: يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟»**[٢].

وقال علي رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة»**[٣].

عيادة المريض للدعاء له كما قال ﷺ: **«ما من مسلم يعود مسلماً فيقول سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، إلا شُفِيَ إلا أن يكون قد حضر أجلُه»**[٤].

وكان المصطفى ﷺ إذا عاد مريضًا يقول: **«اذهب البأس رب الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاءك، شفاءً لا يغادر سقمًا»**[٥].

عيادة المريض لنعلم فقرنا وحاجتنا إلى خالقنا، نرى المريض مستلقيًا على فراشه يتقلب ألمًا ويئن وجعًا، وأنت ترفل في لباس الصحة والعافية، وأن ما ابتلي به المريض

---

(١) رواه البخاري (٥٧٤٦)، ومسلم (٢١٩٤).

(٢) رواه مسلم «كتاب البر والصلة» حديث (٤٣-٢٥٦٩).

(٣) رواه ابن ماجه «كتاب الجنائز» (٢/ ١٤٤٢)، والحاكم (١/ ٣٤٩)، وانظر: «صحيح الجامع» (٥٧٦٧-٧٨٢).

(٤) أخرجه البخاري في «الطب» (٢٠٩٠)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وذكره الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٦٦).

(٥) رواه البخاري في «كتاب الطب» باب (٣٦٠-٨٥٠)، وفي مسلم «كتاب السلام» (١٦-٢٨٩١).

يمكن أن نبتلى به؛ فإن الله قادر على كل شيء سبحانه، وأنه ليس أحد بممتنع عن الله عزَّ وجلَّ.

عيادة المريض تذكره بالصبر وعدم الجزع على ما فاته، وأن نعمل على إصلاح ما يمكن أن يكون قد تهدم من نفسه فقد يحصل مع تحطيم النفس تمكن الشك ووجود السخط على الله وبغض قضائه وقدره وزوال الإيمان، ومن وصل إلى ذلك فقد خسر الدنيا والآخرة.

عيادة المريض للقيام بحقوقه، فقد يبتلى بمرض يقعده، وهموم نفسية تشغله، فهو يعول أسرة ويرعى أطفالاً وينفق على والدين كباراً، ومن واجب الأخوة مواساته بأن تقف إلى جواره وتخفف من آلامه وأحزانه فتتحمل عنه شيئًا من متطلبات الحياة وتكاليف المرض ورعاية الذرية والولد.

أخي المسلم ... عليك بمعالجة مرضك بإزالة سببه وهو الذنب قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ (سورة الشورى: ٣٠).

مقتطفات من أخلاق النبوة

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن مقتطفات من أخلاق النبوة، نبينا محمد ﷺ وهو خير البرية، وأزكى البشرية، وأعلاها رتبة، وأجلها قدرًا، وأحسنها خلقًا، وأكرمها نبوة على الله تبارك وتعالى.

اختاره الله على علم، وأكرمه بالرسالة، وأيده بالوحي، جبله على حميد الخلال، وفطره على كريم الخصال، ثم أدبه فأحسن تأديبه، ورباه فأحسن تربيته، فكان خلقه القرآن، كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلقه[1].

(١) رواه مسلم (١٢٣٣).

وإنما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (سورة الأعراف:١٩٩). وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ (سورة النحل: ٩٠). وقوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ (سورة لقمان:١٧). وقوله: ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ (سورة الحجر: ٨٥). وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ (سورة الشورى:٤٣). وقوله: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (سورة فصلت: ٣٤). وقوله: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٤). وقوله: ﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ (سورة الحجرات: ١٢).

وأمثال هذه الآداب في القرآن كثيرة لا تكاد تحصى، وهو ﷺ قد أكمل الله له خلقه وأثنى عليه فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (سورة القلم: ٤). فسبحانه ما أعظم شأنه، وأتم امتنانه، انظر إلى عظيم فضله وعميم لطفه، كيف أعطى ثم أثنى؟!.

عباد الله . . . بحسب متابعة النبي ﷺ تكون العزة والكفاية والنصرة، كما أنه بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله سبحانه وتعالى علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعزة والكفاية والنصرة والولاية والتأييد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة[1].

فبسط شمائله الحميدة، ونشر أخلاقه الكريمة من أمثل الطرق وأقوم السبل لحسم الفساد، وكسر شوكة الباطل، بل إن ذلك مرقى العز، وسلم السعادة، وسبيل التأسي، فمما قيل في أخلاقه ﷺ ما يلي:

---

(١) انظر: «زاد المعاد» لابن القيم (١/ ٣٧).

كان ﷺ أحلم الناس، وأشجع الناس، وأعدل الناس، وأعف الناس، وكان أسخى الناس، لا يبيت عنده دينار ولا درهم، وإن فضل شيء ولم يجد من يعطيه وفاجأه الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه، وكان لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط، وكان ذلك من أيسر ما يجد من التمر والشعير، ويضع ذلك في سبيل الله، ولا يسأل شيئًا إلا أعطى، ثم يعود على قوت عامه، فيؤثر منه حتى أنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء.

وكان يخصف النعل ويرقع الثوب، ويخدم في مهنة أهله، ويقطع اللحم معهن، وكان أشد الناس حياءً، لا يثبت بصره في وجه أحد، وكان يجيب دعوة العبد والحر، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب، ويكافئ عليها ويأكلها، ولا يأكل الصدقة، ولا يستكبر عن إجابة دعوة الأَمَة والمسكين، يغضب لربه ولا يغضب لنفسه.

وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع، ومرة يأكل ما حضر، ولا يرد ما وجد، ولا يتورع عن مطعم حلال، وإن وجد تمرًا دون خبز أكله، وإن وجد شواء أكله، وإن وجد خبز بُر أو شعير أكله، وإ وجد حلوًا أو عسلاً أكله، وإن وجد لبنًا دون خبزٍ اكتفى به، وإن وجد بطيخًا أو رطبًا أكله، وكان يعظم النعمة وإن قلت، فما عاب طعامًا قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه، يأكل ويشرب بيمينه بعد أن يسمي الله في أوله ويحمده في آخره.

يحب الطيب ويكره الخبائث كالبصل والثوم وأمثالها لرائحتها، وكان يعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس.

وكان أشد الناس تواضعًا، وأسكنهم من غير كبر، وأبلغهم من غير تطويل، وكان يحدث حديثًا لو عده العاد لأحصاه لفصاحته وتمهله، وكان يمزح ولا يقول إلا

حقًا أى صدقًا، وكان أحسن الناس بشرًا، لا يهوله شيء من أمور الدنيا، وكان يلبس ما وجد، فمرة شـملة، ومرة برد حبرة يمانيًا، ومرة جبة صـوف، فما وجد من المباح لبس، وكان ﷺ لا يتميز على أصحـابه في ملبس أو مجلس يدخل الأعرابي فيقول: أيكم محمد؟!.

أحب اللبـاس إليه القـميص أي الثـوب الطويل إلى نصف الساق لا يسـرف في مأكله أو ملبسه، يلبس العمامة وخاتمًا من فضة في خنصره الأيمن، وله لحية كبيرة.

وكان يركب ما أمكنه، مرة فرسًا ومرة بعيرًا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارًا، ومرة يمشي راجلاً حافيًا.

يجالس الفقـراء ويؤاكل المساكين، ويكرم أهل الفضل في أخـلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم، يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم.

وكان لا يجفـو على أحد، يقبل معـذرة المعتذر إليه، يمزح ولا يقـول إلا حقًا، يضحك في غير قهقهة، يسـابق أهله،ترفع الأصوات عليه فيصبر، وكان لا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لابد منه من صلاح نفسه.

لا يحتقر مسكينًا لفقره، ولا يهـاب ملكًا لملكه، يدعو هـذا وهـذا إلى الله دعـاءً مستويًا، وقـد جمـع الله له السيرة الفاضلـة، والسيـاسة التامـة، وهـو أمي لا يقـرأ ولا يكتب.

نشأ في بلاد الجـهل والصحـاري في فقره، وفي رعـاية الغنم يتيـمًا لا أب له، فعلـمه الله تعالـى جميع مـحاسن الأخـلاق، والخصـال الحمـيدة، وأخـبار الأولين والآخرين، وما فـيه النجاة والفوز في الآخرة والغـبطة والإخلاص في الدنيـا، ولزوم الفضل وترك الفضول، ما شتم أحدًا من المؤمنين بشتـيمة إلا جعل له كفارة ورحمة، ولا لعن امرأة قط ولا خادمًا بلعنة.

وما ضرب بيده أحدًا قط، إلا أن يضرب بها في سبيل الله تعالى، وما انتقم من شيء صنع إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم، فيكون أبعد الناس من ذلك، وما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه في حاجته.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا عبده رسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه. أما بعد:

ومن خلقه ﷺ أنه لم يكن فظًا ولا غليظًا ولا صخابًا في الأسواق، وما كان يجري بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح.

وكان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام، ومن قادمه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر، وكان إذا لقي أحدًا من أصحابه بدأه بالمصافحة، ثم أخذه بيده فشابكه ثم شد قبضته عليها، وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعًا، ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة.

ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه، لأنه كان يجلس حيث انتهى به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه، وإذا جلس إليه أحدهم لم يقم حتى يقوم الذي جلس إليه إلا أن يستعجله أمر فيستأذنه، وكان يكره القيام له، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **«لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته لذلك»**[1]. ويجوز لصاحب البيت القيام إلى الضيف لاستقباله؛ لأن الرسول ﷺ فعله، ويجوز القيام لقادم من سفر لمعانقته، لأن الصحابة رضي الله عنهم فعلوه، وما رُؤي ﷺ مادًا رجليه بين أصحابه، حتى لا يضيق بهما على أحد إلا

(١) رواه الترمذي (٢٧٥٤)، «المشكاة (٤٦٩٨).

أن يكون المكان واسعًا لا ضـيق فيه، وكان يكرم من يدخل عليـه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليس بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلس عليه.

وكان يؤثر الداخل عليه بالوسـادة التي تحتـه، فإن أبى أن يقبلها عـزم عليه حتى يفعل، وكـان يعطي كل من يجلس إليه نصيب من وجهـه، وسمعه وحـديثه ولطيف محاسنه وتوجهه، ومجلسـه مع ذلك المجلس حياء وتواضع وأمانة، وكان ﷺ يحفظ جاره ويكرم ضيفه.

ولقد كان يدعو أصحابه بكناهم، إكـرامًا لهم واستمالة لقلوبهم، وكان يُكنِّي من لم تكن له كنيـة؛ فكان يدعى بما كناه به ﷺ، وكان أبعـد الناس غضـبًا وأسـرعهم رضا، وكان أرأف الناس بالناس، وخير الناس للناس، وأنفـع الناس للناس، وكان لا يشافـه أحدًا بما يكرهه.

وأما دعوته ﷺ فقد أرسل رحمة للعالمين، فدعا العرب والناس جميعًا إلى ما فيه صلاحـهم وسعادتهم في الدنيا والآخـرة، وأول ما دعا إليـه توحيد عبـادة الله ومنها الدعاء لله وحده لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾ (سورة الجن: ٢٠). ولقد عارض المشركون هذه الدعوة لمخالفتها عقيدتهم الوثنية وتقليدهم الأعمى لآبائهم واتهموا الرسول ﷺ بالسحر والجنون بعد أن كانوا يسمونه الصادق الأمين.

لقد صبـر رسول الله ﷺ على أذى قومه، ممتـثلاً أمر ربه القائل: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ (سورة الإنسان: ٢٤). وبقي ثلاثة عشر عامًا في مكة يدعو إلى التوحـيد ويتحـمل مع أتباعـه العذاب، ثم هاجر مع أصـحابه إلى المدينة ليـقيم المجتمع الإسلامي الجديد على العدل والمحبـة والمساواة، وقد أيده الله بمعجزات أهمها القرآن الكريم الداعي إلى التوحيد والعلم والجهاد ومكارم الأخلاق.

ولما حج رسول الله ﷺ قال: **«اللهم هذه حجة لا رياء فيها ولا سمعة»**[(١)]. وكان إذا خير بين أمرين اختار أيسرهما، كما قالت عائشة رضي الله عنها: **«ما خُير رسول الله ﷺ بين امرين إلا اختار ايسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها، وكان أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاً»**[(٢)].

وكان من صفته الجود والكرم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: **«كان النبي ﷺ أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»**[(٣)].

وكان ﷺ من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذي لا يجهل، كان أشجع الناس، حضر المواقف الصعبة، وفر عنه الأبطال غير مرة، وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر، ولا يتزحزح، وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه، قال علي رضي الله عنه: **«كنا إذا حمي الوطيس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه»**[(٤)].

ومثل ذلك روى أصحاب الصحاح والسنن عن أنس رضي الله عنه: **فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قِبَلَ الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة عري، في عنقه السيف، وهو يقول: «لم تراعوا لم تراعوا»**[(٥)].

وكان أعظم الناس أمانة، اعترف له بذلك مجاوره وأعداؤه، وكان يسمى قبل نبوته: (الأمين)، ويتُحاكم إليه في الجاهلية قبل الإسلام.

---

(١) رواه الترمذي في «الشمائل» (٣٢٧)، وابن ماجه (٢٨٩٠)، وانظر: «صحيح الجامع» (١٣٠٢).
(٢) رواه البخاري (٥٠٣/١)(٣٢٩٦)، ومسلم (٤٢٩٥).
(٣) رواه البخاري (٥)، ومسلم (٤٢٦٨).
(٤) انظر: «الشفاء» للقاضي عياض (٨٩/١).
(٥) رواه البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (٤٢٦٦).

وأما تواضعه فكان في بعض أسفاره فأمر بإصلاح شاة، فقال رجل: علي ذبحها وقال الآخر: علي سلخها وقال آخر: علي طبخها، فقال ﷺ: «وعليَّ جمع الحطب»، فقالوا: نحن نكفيك، فقال: «قد علمت انكم تكفوني ولكني اكره ان اتميز عليكم، فإن الله يكره من عبده ان يراه متميزاً بين اصحابه»، وقام بجمع الحطب[1].

عِبَادَ اللَّهِ . . . وفيما أعد الله لنبينا محمد ﷺ من النعيم المقيم الذي قال الله فيه: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (سورة المطففين: ٢٦).

قال يوسف بن محمد الصرصري ـ رحمه الله ـ في مجموعة القصائد الزهديات:

محمد المبعوث للخلق رحمة	يشيد ما أوهى الضلال ويصلحُ
فهذا حبيب بل خليل مكلم	وخصص بالرؤيا بالحق أشرحُ
وخصص بالحوض العظيم وباللوا	ويشفع للعاصين والنار تلفحُ
وبالمقعد الأعلى المقرب عنده	عطاء ببشراه أقر وأفرحُ
وبالرتبة العليا الوسيلة دونها	مراتب أرباب المواهب تلمحُ
وفي جنة الفردوس أول داخل	له سائر الأبواب بالخير تفتحُ[1]

---

(١) «خلاصية السير»(٢٢).

(٢) مجموعة القصائد الزهديات ـ جمع عبد العزيز السلمان (١/ ١٨٠).

موقف المؤمن مع الدنيا

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، أحمده سبحانه وأشكره لا إله غيره، ولا نعبد إلا إياه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أكرمه ربه فاجتباه وأحبه فضعف عليه الوجع وابتلاه ،صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (سورة فاطر:٥).

ينهى الله ـ تعالى وتقدس ـ فـي هذه الآية وأمثالها في كتـابه الكريم عن الاغترار بالدنيا وحطامها الفاني، عن أمنها والاطمئنان والركـون إليها، عن الانخداع بزخارفها البراقة ومباهجها الزائلة، عن إيثارها على الآخرة والاشتغال بها عنها، مؤذنًا ومتوعدًا من اشتـغل بها عن الآخرة، أو آثرها عـلى الآخرة، أو أراد الدنيا بعـمل الآخرة، أو

حابى أو والى أو عادى من أجل الدنيا بالعذاب الأليم، وتصلية الجحيم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ (سورة النازعات:٣٧-٤١).
وقال: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ (سورة الإسراء:١٨).

وإن دارًا ـ يا عباد الله ـ وُصفت في الكتاب الكريم والسنة: أنها غرور ومتاع قليل، وممر ومعبر كما هو واقعها، دار ملئت بالأحزان والآلام، دار ما أضحكت إلا وأبكت ولا أفرحت إلا وأحزنت، دار نهاية قوتها الضعف وشبابها الهرم وحياتها الموت، جميع ما فيها زائل وعارية مستردة.

وما المال والأهلون إلا ودائع ✧ ولابد يومًا أن ترد الودائع
وما المرء إلا كالشهاب وضوءه ✧ يحور رمادًا بعد إذ هو ساطع

دار هذا شأنها وصفها خير رسول بأنها كراكب قال تحت ظل دوحة، وضرب الله لها المثل في قصر عمرها وسرعة زوالها وخيبة آمال أهلها بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة يونس:٢٤).

عِبَادَ اللهِ . . . دار هذا وصفها وواقعها هل يغتر أو ينخدع بها مؤمن، هل يأمن أو يطمئن إليها عاقل؟ هل يعادي أو يوالي من أجلها من له مسكة من عقل؟ كلا، لا أخال مؤمنًا حقًا ينخدع بها. فاتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر، فإن أسعد من فيها من خافها وحذرها، فاتقوا الله وكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، وذللوا دنياكم لآخرتكم واستخدموها فيما يرضي الله عنكم؛ فإن الدنيا إذا صلحت واستخدمت، مجال فسيح للتحصيل وسلم إلى ما هو أنفع منها وأطيب، ومزرعة يانعة تجني ثمارها في الآخرة، ولن ينفعكم ويصحبكم منها إذا غادرتموها إلى

الآخرة إلا ما قدمتموه فيها من عمل صالح، فقد روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا مات ابن آدم تبعه ثلاثة: ماله وأهله وعمله، فيرجع اثنان: المال والأهل، ويبقى واحد وهو العمل»**، وقال ﷺ يومًا لأصحابه: **«أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه»**، قالوا: مالنا أحب إلينا من مال وارثنا، فقال: **«مال أحدكم ما قدم، ومال وارثه ما خلف»**[1]. فاتقوا الله ـ أيها المسلمون ـ، وبادروا بالأعمال الصالحة فهي زادكم إلى الآخرة، ورصيدكم الذي ستلقونه إذا غادرتم الدنيا، وأنيسكم بعد الموت.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون؛ فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»**[2].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر»**[3].

وعن المستورد بن شداد قال: قال رسول الله ﷺ: **«والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه ـ وأشار يحيى بالسبابة ـ في اليم فلينظر بم ترجع»**[4].

وعن أبي كبشة الأنماري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقًا فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علمًا فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقًا فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء»**[5].

---

(١) رواه البخاري (٦٤٤٢).

(٢) رواه مسلم (٤٩٢٥).

(٣) رواه مسلم (٥٢٥٦).

(٤) رواه مسلم(٥١٠١).

(٥) رواه الترمذي (٢٢٤٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجه (٤٢١٨)، وهو في «صحيح الجامع» (٣٠٢٤).



الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي جعل الدنيا مزرعة للآخرة، وجعل الآخرة خير وأبقى، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره على جزيل نعمه وعظيم عطاياه. أما بعد:

عِبَادَ اللَّهِ . . . كان ابن عمر ﷺ يقول: **«إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»**[1] .

والمعنى: لا تؤمل أنك إذا أمسيت أصبحت، وإذا أصبحت أمسيت، فكم من إنسان أمسى ولم يصبح، وكم من إنسان لبس ثوبه ولم يخلعه إلا الغاسل، وكم من إنسان خرج من أهله قد هيأوا له غذاءه أو عشاءه ولم يأكله! وكم من إنسان نام ولم يقم من فراشه! المهم أن الإنسان لا ينبغي له أن يطيل الأمل بل يكون حذرًا حاذقًا حازمًا كيسًا، هذا معنى قوله: **«إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء»**.

«وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك» الإنسان الصحيح منشرح الصدر منبسط النفس، واسع الفكر، عنده سعة في الوقت والصحة، لكن ما أكثر الذين يضيعون هذا، لأنه يؤمل أن هذه الصحة سوف تبقى وتدوم، وأنه سوف تطول به الدنيا، فتجده قد ضيع هذه الصحة. فابن عمر ﷺ يقول: **«خذ من صحتك لمرضك»** المرض تضيق به النفس، ويتعب به الجسم، وتضيق عليه الدنيا، ولا يستطيع أن يعمل العمل الذي يعمله في حال الصحة، فليأخذ من صحته لمرضه، ومن حياته لموته، قس ما بين حياتك وموتك أيهما أطول؟ لاشك أن الحياة لا تنسب للموت كم للرسول عليه الصلاة والسلام ميتًا؟ كم لمن قبله؟ وحياتهم قليلة بالنسبة لموتهم فكيف إلى الآخرة، ولهذا ينبغي للإنسان أن يأخذ من حياته مادام الله قد أحياه لموته إذا عجز عن العمل[2] .

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٩٩)، والترمذي(٢٣٣٤).

(٢) «شرح رياض الصالحين» للعثيمين (جـ٦ ص ١٣٣ - ١٣٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أكثروا ذكر هادم اللذات»[1]. يعني الموت. ومن هذا الحديث وأمثاله أخذ أئمتنا قولهم: يسن لكل أحد من صحيح وغيره ذكر الموت بقلبه ولسانه وإلا بقلبه، والإكثار منه حتى يكون نصب عينيه، فإن ذلك أزجر عن المعصية وأدعى إلى الطاعة[2].

تزود من الدنيا فإنك لا تدري ۞ إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من عروس زينوها لزوجها ۞ وقد أخذت أرواحهم ليلة القدر
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم ۞ وقد أدخلت أرواحهم ظلمة القبر
وكم من سليم مات من غير علة ۞ وكم من سقيم عاش حينًا من الدهر
وكم من فتى يمسي ويصبح لاهيًا ۞ وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري
وكم ساكن عند الصباح بقصره ۞ وعند المسا قد كان من ساكن القبر
فكن مخلصاً واعمل من الخير دائماً ۞ لعلك تحظى بالمثوبة والأجر
وداوم على تقوى الإله فإنها ۞ أمان من الأهوال في موقف الحشر

إن الأمر جد عظيم يا عباد الله يحتاج منا لعدة واستعداد ويقظة مستمرة.

وإليكم وصية الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز عن الدنيا: «أما بعد: فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة، إنما أنزل إليها آدم عليه السلام عقوبة، فاحذرها يا أمير المؤمنين، فإن الزاد منها تركها والغنى فيها فقرها. لها في كل حين قتيل، تذل من أعزها، وتفقر من جمعها. هي كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه، فكن فيها كالمداوي جراحه، يحتمي قليلاً مخافة ما يكره طويلاً، ويصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء، فاحذر هذه الدار الغرارة الخداعة الخيالة، التي قد تزينت بخدعها وفتنت

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن (٢٣٠٨)، وأخرجه ابن ماجه (٤٢٥٨) وإسناده حسن، وصححه ابن حبان (٢٥٥٩) (٢٥٦٢).
(٢) «دليل الفالحين لشرح رياض الصالحين» (جـ٣، ص١٥)

بغرورها وختلت بآمالهــا، وتشوقت لخطابها، فأصبحت كالعــروس المجلوة، فالعيون إليها ناظرة، والنفوس لهــا عاشقة، وهي لأزواجها كلهم قاتلة، فعــاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل بها لبه، حتى زلت عنها قدمه، فعظمت عليهــا ندامتــه، وكثــرت حسرته، واجـتمــعت عليه سكرات الموت وألمه، وحــسرات الفوت، وعاشق لم ينل منــها بغيته، فعــاش بغصته وذهب بكمــده ولم يدرك منها ما طلب، ولم تسترح نفــسه من التعب، فخــرج بغير زاد، وقدم على غيــر مهاد، فكن أسر ما تكون فيها أحــذر ما تكون لها، فإن صاحب الدنيا كلما اطمــأن بها إلى سرور أشخصتــه إلى مكـروه، وصــل الرخــاء منها بالبــلاء، وجعــل البقــاء فــيها إلى فنــاء، سرورهــا مشوب بالحــزن، أمانيها كاذبــة، وآمالها باطلــة، وصفوها كـدر وعيشها نكد فلو كان ربنا لم يخبر عنها خبرًا ولم يضــرب لها مثلاً ولكانت أيقظت النــائم، ونبهت الغافل، فكيف وقــد جاء من الله فيها واعــظ وعنها زاجر؟ فما لهــا عند الله قدر ولا وزن ولا نظر إليها منــذ خلقها، ولقد عرضت على نبــينا ﷺ بمفاتيحهــا وخزائنها لا ينقصــها عند الله جناح بعوضــة فأبى أن يقبلهــا، كره أن يحب ما أبغض خــالقه، أو يرفع ما وضع مليكه، فــزواها عن الصالحين اختيــارًا وبسطها لأعدائه اغتــرارًا. فيظن المغرور بها المقتدر عليهــا أنه أكرم بها، ونسي ما صنع الله عزَّ وجلَّ برسوله ﷺ حين شد الحجر على بطنه».

من حقوق الراعي والرعية

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، أحمده سبحانه وأشكره لا إله غيره، ولا نعبد إلا إياه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشـهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أكرمه ربه فاجتبـاه وأحبه فضعف عليه الوجع وابتلاه، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الاحزاب: ٠ -٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . اتقوا الله تعالى واعلموا أن الله شرع لعباده على لسان أفضل خلقه شريعة كاملة في نظامها وتنظيمها، كاملة في العبادات والحقوق والمعاملات، كاملة في السياسـة والتدبير والولايات، جعل الولاية فـيها فرض كـفاية، سواء كانت تشـريعية كالقضاء أو تنفيذية كالإمارة، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (سورة النساء:٥٩). فلابد من ولي الأمـر ولابد من طاعته وإلا فـسد الناس، وجاءت هذه الشريعة الكاملة التي أوجبت الولاية لقيام الناس بالعدل، جاءت

بواجبات على الولاة وعلى الرعـية، وألزمت كل واحد منهم بالقيام بها حـتى يستتب الأمن ويحل النظام والتآزر بين الحاكمين والمحكومين.

اما حقوق الولاة على رعيتهم: النصح والإرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة، بسلوك أقرب الطـرق إلى توجيهـهم وإرشادهم، وألا يتـخذ من خطئـهم إذا أخطأوا ـ وهم معرضون للخطأ كغيرهم من بني آدم ـ لكن لا يتخذ من هذا الخطأ سُلمًا للقدح فيهم ونشر عيوبهم بين الناس فـإن هذا يوجب التنفير عنهم وكراهيتهم وكراهيـة ما يقومون به من أعمال وإن كانت حـقًا، ويوجب بالتالي التمرد عليهم وعـدم السمع والطاعة، وفي ذلك تفكيك المجتمع وحدوث الفوضى والفساد.

ومن حقوق الولاة على رعيتهم: السمع والطاعة بـامتثال ما أمـروا به وترك ما نهوا عنه، ما لم يكـن في ذلك مخالفـة لشريعة الله فـلا سمع ولا طاعـة لقوله ﷺ: **«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»**[1]، و قال ﷺ: **«السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»**[2].

أيها الناس... إن من طاعة ولاة الأمـر التي أمر الله بها أن يتـمشى المؤمن على أنظمة حكومته المرسومة إذا لم تخالف الشريعة، فمتى تمشى على ذلك كان مطيعًا لله ورسوله ومثابًا على عمله ومن خالف ذلك كان عاصيًا لله ورسوله وآثمًا.

عن حذيفة بن اليـمان رضي الله عنه قال: **قلت يا رسول الله: إنا كنا بشرٍّ، فجاء الله بخير، فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: «نعم»، قلت: هل وراء ذلك الشر خير؟ قال: «نعم»، قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال: «نعم»، قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال: «نعم»، قلت: كيف؟ قال: «يكون بعدي أئمة، لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال، قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس»، قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال:**

---

(١) رواه أحمد (٢٠٦٨٧)، وانظر: «صحيح الجامع» (٧٥٢٠).

(٢) رواه البخاري (٢٧٣٥)، ومسلم (٣٤٢٣).

«تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع»[(١)]. وهذا الحديث أبلغ من الأحاديث التي جاءت في هذا الباب إذ قد وصف النبي ﷺ هؤلاء الأئمة بأنهم لا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنته، وذلك غاية الضلال والفساد، ونهاية الزيغ والعناد، فهم لا يهتدون بالهدي النبوي في أنفسهم ولا أهليهم، ولا في رعاياهم..

ومع ذلك فقد أمر النبي ﷺ بطاعتهم في غير معصية الله كما جاء مقيدًا في أحاديث أخر، حتى لو بلغ الأمر إلى ضربك وأخذ مالك، فلا يحملنك ذلك على ترك طاعتهم وسماع أوامرهم، فإن هذا الجرم عليهم، وسيحاسبون ويجزون به يوم القيامة، فإن قادك الهوى إلى مخالفة هذا الأمر الحكيم والشرع المستقيم، فلم تسمع ولم تطع لأميرك لحقك الإثم، ووقعت في المحظور، وهذا الأمر النبوي هو تمام العدل الذي جاء الإسلام به؛ فإن هذا المضروب إذا لم يسمع ويطع وذاك المضروب إذا لم يسمع ويطع أفضى ذلك إلى تعطل المصالح الدينية والدنيوية، فيقع الظلم على جميع الرعية أو أكثرهم وبذلك يرتفع العدل عن البلاد، فتتحقق المفسدة وتلحق بالجميع.

بينما لو ظلم هذا فصبر واحتسب وسأل الله الفرج، وسمع وأطاع، لقامت المصالح ولم تتعطل، ولم يضع حقه عند الله، فربما عوضه خيرًا منه وربما ادخر له في الآخرة.

وهذا من محاسن الشريعة فإنها لم ترتب السمع والطاعة على عدل الأئمة، ولو كان الأمر كذلك لكانت الدنيا هرجًا ومرجًا، فالحمد لله على لطفه بعباده، ولقد بين لنا رسول الله ﷺ السمع والطاعة لولاة الأمور وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا بشروط ومن ذلك ما رواه أبو الوليد عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى ألا ننازع

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٧٦).

الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحًا عندكم من الله فيه برهان، وعلى أن لا نقول إلا بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم» (متفق عليه)، وقوله في الحديث: **(المنشط والمكره)** أي: في السهل والصعب، والأثرة الاختصاص بالمشترك، وقوله «بواحا» أي ظاهراً لا يحتمل تأويلاً ـ قال الشارح للحديث رحمه الله تعالى فيما نقله عن عبادة بن الصامت ﷺ بَايَعْنا رسول الله ﷺ أو بَايَعَنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثره علينا.

(بايعنا) أي: بايع الصحابة ﷺ الرسول ﷺ على السمع والطاعة، يعني لمن ولاه الله الأمر، لأن الله تعالى قال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ (سورة النساء:٥٩). وقد سبق لنا بيان من هم أولوا الأمر، وذكرنا أنهم طائفتان، العلماء والأمراء، كلهم ولاة أمور لكن العلماء أولياء أمر في العلم والبيان وأما الأمراء فهم أولياء في التنفيذ والسلطان.

يقول: بايعناه على السمع والطاعة ويستثنى من هذا معصية الله عزَّ وجلَّ فلا يبايع عليها أحد، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولهذا قال أبو بكر ﷺ حين تولى الخلافة: **«أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم»**، فإذا أمر ولي الأمر بمعصية من المعاصي فإنه لا يجوز لأحد أن يسمع له أو يطيع لأن الله هو ملك الملوك، ولا يمكن أن يعصي رب العالمين لطاعة من هو مملوك مربوب.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي جعل المؤمنين فيما بينهم إخوانًا، وأوجب عليهم أن يكونوا في نصرة الحق أعوانًا، والحمد لله الذي ربط الأمور بأسبابها، وجعل أفضل طريقة للوصول إلي المقصود أن تؤتى البيوت من أبوابها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . . أما بعد:

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن كل من سوى الله فإنهم مملوكون لله عزَّ وجلَّ فكيف يقدم الإنسان طاعتهم على طاعة الله، إذن يستثنى من قوله السمع والطاعة ما دلت عليه النصوص من أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وقوله في الحديث السابق: (**في العسر واليسر**) يعني: سواء كنا معسرين في المال أو كنا موسرين، يجب علينا جميعًا ـ أغنيائنا وفقرائنا ـ أن نطيع ولاة أمورنا ونسمع لهم وكذلك (**في منشطنا ومكرهنا**) يعني: سواء كنا كارهين لذلك لكونهم أمروا بما لا نهواه ولا نريده، أو كنا نشيطين في ذلك، لكونهم أمروا بما يلائمنا ويوافقنا.

المهم أن نسمع ونطيع في كل حال إلا ما استثنى فيما سبق، قال: وأثرة علينا، أثرة يعني استئثاراً علينا، يعني لو كان ولاة الأمور يستأثرون على الرعية بالمال أو غيره، مما يرفهون به أنفسهم ويحرمون من ولاهم الله عليهم فإنه يجب علينا السمع والطاعة، لا نقول: أنتم أكلتم الأموال وأفسدتموها وبذرتموها فلا نطيعكم بل نقول سمعًا وطاعة لله رب العالمين، ولو كان لكم استئثار علينا ولو كنا لا نسكن إلا الأكواخ، ولا نفترش إلا الخَلِق من الفرش وأنتم تسكنون القصور، وتمتعون بأفضل الفرش، ولا يهمنا هذا لأن هذا كله متاع الدنيا وستزولون عنه، أو يزول عنكم، إما هذا أو هذا، أما نحن فعلينا السمع والطاعة ولو وجدنا من يستأثر علينا من ولاة الأمور.

وقد قال النبي ﷺ في حديث آخر: «**اسمع وأطع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك**»[1].

واعلم أنك سوف تقتص منه يوم القيامة، من حسناته فإن بقي من حسناته شيء وإلا أخذ من سيئات من ظلمهم، ثم طرح عليه ثم طرح في النار ـ والعياذ بالله ـ، الأمر مضبوط مُحْكَم لا يضيع على الله شيء.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٧)، كتاب «الإمارة».

ثم قال: (**والا ننازع الأمر أهله**) يعني: لا ننازع ولاة الأمور ما ولاهم الله علينا لنأخذ الإمرة منهم، فإن هذه المنازعة توجب شراً كثيراً، وفتناً عظيمة وتفريقاً بين المسلمين، ولم يدم للأمة الإسلامية إلا منازعة الأمر أهله من عهد عثمان ﷺ إلى يومنا هذا، ما أفسد الناس إلا منازعة الأمر أهله، قال: «**إلا ان تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان**».

ثلاثة شروط: إذا رأينا هذا، وتحت الشروط الثلاثة فحينئذ تجوز المنازعة والخروج ونحاول إزالتهم من ولاية الأمر، لكن بشروط ثلاثة:

الأول. ان تروا: فلابد من علم، مجرد الظن لا يجوز الخروج على الأئمة، لابد أن نعلم.

الثاني. ان نعلم كفراً لا فسقاً: الفسوق مهما فسق ولاة الأمور لا يجوز الخروج عليهم لكن إذا رأينا كفراً صريحاً يكون بواحاً.

الثالث. الكفر البواح: وهذا معناه الكفر الصريح، والبواح: الشيء البيِّن الظاهر، فأما ما يحتمل التأويل فلا يجوز الخروج عليهم، يعني لو قدرنا أنهم فعلوا شيئاً نرى أنه كفر، لكن فيه احتمال أنه ليس بكفر، فإنه لا يجوز أن ننازعهم أو نخرج عليهم ونولهم ما تولوا.

لكن إذا كان بواحاً صريحاً مثل: لو أن وليّاً من ولاة الأمور قال لشعبه: إن الخمر حلال فاشربوا ما شئتم، وأن الربا حلال لا بأس فتعاملوا فيه، فهذا كفر بواح ما فيه إشكال، هذا يجب على الرعية أن يزيلوه بكل وسيلة ولو بالقتل، إذا كان لا يندفع شره إلا بهذا. لأن هذا كفر بواح.

الشرط الرابع. عندكم من الله فيه برهان: يعني عندنا دليل قاطع على أن هذا كفر، فإن كان الدليل ضعيفاً في ثبوته أو ضعيفاً في دلالته، فإنه لا يجوز الخروج عليهم، لأن الخروج فيه شر كثير جداً ومفاسد عظيمة؛ فهذه إن شئتم فقولوا ثلاثة

شروط ،وإن شئتم فقولوا أربعة: أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان هذه أربعة شروط.

وإذا رأينا هذا مثلاً فلا تجوز المنازعة حتى تكون لنا القدرة على إزاحته، فإن لم يكن لدينا قدرة فلا تجوز المنازعة، لأنه ربما إذا نازعناه وليس عندنا قدرة يقضي على البقية الصالحة وتتم سيطرته.

فهذه الشروط شروط للجواز أو للوجوب، وجوب الخروج على ولي الأمر، لكن بشرط أن يكون لدينا قدرة، فإن لم يكن لدينا قدرة فلا يجوز الخروج لأن هذا من إلقاء النفس إلى التهلكة.

أي فائدة إذا خرجنا على هذا الولي الذي رأينا عنده كفرًا بواحًا عندنا فيه من الله برهان، ونحن لا نخرج عليه إلا بسكين المطبخ، وهو معه الدبابات والطائرات وغير ذلك من أسلحة الدمار، ومعنى هذا أننا نخرج لنقتل أنفسنا، نعم لابد أن نتحيل بكل حيلة على القضاء عليه وعلى حكمه لكن بالشروط الأربعة التي ذكرها النبي ﷺ: **«أن تروا كفراً بواحًا، عندكم فيه من الله برهان»**.

عِبَادَ اللَّهِ . . . اعلموا أن مجرد التحريض على السلطان المسلم وإن كان فاسقًا ديدن الخوارج، قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ في وصف بعض أنواع الخوارج: «والقعدية هم فرقة من الخوارج الذين يزينون الخروج على الأئمة ولا يباشرون ذلك».

ولذلك قال الشيخ صالح السدلان فيهم: . . فالبعض من الإخوان قد يفعل هذا بحسن نية معتقدًا أن الخروج إنما يكون بالسلاح فقط، والحقيقة أن الخروج لا يقتصر على الخروج بقوة السلاح، أو التمرد بالأساليب المعروفة فقط، بل إن الخروج بالكلمة أشد من الخروج بالسلاح، لأن الخروج بالسلاح والعنف لا يربيه إلا الكلمة فنقول للإخوة الذين يأخذهم الحماس ـ ونظن منهم الصلاح إن شاء الله تعالى ـ:

عليهم أن يتريثـوا، ونقول لهم: رويدًا فإن صلفكم وشدتكم تربي شـيئًا في القلوب، تربي القلوب الطريـة التي لا تعرف إلا الاندفـاع، كـما أنـها تفـتح أمـام أصحـاب الأغراض أبوابًا ليتكلموا ويقولوا ما في أنفسهم إن حقًا وإن باطلاً.

ولاشك أن الخـروج بالكلمة واسـتغـلال الأقلام بأي أسلوب كـان أو استـغلال الشريط أو المحـاضرات والندوات في تحميس الناس على غـير وجه شرعي أعـتقد أن هذا أساس الخروج بالسـلاح، وأحذر من ذلك أشد التحذيـر، وأقول لهؤلاء: عليكم بالنظر إلى النتائج وإلـى من سبقهم في هذا المجـال، لينظروا إلى الفتن التي تعيشـها بعض المجتمـعات الإسلامية ومـا الخطورة التي أوصلتهم إلى ما هم فيـه، فإذا عرفنا ذلك ندرك أن الخروج بالكلمة واستغلال وسائل الإعـلام والاتصال للتنفير والتحميس والتشديد يربي الفتن في القلوب.

اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم ارزقهم البطانة الصالحة، اللهم وفقـهم لإزالة المعاصي والمنكرات، والأخذ على أيدي البغـاة، اللهم أبرم لهذه الأمة أمرًا رشيدًا يعـز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيـتك، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر، اللهم من كان في بقائه صلاح للإسلام والمسلمين فوفقه وأيده، ومن في بقائه ضرر على الإسلام والمسلمين فخذه أخذ عزيز مقتدر.

المداومة على العمل الصالح

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . فإن الله تعالى ما خلق الخليقة وأسكنها هذه البسيطة إلا ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، ومع أنه فطرهم على الحنيفية إلا أنه لم يكلهم إلى فطرهم الكامنة في نفوسهم، بل أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب: ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ (سورة النساء: ١٦٥).

ثم إنه عزَّ وجلَّ ختم الرسل بأفضلهم والأمم بخيرها، فجعله ﷺ أفضل رسول إلى خير أمة، وأرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فدعا ﷺ أمته للإيمان الذي هو التصديق بالقلب والنطق باللسان والعمل بالجوارح.

قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾ (سورة العصر).

وبهذا يتبين أن العمل الصالح من الأشياء التي يلزم حصولها كي يعتبر الإنسان مؤمنًا، ولو ادعى مدعٍ أنه مؤمن وترك الأعمال الصالحة من صلاة وزكاة وصيام وحج فإنه لا يعتبر حينئذ مؤمنًا لأنه لم يأت بالعمل الصالح، وأفضل الأعمال وأحبها إلى الله تعالى ما داوم عليه صاحبه، والمداومة على الأعمال الصالحة من الأهمية في الشريعة الإسلامية بمكان، وتظهر أوجه أهميتها بما يلي:

منها: أن فرائض الله عزَّ وجلَّ إنما فرضت على الدوام وهى أحب الأعمال إلى الله تعالى، كما في الحديث القدسي: **«وما تقرب إليَّ عبدي بشيء احب إليَّ مما افترضته عليه»**[1].

ويستثنى من ذلك الحج الذي فرض في العمر مرة واحدة درءًا للمشقة عن أمة محمد ﷺ وتيسيرًا عليها.

وإذا كان أحب الأعمال إلى الله ما جعل على الدوام؛ فإن فيه دليلاً على أهمية المداومة.

ومنها أن من هدي النبي ﷺ المداومة على الأعمال الصالحة فعن عائشة رضي الله عنها قالت: **«كان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً اثبته، وكان إذا نام من الليل أو مرض صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة»**[2].

وعنها أيضًا قالت: **«وكان نبي الله ﷺ إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها، وكان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة»**[3].

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

ومنها: أن الأعمال المداوم عليها أحب الأعمال إلى الله وإلى رسوله ﷺ .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : **«احب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»**[١] .

وعن مسروق قال: سألت عائشة رضي الله عنها: أي العمل كان أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ قالت: **«الدائم»**[٢] .

ومنها: أن من فاته شيء من الأعمال التي يداوم عليها استحب له قضاؤه، ولولا ما للمداومة من أهمية ما شرع له ذلك.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«من فاته شيء من ورده - أو قال من حزبه - من الليل فقراه ما بين صلاة الفجر إلى الظهر فكأنما قراه من ليله»**[٣] .

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي جعل الأيام والليالي مطايا لفعل الخيرات واجتناب المنكرات، نحمده سبحانه ونشكره على جزيل إنعامه وعظيم عطاياه، ونصلي ونسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه. أما بعد:

عباد الله . . . اعلموا - رحمكم الله - أن للأعمال الصالحة آثارًا، فمن آثارها دوام اتصال القلب بخالقه مما يعطيه قوة وثباتًا وتعلقًا بالله عزَّ وجلَّ وتوكلاً عليه، ومن ثم يكفيه الله همه، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (سورة الطلاق:٣).

واعتبر بعض أهل العلم هذا الأثر من الحكم التي شرعت من أجلها الأذكار المطلقة والمقيدة بالأحوال.

---

(١)، (٢) متفق عليهما.

(٣) رواه مسلم، وأحمد.

ومن آثار المداومة على الأعمال الصالحة: أنها سبب لمحبة الله تعالى للعبد وولاية العبد لله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (سورة البقرة: ٢٢٢). قال الشيخ عبد الرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ عن هذه الآية: إن الله يحب التوابين من ذنوبهم على الدوام، ويحب المتطهرين أي: المتنزهين عن الآثام.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»**[1].

ومن آثار المداومة على الأعمال الصالحة: أن المداومة على الأعمال الصالحة سبب للنجاة من الشدائد فعن ابن عباس ﷺ قال: كنت رديف النبي ﷺ فقال: **«يا غلام، ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟»**، فقلت: بلى، فقال: **«احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة»**[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء»**[3].

ومنها: أن المداومة على الأعمال الصالحة تنهى صاحبها عن الفواحش، قال تعالى: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ (سورة العنكبوت: ٤٥).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد (٢٨٠٤)، والترمذي (٢٦١٦)، وانظر: «صحيح الجامع» (٧٩٥٧).

(٣) رواه الترمذي (٣٣٨٢)، وانظر: «الصحيحة» (٥٩٣).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن فلانًا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق، فقال: «إنه سينهاه ما تقول»[١].

ومنها: أن المداومة على الأعمال الصالحة سبب لمحو الخطايا والذنوب، والأدلة على هذا كثيرة، منها ما في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أرايتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟»، قالوا: لا، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا».

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» (متفق عليه).

ومنها: أن المداومة على الأعمال الصالحة سبب لحسن الختام، ووجه ذلك أن المؤمن يصبر على أداء الطاعات كما يصبر عن المعاصي والسيئات محتسبًا الأجر على الله عزَّ وجلَّ فيقوى قلبه على هذا وتشتد عزيمته على فعل الخيرات، فلايزال يجاهد نفسه فيها، وفي الانكفاف عن السيئات فيوفقه الله تعالى لحسن الخاتمة، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة العنكبوت: ٦٩). وقال: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ (سورة إبراهيم: ٢٧).

---

(١) رواه أحمد (٩٧٨٥)، وانظر: «المشكاة» (١٢٣٧).

المداومة على العمل الصالح (٢)

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم عما تبقى لنا من موضوع المداومة على العمل الصالح نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل أعمالنا كلها صالحة وخالصة لوجهه عزَّ وجلَّ.

اعلموا - رحمكم الله - أن المداومة على الأعمال الصالحة سبب للتيسير في الحساب وتجاوز الله تعالى عن العبد، فعن ربعي بن حراش قال: اجتمع حذيفة وابن مسعود فقال حذيفة: **«رجل لقي ربه فقال: ما عملت؟ قال: ما عملت من الخير، إلا أني كنت رجلاً ذا مال فكنت أطالب به الناس، فكنت أقبل الميسور وأتجاوز عن المعسور، قال: تجاوزوا عن عبدي»**، قال ابن مسعود: هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول، أخرجه البخاري ومسلم واللفظ له، فبسبب مداومته على التجاوز تجاوز الله عنه.

أخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»**[(١)].

ووجه ذلك أن عدل الإمام ونشوء الشاب في عبادة ربه وتعلق القلب بالمساجد وتحابب الرجلين في الله لابد فيه من الاستمرار عليه حتى يحصل به هذا الفضل العظيم.

ومنها: أن المداومة على العمل الصالح سبب لطهارة القلب من النفاق، ونجاة صاحبه من النار؛ فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله : **«من صلى لله أربعين يومًا في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتبت له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق»**[(٢)].

ومنها: أن المداومة على الأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة، وللجنة أبواب، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان». فقال أبو بكر ﷺ: ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة؟ فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم»**[(٣)].

---

(١) متفق عليه. واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه الترمذي، قال الألباني: إن مجموع طرقه تدل على أن له أصلاً.

(٣) متفق عليه.

ثم اعلموا ـ يا عباد الله ـ أن من داوم على عمل صالح ثم انقطع عنه بسبب مرض أو سفر أو نوم كتب له أجر ذلك العمل، أخرج البخاري بسنده عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إذا مرض العبد أو سافر، كُتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا»**[1]، قال ابن حجر: هذا في حق من كان يعمل طاعة فمنع منها وكانت نيته ـ لولا المانع ـ أن يداوم عليها.

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«ما من امرئ تكون له صلاة بليل فغلبه عليها نوم إلا كتب الله له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه»**[2].

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين، ولا عدوان إلا على الظالمين، اللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد بعد الرضى، ولك الحمد إذا رضيت . . أما بعد:

عباد الله . . . اعلموا أن المداومة على الأعمال الصالحة من صفات عباد الله المؤمنين: ﴿**الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ**﴾ (سورة المعارج: ٢٣)، ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾ (سورة المعارج: ٣٤).

وإنما كانت من صفات المؤمنين لأن أبعد الناس عن المداومة على صالح العمل إنما هم المنافقون، وذلك راجع إلى أنهم لا يرجون بأعمالهم رحمة الله، بل يؤدون شعائر الإسلام الظاهرة أو بعضها ذرًا للرماد في عيون الناس خشية أن يطلعوا على أعمالهم، كما أن قلب المنافق أضعف من أن يحتمل وطأة المداومة وشدة المجاهدة، وأبعد أن يتلذذ بحلاوتها، وأيضًا فإن المؤمن إذا سمع ثواب الله تاقت نفسه لتحصيله فجاهد

---

(١) رواه البخاري.

(٢) «صحيح الجامع» (٢/٩٩٣)، رقم (٥٦٩١)، «الإرواء» (٤٥٤).

نفسه على سلوك ما يقرب إليه بخلاف المنافقين فهم كما قال الله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (سورة محمد:١٦). ثم إن عباد الله المؤمنين يسلكون السبل المفضية بهم إلى الأعمال الصالحة والمداومة عليها.

ومن الأسباب المعينة على الأعمال الصالحة: العزيمة الصادقة على لزوم العمل والمداومة عليه أيًا كانت الظروف والأحوال؛ وهذا يستلزم نبذ العجز والكسل اللذين هما داءان يرديان بنشاطه إلى الخمول وحياته إلى الخمود ما لم يتدارك نفسه ـ بعد الاستعانة بالله ـ بإرادة قوية وعزيمة صادقة ينتشل فيها نفسه من تلك الوهدة.

وإذا كان الإنسان يكره الموت الذي فيه انقطاع حياته، والهرم الذي فيه انهيار شبابه وقوته، ويود أن لو هرب منهما ودفعهما عنه بالراحتين واليد ولكن هيهات!!، أفلا يدرك أن هناك سوسًا ينخر في عظامه من حيث لا يدري أو لا يدري طوال فترة حياته مع أنه يستطيع دفعه عنه، وهذا السوس هو العجز والكسل.

ومن الأسباب المعينة على الأعمال الصالحة: القصد في الأعمال، وعدم الإثقال والتشديد على النفس فإنه أدعى للمداومة وأضمن لها؛ إذ أن النفس البشرية تركن إلى الراحة والدعة فمتى باغتها الإنسان بأعمال تثقلها ملت وانقطعت بخلاف ما إذا سايرها بما تستطيع وعودها على لزوم الخير رويدًا رويدًا، وكلما رأى في نفسه خفة ورغبة إلى الخير زاد ما لا يثقلها، وكما قيل: «قليل دائم خير من كثير منقطع».

ولذا قال الرسول ﷺ: **«أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»**[1]، وقال ﷺ: **«خذوا من الأعمال ما تطيقون؛ فإن الله لا يمل حتى تملوا»**[2].

(١)،(٢) متفق عليهما عن عائشة رضي الله عنها.

ولا تقف مشادة النفس عند حد أنها مظنة للانقطاع عن العمل فقط بل إنه يخشى على صاحبها من الانتكاس.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الدين يسر ولن يُشاد الدينَ أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والرَّوحة وشيء من الدُّلجة»**[(١)].

وبهذا يتبين ضرورة التدرج بالأعمال من الأسهل إلى ما هو فوقه وهكذا، وليسلك طريق من يعينه على ذلك من أخوة له في الله يعينونه إذا تثاقل ويذكرونه إذا نسي، أو زوجة صالحة تعينه على الخير، وليعلم أن البركة في المداومة، فمن حافظ على قراءة جزء من القرآن كل يوم ختمه في شهر، وهكذا بقية الأعمال، وعليه أن يتذكر ما اقترف من الإثم، ويتعين أنه لابد من وجود ما يمحوه من الحسنات، فإن الحسنات يذهبن السيئات، عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»**[(٢)].

ففي هذا الحديث الأمر بالتقوى في كل حال وآن، ولكن علم أنه لابد أن يصدر من ابن آدم ما يخل بالتقوى فأرشده إلى ما يمحو به السيئات. وأخيرًا فإنه لا يحسن بمن داوم على عمل صالح أن يتركه.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«يا عبد الله لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل»**[(٢)].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن، وأحمد (٢١٤١٢)، والترمذي (١٩٨٧)، وانظر: «صحيح الجامع» (٩٧).

(٣) متفق عليه. انظر: «المشكاة» (١/ ٣٨٩).

وصف النار وأهلها

الخطبة الأولى:

الحمد لله خالق الأرض والسماوات، عالم السر والخفيات، خلق الإنسان من صلصال كالفخار، وخلق الجان من مارج من نار، أخرج إبليس من جنته مذمومًا مدحورًا وأنظره إلى يوم الدين فتنة للعالمين، فأقسم إبليس ـ لعنه الله ـ ليتخذن من عباد الله نصيبًا مفروضًا، قال تعالى: ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾ (سورة الإسراء ٦٣-٦٤).

وقال الله تعالى عن إبليس قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة ص: ٨٢-٨٥)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ (سورة الحجر: ٤٣-٤٤).

أحمده أن جعل لنا وقاية من الشيطان ووسوسته ولم يجعل له سلطانًا على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، فهم في كنف الله ورعايته آمنين، يحوطهم بعنايته ويرعاهم برعايته ما استقاموا على هداه واستمسكوا بحبله المتين.

وأصلي وأسلم على نبينا محمد الأمين الكريم الذي اصطفاه ربه واجتباه، وحرسه من الشيطان وحماه، القائل: **«ما منكم من أحد إلا قد وكل به قرينه من الجن»، قالوا: وإياك يا رسول الله، قال: «وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير»**[1].

---

(١) رواه مسلم.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه المصطفين الأخيار، صلاة وسلامًا دائمين كما يحب ربنا ويرضى.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فاعلموا إخواني ـ وفقني الله وإياكم ـ أن الله تعالى خلق الجنة والنار ووعدهما أن لكل واحدة منكما علي ملؤها، وأمهل إبليس ـ لعنه الله ـ طيلة الحياة الدنيا ابتلاء وامتحانًا للعباد. ﴿ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (سورة المجادلة: ١٩). وجعل له من السلطان والقدرة ما ينفذ به إلى قلوب بني آدم، ويجري منهم مجرى الدم، وسخر له شياطين يأتمرون بأمره سلطهم إبليس عليكم ليغووكم، وليردوكم عن دينكم وفطرة الله التي فطركم عليها، قال رسول الله ﷺ في حديث عياض بن حمار عند مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم وهو يخطب: **«الا إن ربي أمرني ان اعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا»**، إلى أن قال: **«وإني خلقت عبادي كلهم حنفاء، وإنهم اتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وامرتهم أن يشركوا بي ما لم انزل به سلطانًا»**.

ثم قال في آخر الحديث: **«وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زَبرَ له** ـ يعني: لا عقل له يمنعه مما لا ينبغي ـ **الذين هم فيكم تبعًا لا يتبعون اهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البخل أو الكذب، والشنظير الفحاش»**. (يعني: سيئ الخلق)[1].

(١) رواه مسلم.

وكلامنا اليوم عن صفة النار وما أعده الله فيها لأهلها من العذاب الشديد، قال الله تعالى في صفة النار وأهلها: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ (سورة ق:٢٣-٢٦)، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ (سورة ق: ٣٠).

وصحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنها لا تزال تطلب المزيد حتى يضع فيها الجبار قدمه، فتقول: قط قط**»[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ (سورة الشعراء: ٩١). روى مسلم والترمذي وغيرهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»[(٢)].

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم كلهن مثل حرها، قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال: فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها**»[(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة** - أي سقطة -، **فقال النبي ﷺ: «تدرون ما هذا؟»، قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً، فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها»**[(٤)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فجاء فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، قال: فرجع إليه قال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بها فحفت بالمكاره فقال: ارجع إليها فرجع إليها فقال: وعزتك لقد خشيت ألا يدخلها أحد، وقال: اذهب**

---

(١)، (٢)، (٣)، (٤) رواها مسلم.

إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فذهب فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضًا فرجع إليه فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فأمر بها فحفت بالشهوات فقال: ارجع إليها فقال: وعزتك لقد خشيت ألا ينجو منها أحد إلا دخلها»[1] .

وقد وصف الله سبحانه ما أعده في النار نزلاً لأهلها من أنواع العذاب ما ينخلع له قلب المؤمن المصدق بقول الله تعالى رهبة وخشية من أن يكون من أهلها، وقد أطال القرآن الكريم في وصف أهوالها وعذابها لتقريب الصورة للسامعين فيرتدعون عن كل ما يقربهم منها ويعملون ما بوسعهم للفرار منها.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، نحمده تعالى ونشكره ونعوذ بالله من نار حرها شديد وقعرها بعيد، وطعام أهلها الزقوم وشرابهم فيها صديد، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

عن الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ قال: كان عمر ﷺ يقول: **«أكثروا ذكر النار؛ فإن حرها شديد، وإن قعرها بعيد، وإن مقامعها الحديد»**، قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: والله ما صَدَّق عبد بالنار إلا ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وإن المنافق لو كانت النار خلف هذا الحائط لم يصدق بها حتى يتجهم عليها[2] .

قال الله سبحانه وتعالى حاكيًا موقف الكفار حين يعاينون العذاب مصورًا مفاجأة الموقف لهم تلك المفاجأة المؤلمة: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا

---

(١) «صحيح الجامع» (٢/ ٩٢٥)، رقم (٥٢١٠)، «المشكاة» (٥٦٩٦).

(٢) «الزهد» لأحمد (٣٢٤).

به من سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (سورة الزمر: ٤٧-٤٨).

إن أي إنسان مهما أوتي من فصاحة وبيان لا يمكن أن يصور ذهول الظالمين ومفاجأتهم من هذا الموقف العصيب بما صوره القرآن بهذه الكلمات المعدودات، ولك أن تتصور عظمة هذا التهديد الملفوف: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ ما الشيء الذي بدا لهم؟ إنه شيء لم تفصح عنه الآيات ولكنه أمر عظيم شديد، هل هو البعث؟ هل هو الحساب ودقته؟ هل هو الميزان؟ هل هو الجنة؟ هل هو النار؟ كلما زدت من هذه الأسئلة كلما زدت الأمر هولاً وشدةً ويبقى الأمر غيبًا عند الله هكذا...؟ ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ ما لم يكن في حسابهم ولا تقديرهم ولم يدر في بالهم أو خلدهم... إنه تعبير القرآن الكريم.

ثم استمع إلى قول الله تعالى في صفة جهنم: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ (سورة الفرقان: ١١-١٤).

استحضر هذا مع قول الله تعالى عن الكافر إذا نوقش الحساب يوم القيامة: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ﴾ (سورة الحاقة: ٣٠-٣٧). وقوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيرًا﴾ (سورة الإنسان: ٤).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن الرجل ليجر إلى النار فتزوي وتنقبض بعضها إلى بعض فيقول لها الرحمن: مالكِ؟ قالت: إنه يستجير مني، فيقول: أرسلوا عبدي؛ وإن الرجل ليجر إلى النار

فيقول: يارب ما كان هذا الظن بك، فيقول: فما كان ظنك؟ فيقول: أن تسعني رحمتك، فيقول: أرسلوا عبدي، وإن الرجل ليجر إلى النار فتشهق شهقة البغلة إلى الشعير، وتزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف»[1].

وقال تعالى: ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ (سورة الملك:٧-٨). أي: يكاد ينفصل بعضها عن بعض من شدة غيظها على من كفر بالله.

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ۝ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ (سورة فاطر: ٣٦-٣٧).

وقال تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ (سورة النساء: ٥٦).

قال الحسن: «تنضجهم في اليوم سبعين ألف مرة».

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين منكبي الكافر ثلاثة أيام للراكب المسرع».

وروى مسلم عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ضرس الكافر مثل أُحُد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث»، وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن غلظ جلد الكافر إثنان وأربعون ذراعًا، وإن ضرسه مثل أحد، وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة»[2].

---

(١) قال ابن كثير: سنده صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الترمذي (٢٥٠٠)، وانظر: «صحيح الجامع» (٢١١٤).

ولعل القصد من هذا التعظيم أن يناله أكبر قسط من العذاب لأن العذاب يعم أجزاء الجسد، فكلما كان الجسد أكبر كلما كان العذاب أقوى. . . ثم اعلم أن عذاب الكافر الظالم في الآخرة يعظم ويشتد حتى إنه يتقي العذاب بوجهه، قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (سورة الزمر: ٢٤). الوجه الذي في العادة يقيه الإنسان بيديه ورجليه، أو بأي جزء من أجزاء جسمه إذا عاين عذاب النار ـ أعاذنا الله وإياكم منها ـ لشدة ذهوله واضطرابه يتقي عذاب النار بوجهه، فكأنه يقدم وجهه إلى النار وهو يريد أن يتقي عذابها، ألا ما أشد خزي الكافرين وألم عذابهم، وفي هذا الموقف العصيب الذي يتقي الإنسان النار بوجهه يقال له تقريعًا وتوبيخًا: ﴿ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (سورة الزمر: ٢٤). إنه عذاب آخر فوق العذاب الحسي إنه التأنيب من الله لهم ويا له من موقف، ويا له من خزي ليس بعده خزي . . . !

هل لأحد منا أيها الإخوة طاقة بهذا العذاب الشديد؟ كلا والله، بل إن الواحد منا لا يتحمل جمرة من جمر نار الدنيا يطؤها بدون علم فيقوم ألمها برجله أو بيده اليوم واليومين ويحس أن ألمها يصل إلى دماغه، بل لو طارت شرارة من جمرة فوقعت على يدك أو خدك أو فخذك صعقت وصحت وكأن النار كلها ألقيت في حجرك.

وصف النار وأهلها (٢)

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم - بإذن الله - فيما تبقى من وصف النار وأهلها أجارنا الله وإياكم منها إنه جواد كريم بَر رحيم.

عبد الله . . . إنك لترى الواحد منا يغفل ويلهو ويعصي ويعرض وكأن الجنة قد ضمنت له ضمانًا، وكأن معه يقينًا أنه لن يمر على النار، اعلموا - أيها الإخوة - أنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون. خطب عتبة بن غزوان الصحابي رضي الله عنه فقال: **«إنه ذكر لنا الحجر يلقى من شفير جهنم فيهوي فيها سبعين عامًا ما يدرك لها قعراً والله لتملأنه افعجبتم»**[1].

---

(١) رواه الترمذي.

وقد حكى القرآن الكريم والسنة النبوية عن طعام أهل النار وشرابهم ما تقشعر لهوله الجلود، قال الله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ (سورة الحج: ١٩-٢٠).

وقال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (سورة محمد: ١٥). وقال تعالى: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ (سورة النبأ: ٢٤-٢٥).

وقال تعالى: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ (سورة االغاشية: ٥). قال ابن عباس ومجاهد والحسن: يعني قد انتهى حرها وغليانها أي وصل غايته ومنتهاه.

وقال تعالى: ﴿مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ (سورة إبراهيم: ١٦-١٧).

يقول ابن سعدي ـ رحمه الله ـ في تفسير قول الله تعالى ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ في لونه، وطعمه، ورائحته الخبيثة، وهو في غاية الحرارة ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ من العطش الشديد ﴿وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ فإنه إذا قرب إلى وجهه شواه، وإذا وصل إلى بطنه قطع ما أتى عليه من الأمعاء ﴿ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت﴾ أي يأتيه العذاب الشديد من كل نوع من أنواع العذاب، وكل نوع منه من شدته يبلغ إلى الموت ولكن الله قضى ألا يموتوا كما قال الله تعالى: ﴿لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ (سورة فاطر: ٣٦-٣٧).

وأما طعامهم فالضريع والزقوم قال تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ سورة الغاشية: ٦-٧). وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ (سورة الدخان: ٤٣-٤٦). وقال عن شجرة الزقوم: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ (سورة الصافات: ٦٣-٦٦)، قال

قتادة في (الضريع): «من شر الطعام وأبشعه وأخبثه»، أما (الزقوم): فقد قال رسول الله ﷺ: **«لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم»**(١).

فكيف بمن يكون طعامه، ومع كل هذا العذاب وأعظم من هذا كله أن رجاء أهل النار في الخروج منها ينقطع إذا قال لهم مالك: **(إنكم ماكثون)** فينقطع أملهم في تخفيف العذاب ولو يومًا واحدًا فضلاً عن الخروج منها، فإذا يئسوا من ذلك طلبوا أن يموتوا فلا يمكنون من ذلك، وهنا تنقطع بهم الآمال وينقطعون للبكاء والنحيب والتلاوم فيما بينهم، والعذاب في ازدياد والأمل قد انقطع من كل شيء... ياله من عذاب أكيد وحزن طويل، قال ابن عباس: **«يجيبهم مالك بعد ألف سنة من سؤالهم»**، قال رسول الله ﷺ: **«إن أهل النار ليبكون حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت وإنهم ليبكون الدم»** يعني: مكان الدمع(٢).

والآن ـ يا عباد الله ـ نعرض بعض الأعمال التي توصل إلى النار لعل في ذلك ما ينفر عن تلك الأعمال، ومن ذلك: روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البُخْتِ المائلة لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»**.

قال النووي ـ رحمه الله ـ: أما أصحاب السياط في الحديث فغلمان والي الشرطة، وأما الكاسيات ففيه أوجه، ثم ذكر منها من تكشف شيئًا من بدنها إظهارًا لجمالها، ومن تلبس ثيابًا رقاقًا تصف ما تحتها. وقوله **«مميلات مائلات»**: يعني زائغات عن طاعة الله تعالى وما يلزمهن من حفظ الفروج وغيرها، مميلات يعلمن غيرهن مثل فعلهن. أما قوله **«رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة»** فمعناه: يعظمن رؤوسهن، ويجمعن ضفائرهن فوق رؤوسهن ويجمعنهن في وسط الرأس فتصير كأسنمة الإبل. وقال

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٨٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٥٠).
(٢) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٦٧٩).

بعض العلماء: يطمحن إلى الرجال، ولا يغضضن عنهم، ولا ينكسن رؤوسهن. اهـ.
فلتتفكر الأخت المسلمة أليس كثير من النساء قد وقعن في كثير من هذه الأفعال؟.

ألسنا نرى المرأة التي تلبس الثياب الرقيقة اللافتة للنظر وتخفف غطاء وجهها جداً وتقصره حتى يبين عنقها، بل حتى يبين أسفل وجهها، ثم تتعطر وتتبختر وتخرج إلى السوق فاتنة مفتونة تكلم الرجال بكلام ناعم رقيق فتميل قلوبهم، لا تغض صوتها ولا تحترم أنوثتها ورجولة الرجال؟.

فاحذري أختي المسلمة أن تكوني من هؤلاء النسوة اللاتي يمشين في غضب الله ولعنته ويؤذين عباد الله المؤمنين، احذري وحذِّري غيرك ممن يسلكن هذا المسلك، فما أحرى هؤلاء النساء المفتونات الفاتنات بالعقوبة وما أحراك - يا أختي - المعتصمة بكتاب الله وسنة رسوله بالثواب لاسيما إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر بارك الله فيك.

الخطبة الثانية:

الحمد لله بين أوصاف النار اتقاء شرها وما جعل علينا في الدين من حرج، من أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد، أحمده سبحانه وتعالى على جزيل نعمه وعظيم عطاياه، وأسأله عز وجل أن يجيرنا وإياكم والمسلمين من النار وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

روى البخاري عن عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء»**.

قال القرطبي: إنما كان النساء أقل ساكني الجنة لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى عاجل زينة الحياة الدنيا والإعراض عن الآخرة لنقص عقولهن وسرعة انخداعهن.

وقد روى ابن عباس ﷺ كما في البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«أُريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يَكْفُرْنَ»، قيل: أيكفرن بالله؟، قال: «يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيت منك خيرًا قط»**.

فلتحذر المسلمة أن تكون من هذه الكثرة التي تدخل النار.

ففي هذا الحديث حث للمسلمة على التزام أوامر الله والبعد عن نواهيه ومن أهمها بالنسبة للمرأة طاعة الزوج ومعرفة معروفه وإحسانه وعدم التنكر لما يبذله.

ومن أسباب دخول النار الكبر؛ فقد روى مسلم عن أبي هريرة ﷺ حديث محاجة الجنة والنار وفيه قوله: «**فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين**»، وروى مسلم أيضًا عن حارثة بن وهب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ألا أخبركم بأهل النار؟**»، **قالوا: بلى، قال:** «**كل عُتُلٍّ جَوَاظٍ مُستكبر**»، وفي رواية: «**كل جوَّاظٍ زَنيم متكبِّر**».

أما (**العُتُل**): فهو الجافي الفظ الغليظ، و(**الجوَّاظ**): الجَمُوع المَنُوع، و(**المستكبر**): هو المتكبر، و(**الكِبر**): بطرُ الحق وغَمْطُ الناس.

فليحذر المسلم من أن يكون جافيًا غليظًا على عباد الله المؤمنين بل يكون متواضعًا لإخوانه متحببًا إليهم، وليحذر ثانيًا من أن يكون جماعًا للمال، بخيلاً لا ينفق في مشاريع الخير ولا يتصدق على إخوانه المسلمين المحتاجين، وليعلم أن المال مال الله استخلفه فيه فليحسن الخلافة، وليحذر ثالثًا من الكبر الذي هو رد الحق والاعتداء على الناس في حقوقهم، لعله يكون من المفلحين.

روى مسلم عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**»، **قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال:** «**المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**»، وفي رواية: «**المنان الذي لا يعطي شيئًا إلا منة، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر، والمسبل إزاره**»، ورواه أبو هريرة بلفظ: «**رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا وصَدَّقه وهو على غير ذلك، ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها وَفَى وإن لم يعطه منها لم يَفِ**».

فذكر الرسول ﷺ في هذا الحديث أربعة أصناف من أهل النار:

الأول ـ المسبل إزاره الذي يطيله أسفل الكعبين وقد يجره خيلاء وكبراً.

الثاني ـ المنان الذي لا يعطي أحداً شيئًا إلا من به عليه وذكره معروفه، وقد يمنع المعروف أصلاً فلا يمنح أحداً مهما كان محتاجًا مثل ذاك الرجل الذي يمنع الناس الماء وفيه زيادة على حاجته وهم في أرض فلاة ومحتاجون إلى الماء.

الثالث ـ رجل بايع إمامًا لا يريد إلا الدنيا ـ يعني: ببيعته ـ إن حصلت له، وينقضها إن لم تحصل.

الرابع ـ وما أكثره في مجتمعنا: الذي ينفق سلعته بالحلف الكاذب، فيحلف لك أنها جيدة وهو يعلم أنها على خلاف ذلك، أو يحلف أنه اشتراها بكذا وهو كاذب، أو يحلف أنه خسران في بيعها عليك بهذا المبلغ وهو كاذب، أو يحلف أن أحداً سامها منه بمبلغ كذا وكذا وهو كاذب، أو يحلف أن فلانًا الخبير بهذه البضاعة قد انتقاها دون غيرها وهو كاذب، إلى غير ذلك من طرق ترويج البضاعة بالكذب والحلف الكاذب.

فاحرص ـ يا أخي المسلم ـ في حياتك كلها وبيعك وشرائك على الرزق الحلال والبعد عن كل ما من شأنه جلب سخط ربك الكريم. فما أعجزك عن تحمل أهون أنواع العذاب وما أحوجك إلى تتبع مواقع رحمة الله لعلك تكون من الفائزين.

وأختم حديثي معكم بحديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال له: ياابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يارب، ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: ياابن آدم هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك من شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط»**[1].

---

(١) رواه مسلم.

لا تدخلوا حتى يؤذن لكم

الخطبة الأولى:

الحمد لله أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام دينًا، أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله، ذو الأدب الجم، والخلق الرفيع، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد . . . فاتقوا الله ـ أيها المؤمنون ـ وعظموا أمر ربكم، واستغفروه ثم توبوا إليه، واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم.

عباد الله . . . لقد جعل الله البيوت سكنًا يأوي إليها أهلها، تطمئن فيها نفوسهم ويأمنون على حرماتهم، يستترون بها مما يؤذي الأعراض والنفوس، يتخففون فيها من أعباء الحرص والحذر.

وأن ذلك لا يتحقق على وجهه إلا حين تكون محترمة في حرمتها، لا يستباح حماها إلا بإذن أهلها، في الأوقات التي يريدون، وعلى الأحوال التي يشتهون: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (سورة النور: ٢٧-٢٨).

إن اقتحام البيوت من غير استئذان هتك لتلك المحرمات، وتطلع على العورات، وقد يفضي إلى ما يثير الفتن، أو يهيئ الفرص لغوايات تنشأ من نظرات عابرة، تتبعها نظرات مريبة، تنقلب إلى علاقات آثمة، واستطالات محرمة، وفي الاستئذان وآدابه ما يدفع هاجس الريبة. والمقاصد السيئة.

أيها الأخوة المؤمنون . . إن كل امرئ في بيته قد يكون على حالة خاصة. أو أحاديث سرية أو شئون بيتيه فيفجأه داخل من غير إذن قريبًا كان أم بعيدًا، وصاحب البيت مستغرق في حديثه أو مطرق في تفكيره فيزعجه هذا أو يخجله، فينكسر نظره حياء، ويتغيظ سخطًا وتبرمًا.

وقد يقصر في أدب الاستئذان بعض الجناة ممن لا يهمه إلا قضاء حاجته، وتعجل مراده بينما يكون دخوله مخرجًا للمزور مثقلاً عليه، وما كانت آداب الاستئذان وأحكامه إلا من أجل أن لا يفرط الناس فيه أو في بعضه معتمدين على اختلاف مراتبهم في الاحتشام والأنفة أو معولين على أوهامهم في عدم المؤاخذة، أو رفع الكلفة.

تأملوا - أيها المؤمنون - قوله سبحانه: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾ أنه استئذان في استئناس، يعبر عن اللطف الذي يجب أن يكون عليه الزائر والطارق مراعاة لأحوال النفوس وتهيؤاتها، وإدراكها لظروف الساكنين في بيوتاتهم وعوراتهم. وهل يكون الأنس والاستئناس إلا باتقاء الوحشة والكراهية أدب رفيع يتحلى به الراغب في الدخول لكي يطلب إذنًا لا يكون معه استيحاش من رب المنزل بل بشاشة وحسن استقبال.

ينبغي أن يكون الزائر والمزور متوافقين مستأنسين، فذلك عون على تأكيد روابط الأخوة الإسلامية.

ولقد بسطت السنة المطهرة هذا الأدب العالي، وازدان بسيرة السلف الصالح تطبيقًا وتبيينا فكان نبيكم محمد ﷺ إذا أتى باب قوم، لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول: «**السلام عليكم. السلام عليكم**»، ووقف سعد بن عبادة مقابل الباب فأمره النبي ﷺ أن يتباعد وقال له: «**وهل الاستئذان إلا من اجل النظر**»[(١)]، وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، اطلع

(١) رواه أبو داود (٥١٧٤)، وانظر: «صحيح الجامع» (٧٠١٦).

رجل من حُجَر في جحر النبي ﷺ ومع النبي ﷺ مِدْرَى (أي: مشط) يحك به رأسه فقال النبي ﷺ : **«لو اعلم انك تنظر لطعنت به في عينك، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر»**[1] .

والمستأذن ـ أيها الأخوة ـ يستأذن ثلاث مرات؛ فإن أذن له وإلا رجع وقد قيل: إن أهل البيت بالأولى يستنصتون وبالثانية يستصلحون وبالثالثة يأذنون أو يردون، لكن قال أهل العلم: لا يزيد على ثلاث إذا سُمِعَ صوتُه وإلا زاد حتى يَعلم أو يَظن أنه سُمِعَ.

ويقول في استئذانه: السلام عليكم أأدخل؟ فقد استأذن رجل على رسول الله ﷺ وهو في بيته، فقال: ألج، فقال النبي ﷺ لخادمه: **«اخرج إلى هذا الرجل فعلمه الاستئذان فقل له: قل: السلام عليكم، أأدخل؟»**، فأذن له النبي ﷺ فدخل»[2] .

وله أن يستأذن بنداء أو قرع أو نحنحة أو نحو ذلك.

تقول زينب امرأة عبد الله بن مسعود ﷺ: **«كان إذا دخل تنحنح وصوت»**.

ويقول الإمام أحمد: يستحب أن يحرك نعله في استئذانه عند دخوله حتى إلى بيته، لئلا يدخل بغتة، وقال مرة: إذا دخل يتنحنح.

ومن الأدب أن الطارق إذا سُئل عن اسمه فليبينه، وليذكر ما يُعرف به ولا يجيب بما فيه غموض أو لبس. يقول جابر ﷺ: **اتيت إلى النبي ﷺ في دين كان على أبي، فدققت الباب فقال: «من ذا؟»، فقلت:أنا، فقال النبي ﷺ: «أنا أنا»، كأنه كرهها**[3] (متفق عليه) .

---

(١) رواه البخاري (٦٢٤١)، ومسلم (٢١٥٦).

(٢) رواه أحمد (٢٣١٨٨)، وأبو داود (٥١٧٧) واللفظ له وغيرهما باسناد صحيح، وانظر: «الصحيحة» (١١٧٠).

(٣) متفق عليه، واللفظ للبخاري.

وإذا قرع الباب فليكن برفق ولين من غير إزعاج أو إيذاء ولا ازدياد في الإصرار، ولا يفتح الباب بنفسه، وإذا أذن له في الدخول فليتريث ولا يستعجل في الدخول، ريثما يتمكن صاحب البيت من فسح الطريق وتمام التهيؤ، ولا يرم ببصره هنا وهناك فما جعل الاستئذان إلا من أجل النظر.

الخطبة الثانية:

الحمد لله معز من أطاعه واتقاه، ومذل من خالف أمره وعصاه، أحمده سبحانه وأشكره، من توكل عليه كفاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اصطفاه واجتباه، وقربه إليه وأدناه، ﷺ وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهداه.

أما بعد . . اعلموا ـ عباد الله ـ أن الاستئذان حق على كل داخل من قريب أو بعيد من الرجل والمرأة ومن الأعمى والبصير.

ويقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: **«إذا دخل أحدكم على والدته فليستأذن»**.

والأعمى يستأذن كالبصير فلربما أدرك بسمعه ما لا يدركه البصير ببصره، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرون منه صب في أذنه الآنك يوم القيامة. والآنك هو الرصاص المذاب[1] . . كما أن هناك ثلاث عورات فتراعى كما في القرآن الكريم.

أيها الإخوة في الله . . وهناك أدب قرآني عظيم، لا يكاد يفقهه كثير من المسلمين إنه قول الله عز وجل: ﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾ (سورة النور: ٢٨). إن من حق صاحب البيت أن يقول بلا غضاضة للزائر والطارق: ارجع فللناس أسرارهم وأغدارهم وهم أدرى بأحوالهم، فما الاستكنان في البيوت إلا من أجل هذا، وعلى

---

(١) رواه البخاري، وغيره.

المستأذن أن يرجع من غير حرج، وحسن أن ينال التزكية من القرآن، قال بعض المهاجرين: لقد طلبت عمري كله في هذه الآية فما أدركتها، لقد طلبت أن استأذن على بعض إخواني ليقول لي: ارجع، فأرجع وأنا مغتبط لقوله تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ (سورة النور:٢٨). ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره.

إن من الخير لك ولصاحبك أيها الطارق أن يعتذر عن استقبالك بدلاً من الإذن على كراهية ومضض، ولو أخذ الناس أنفسهم بهذا الأدب وتعاملوا بهذا الوضوح، لاجتنبوا كثيراً من سوء الظن في أنفسهم وإخوانهم.

فاتقوا الله ـ أيها المؤمنون ـ والتزموا بدينكم، واستمسكوا بآدابه، وحافظوا على مشاعر الأُخُوة وتخيروا في أوقات الزيارات، وقدروا لإخوانكم أحوالهم وظروفهم، والتمسوا لهم الأعذار، ودعوا الأعراف والتقاليد الخاطئة. واعلموا ـ يا عباد الله ـ أن الإسلام كما شرع آدابًا للاستئذان من خارج البيوت، فقد أوضح آدابًا خاصة وأدب بها الصغار الذين لم يبلغوا الحلم في أوقات خاصة في عورات ثلاث:

من قبل صلاة الفجر وفي أثناء الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء، أوقات يخلو فيها المرء بنفسه، أو مع زوجه، يتخفف فيها من كثير من القيود فللعلم وقته، وللراحة وقتها، فيعطي كل ذي حق حقه.

أيها الإخوة في الله . . إن هذه التفاصيل الدقيقة في آداب الاستئذان تؤكد فيما تؤكد حرمة البيوت ولزوم حفظ أهلها من حرج المفاجآت وضيق المباغتات والمحافظة على ستر العورات. عورات كثيرة تعني كل ما لا يرغب الإطلاع عليه من أصول البدن، وصنوف الطعام واللباس وسائر المتاع، بل حتى عورات المشاعر والحالات النفسية، حالات الخلاف الأسري، حالات البكاء والغضب والتوجع والأنين. كل ذلك مما لا يرغب الاطلاع عليه لا من الغريب ولا من البعيد، إنها دقائق يحفظها ويسترها أدب الاستئذان. فهل يدرك هذا أبناء الإسلام؟!

الفهرس

تم بحمد الله - الجزء الثاني